الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 292 - 293
يونيو - يوليو 2020 الثمن 10 جنيهات

نهر النيل ميراث مشترك ووديعة مقدسة لخير شعوبنا جميعا

مع تطبيق BDC MOBILE BANKING ..

اعرف تفاصيل حساباتك واتحكم فيها بضغطة واحدة..في اي وقت ومن اي مكان..

للاشتراك قم بزياره موقع البنك الالكتروني او اقرب فرع لك

تطبق الشروط والاحكام

16990

www.bdc.com.eg

بنك القاهرة
Banque du Caire

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 +202

gmail.com@diplomatmagazine92

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

فى هذا العدد

الإختيار.. دروس مستفادة ..... السفير رضا الطايفى	2
نص كلمة وزير الخارجية سامح شكرى أمام مجلس الأمن حول سد النهضة	4
الحقيبة الدبلوماسية.....	7
جسر الحضارة .. مكتبة مصر العامة بدمياط .. سفير عبد الرءوف الريدى	12
مصر وتطورات النظام العالمى من الثنائية إلى التعددية القطبية ... سفير د. السيد أمين شلبي	14
عام الكورونا وما بعده .....سفير الفاروق شلباية	17
بصمة الحضارة المصرية فى العالم (1) ....د. مهندس هانئ محمود النقراشي	18
افريقيا والتصدى لجائحة كورونا وتداعياتها فى الاطار الدولى ... سفير د. صلاح حليمة	21
اختيارات مصر ..... سفير جمال الدين البيومي	24
دبلوماسية مساعدات الصحة العامة فى زمن كوفيد _19...سفير د. عزت سعد	28
خسائر اقتصادية ضخمة فى مجالات الثقافة والفنون والرياضة بسبب كوفيد_19 .....سفير هشام الزميتي	34
بانوراما أفريقيا (4)..... سفير عبد الفتاح عزالدين	38
مى زيادة ..... سفير د. هادى التونسي	41
كنز القارة السمراء .....ميسا جيوسي	42
هل يمكن للاقتصاد أن يغدق فقرًا ؟! .....رجائى عطية	44
تشكيل حكومة عراقية جديدة فى ظروف صعبة... سفير رخا أحمد حسن	46
كورونا والحرب الباردة الامريكية الصينية الى اين 4 ؟ .. سفير د. يوسف الشرقاوى	48
روسيا من منظور التاريخ والجغرافيا والسياسة الدولية .. سفير د .عادل السالوسي	50
جنازات ومقابر رؤساء مصر قديماً وحديثاً ..سفير أسامة توفيق بدر	55
القوة الناعمة الإيرانية فى الشرق الأوسط... سكرتير ثان هند منذر ابورية	56
خبايا وأسرار تأميم قناة السويس ..... عمرو كمال حموده	58
من ذكريات حرب الاستنزاف.....سفير محمد عباس	61
قناة السويس...الزعيم وملحمة التأميم ... د.هشام عبد الملك	62
جيرمى كوربين وإحياء اليسار العمالى البريطانى .... سفير د. وليد محمود عبد الناصر	67
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى ...سفير يسرى القويضى	70
مركز التجارة الدولية .....سفير د. سامح أبو العينين	71
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين ... تقدمها ناديه الريس	72
أحمد عرابى. دعوة للإنصاف ... سفير محمد عبد المنعم الشاذلى	74
أوروبا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود (4+1)..... سفير د. محمد نعمان جلال	76
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان	78
قراءات ليلية ..... سفير أشرف عقل	80

الإختيار.. دروس مستفادة

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

تابعت وملايين من المشاهدين مثلى فى مصر والعالم العربى طوال شهر رمضان المبارك حلقات المسلسل التليفزيونى «الاختيار»، الذى فرض نفسه بقوة وحاز على النسبة الأعلى فى المشاهدة من بين عشرات الأعمال الدرامية التى عرضت على شاشات التليفزيون خلال الفترة الماضية، ليس فقط نتيجة الأداء المؤثر لأبطاله ولكن لأن المسلسل يجسد ملحمة حقيقية لواحدة من مئات الملاحم البطولية لرجال قواتنا المسلحة البواسل ضد العناصر الإرهابية التكفيرية فى شمال سيناء.

وصلت الدراما فى «الاختيار» إلى ذروتها بالمقاومة البطولية من قِبل أبطال «كمين البرث» الواقع جنوب مدينة رفح فى شمال سيناء فى مواجهة الهجوم الإرهابى الذى تعرضت له الكتيبة 103 صاعقة فجر 7 يوليو 2017 الذى شارك فيه عدد ما بين 120 - 150 عنصراً إرهابياً ينتمون إلى «أنصار بيت المقدس» وما يسمى «تنظيم داعش سيناء» وهو الهجوم الذى استمر أربع ساعات واستهدف السيطرة على مبنى كمين البرث وأسر عدد من الضباط والجنود مع رفع علم داعش فوق المبنى، والذى استخدم فيه الإرهابيون 12 عربة كروز محملة بالسلاح وسيارتين مفخختين ورشاشات ثقيلة وقذائف هاون وقذائف آر بى جى ومدافع جرينوف وأسلحة آلية وقنابل يدوية فضلاً عن قيامهم بزرع الألغام حول الكمين لإعاقة أية محاولات للدعم البرى للكمين. ورغم عدم التكافؤ من حيث العدد ومن حيث قوة العتاد والتسليح وقوة وحجم النيران، إلا أن الإرهاب لم يحقق أياً من أهدافه أمام صمود رجال الكمين من ضباط وصف ضباط وجنود والذين صمدوا حتى النهاية وقتلوا أربعين إرهابياً قبل أن يسقط معظمهم شهداء واحداً تلو الآخر وعلى رأسهم قائد الكتيبة العقيد الشهيد أحمد صابر المنسى الذى أبى إلا أن يستشهد واقفاً بعد أن أصابته رصاصة قناص غادرة من الخلف، إلى أن وصلت قوات الدعم البرى والجوى وسحقت المهاجمين ولقنت قادتهم ومموليهم درساً قاسياً ومريراً مازال يؤرقهم فى مخابئهم ومضاجعهم، وهو ما بدا واضحاً من خلال ردود أفعالهم تجاه أحداث مسلسل «الاختيار» سواء بمحاولات التخطيط أو القيام بعمليات إرهابية يائسة، أو من خلال أبواقهم ومنصاتهم الإعلامية المأجورة التى لا همّ لها غير نشر الشائعات وترويج الأكاذيب ليل نهار والتشكيك فى كل رموز وإنجازات الوطن.

ويهمنى فى هذا المقام إيراد الملاحظات التالية:

أولاً: أحدث مسلسل الاختيار حالة من نشوة الانتصار والإحساس بالثقة والشعور بالزهو والفخر بقواتنا المسلحة وجيش مصر العظيم، لما يؤكده رجاله كل يوم وفى كل المواقف والمعارك أنهم بحق درع حصين واقٍ للوطن فى مواجهة أية مخاطر داخليةً كانت أم خارجية قد تواجهه أو تهدد أمنه واستقراره. وأكد عرض الملحمة الحقيقية لأبطال الكتيبة 103 صاعقة فى المسلسل أن العقيدة القتالية للجيش المصرى «النصر أو الشهادة» حقيقة راسخة فى وجدان كل رجال قواتنا المسلحة من قادة وضباط وصف ضباط وجنود، وليست مجرد شعار براق، هو ما توج فى انتصار أكتوبر 1973 ..حرب العاشر من رمضان المجيدة. فضلاً عن دورهم وإنجازاتهم التنموية التى يحققها رجال القوات المسلحة فى مجالات البنية الأساسية والأمن الغذائى وغيرها من مجالات تجسدت مؤخراً فى عمليات التعقيم والتطهير وتأمين الوطن ضد مخاطر جائحة «كورونا».

ثانياً: إن هذا التفاعل الشعبى والإقبال الجماهيرى على مشاهدة مسلسل «الاختيار» الذى جسد جانباً من معركتنا الشرسة ضد الإرهاب، قد يماثل وربما يفوق ما سبق تسجيله ورصده من تفاعل وإقبال جماهيرى حاشد لمشاهدة فيلم «الممر» الذى جسد ملحمة بطولية أخرى لخير أجناد الأرض فى معركتنا ضد الاحتلال البغيض خلال حرب الاستنزاف، إنما يؤكد أن الوعى الجمعى للكتلة الصلبة من المجتمع المصرى مازال بخير رغم كل عوامل التعرية وتزييف الحقائق التى تقوم بها الدعاية المضادة المغرضة، ورغم بعض التأثيرات السلبية التى صاحبت موجة العولمة.

ثالثاً: ارتباطاً بنفس السياق، وفى إطار ما حققته الدراما الوطنية الجادة والهادفة من نجاح، وفى ضوء وجود المئات من البطولات المماثلة فى ملفات

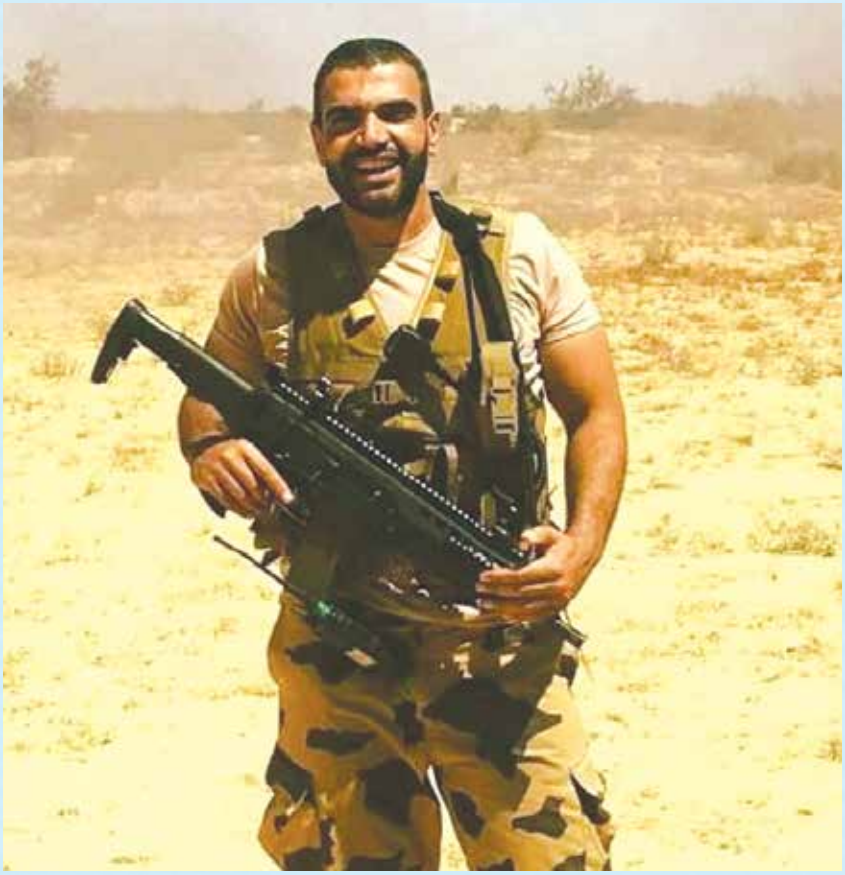

الجيش المصرى والشرطة أيضاً والتى تحتاج إلى تسليط الضوء عليها فى أعمال درامية مماثلة يمكن أن تساهم يقيناً فى تزويد الأجيال الجديدة بطاقات إيجابية ملهمة تحصنهم لمواجهة أية شائعات مغرضة أو أفكار هدامة وتعمق من انتمائهم تجاه الوطن، لذا قد يكون من الضرورى التركيز أكثر على إنتاج المزيد من الأفلام والمسلسلات المماثلة ذات البعد الوطنى الهادف سواء من قِبل الدولة أو من قِبل الإنتاج الخاص بما يعنيه ذلك من تخصيص ميزانيات خاصة لهذا الغرض، علماً بأن الصناعات الثقافية أصبحت تمثل أحد مظاهر القوة الناعمة للدولة فضلاً عما أصبحت تدره من عوائد مادية مرضية ومشجعة، وهو ما دفع العديد من الدول إلى الاهتمام بها وتشجيع القائمين على هذه الصناعة فى بلاد مثل الهند وكوريا الجنوبية والمكسيك وغيرها.

رابعاً: تناول «الاختيار» بعض ملامح ومصادر فكر التطرف والإرهاب وتكفير الآخر، وهى قضية غاية فى الخطورة وأصبح من الضرورى والملح الاشتباك معها ومواجهتها ومعالجتها وهنا تثار من جديد مسألة ضرورة إعادة مراجعة وتنقية بعض المناهج والمواد الدراسية، وأخذ مسألة مراجعة وتصحيح وتجديد الفكر والخطاب الدينى مأخذ الجد، بالتوازى مع تشجيع نشر ثقافة التنوير الداعية إلى الفكر الوسطى الذى يقوم ويستند على ثوابتنا التاريخية والحضارية والثقافية مع نشر ثقافة التنوع وقبول الآخر.

وهى رسالة بديهية ينبغى أن تضطلع بها كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية جنباً إلى جنب مع كافة المؤسسات التعليمية والثقافية التى تساهم فى تشكيل الرأى العام.

خامساً: إن حجم التمويل الذى تتلقاه الجماعات الإرهابية وما تمتلكه من كافة أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة وصواريخ وقنابل وطائرات مسيرة، فضلاً عن مخاوف من نجاح بعض هذه الجماعات فى امتلاك أسلحة دمار شامل بما فيها السلاح النووى والبيولوجى يفرض على المجتمع الدولى والمنظمات الدولية ضرورة وضع إستراتيجية جماعية لمكافحة الإرهاب تكون قابلة للتنفيذ بما فى ذلك فرض عقوبات رادعة ضد الدول التى تمول وتشجع الإرهاب والتى تسمح بتواجد قيادات وعناصر إرهابية فى أراضيها والتى تروج لفتاوى وفكر التطرف فى أبواقها الإعلامية، على أن تدعم فى نفس الوقت الدول التى تحارب الإرهاب الذى يسعى لنشر الفوضى واستنزاف موارد الدول بصورة تعيق أو على الأقل تحد من طموحاتها التنموية.

سادساً: إن مكافحة الإرهاب أصبحت تقتضى توجيه ضربات استباقية ضد من يقف مع الإرهاب ويأوى عناصره ويموله، أياً من كان وأينما كان فى الداخل أو حتى خارج الحدود، وهو ما يحتاج إلى دعم لوجيستى وتوفير المعلومات الدقيقة، وهنا يأتى دور المواطن فى سرعة إبلاغ السلطات المختصة عن أية عناصر يشتبه فى قيامها بأية أنشطة إرهابية أو تخريبية، على غرار ما ورد فى مسلسل «الاختيار» وخاصة تقديم أهالى سيناء لمعلومات ساهمت فى إجهاض العديد من العمليات الإرهابية وساعدت قوات الصاعقة على القيام بالعديد من الضربات الاستباقية ضد البؤر الإرهابية المتخفية فى المزارع والأنفاق.

سابعاً: أكدت أحداث مسلسل «الاختيار» أن الوقوع فى مستنقع خيانة الوطن يعد جريمة لاتسقط بالتقادم، ولا تسقط بالهروب والاحتماء خلف أبواق دعائية مغرضة ومعادية، وعلى من خان الوطن أن يتحمل نتيجة خيانته، فالقصاص العادل قادم لا محالة طال الزمن أو قصر.

ختاماً: رحم الله شهداء الوطن، الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون فى جنة الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء، وتحية إجلال وتقدير لحماة الوطن من أبناء الجيش والشرطة، والشكر لكل من شارك فى مسلسل «الاختيار» تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً، وليكن نجاحهم المبهر دافعاً لهم وطاقة إيجابية تدفعهم للقيام بالمزيد من مثل هذه الأعمال الفنية الجادة وما أكثر الملاحم والبطولات الملهمة لتحقيق هذه الغاية النبيلة.

نص كلمة وزير الخارجية سامح شكرى أمام مجلس الأمن حول سد النهضة

السيد السفير المندوب الدائم لفرنسا لدى الأمم المتحدة

رئيس مجلس الأمن عن شهر يونيو 2020،

السادة ممثلو الدول الأعضاء فى مجلس الأمن،

الزميلان والأخوان العزيزان ممثلا كل من السودان وإثيوبيا،

أود فى البداية أن أهنئ رئيس المجلس على قيادته الحكيمة وإدارته لأعمال مجلس الأمن فى وقت يشهد فيه العالم تحديات وأزمات غير مسبوقة.

كما أتوجه بالشكر للسيدة «روز مارى دى كارلو» وكيل سكرتير عام الأمم المتحدة على كلمتها.

فهذه، وبحق، فترة مضطربة فى تاريخ الإنسانية، حيث نواجه خطراً داهماً وعدواً خبيثاً حصد عدداً يصعب حصره من أرواح البشر، وألحق بنا معاناة اقتصادية غير مسبوقة، وتسبب فى توقف الحياة فى جميع أنحاء العالم، ولكن بينما نواجه كارثة هذه الجائحة العالمية وتنكشف لنا هشاشة وضعنا، فإنه يتعين علينا أن نتذكر انتماءنا المشترك للإنسانية.

فنحن فى نهاية المطاف، ورغم تعدد الثقافات والعقائد، وتنوع الأمم والشعوب، أسرة إنسانية واحدة، يتعين لتحقيق رفاهيتها أن نتجاوز المصالح الضيقة وأن نعمل على إعلاء روابط التضامن بين أطراف مجتمعنا العالمى.

السيد الرئيس،

إن القضية التى أستعرضها معكم اليوم ترتبط بأمر جلل بالنسبة للشعب المصرى، وهى مسألة تتطلب، مثلما هو الحال بالنسبة لجهود مواجهة الجائحة الحالية، أن نلتزم بروح التعاون فيما بيننا، وأن نعترف بأن الأمم لا تعيش فى جزر منعزلة، وإنما نحن جميعاً منتمون لمجتمع واحد، مرتبطون بمصير مشترك.

لقد ظهر خطر وجودى يهدد بالافتئات على المصدر الوحيد لحياة أكثر من 100 مليون مصرى، ألا وهو سد النهضة الإثيوبى، هذا المشروع الضخم الذى شيدته إثيوبيا على النيل الأزرق، والذى يمكن أن يعرض أمن وبقاء أمة بأسرها للخطر بتهديده لمصدر الحياة الوحيد لها.

ومع تقديرنا لأهمية هذا المشروع فى تحقيق الأهداف التنموية للشعب الإثيوبى، وهو الهدف الذى نسانده وندعمه، فإنه من الضرورى إدراك أن مشروعاً بهذا الحجم، والذى يعد أضخم مشروع لتوليد الطاقة الكهرومائية فى إفريقيا، يهدد مقدرات ووجود ملايين المصريين والسودانيين.

ولذلك، فإن ملء وتشغيل السد بشكل أحادى، ودون التوصل لاتفاق يتضمن الإجراءات الضرورية لحماية المجتمعات فى دولتى المصب، ويمنع إلحاق ضرر جسيم بحقوقهم، سيزيد من التوتر ويمكن أن يثير الأزمات والصراعات التى تهدد الاستقرار فى منطقة مضطربة بالفعل.

ومن هنا، فإنه من المهم أن ينظر مجلس الأمن فى هذه القضية باعتباره المحفل الذى أوكل المجتمع الدولى إليه مسئولية فريدة للحفاظ على السلم والأمن الدوليين، فمن المتوقع أن يمارس المجلس مهامه بيقظة لتلافى تصاعد التوتر، ومنع اندلاع الصراعات، واحتواء الأزمات التى تهدد المساس بالسلام فى إقليم يعانى قدراً من الهشاشة. وإننا لعلى ثقة فى أن مجلس الأمن، وفى اضطلاعه بواجباته والوفاء بمسئولياته، سيولى كل العناية وسيعمل بنشاط للتصدى لأية حالة تتخذ فيها إجراءات أحادية يمكن أن تهدر المبادئ التى تأسس عليها النظام الدولى والتى تكرست فى ميثاق هذه المنظمة.

إن مصر كدولة مسئولة ارتأت عرض الأمر على مجلس الأمن لتجنب المزيد من التصعيد ولضمان ألا تتسبب الإجراءات الأحادية فى تقويض فرص التوصل إلى اتفاق حول سد النهضة، أو المساس بحقوق ومصالح دولتى المصب، أو، وهو الأمر الأكثر خطورة، تعريض حياة أكثر من 150 مليون مواطن مصرى وسودانى للخطر، على نحو يُفاقم التوتر فى منطقة غير مستقرة.

ولذلك فإننا نرى فى انعقاد جلسة مجلس الأمن اليوم خطوة إيجابية، إذ يعكس التزام أعضاء المجلس باضطلاع هذا الجهاز الرئيسى فى الأمم المتحدة بمسئولياته على النحو المنصوص عليه فى ميثاق المنظمة.

السيد الرئيس،

نحن فى مصر نعيش فى أكثر مناطق حوض النيل جفافاً، وبلادنا الأكثر شُحاً فى المياه على وجه الأرض. فهذا الواقع القاسى يحصرنا فيما لا يزيد عن 7% من أراضينا، وعلى شريط أخضر ضيق ودلتا خصيبة يُقيم فيها الملايين، إذ يبلغ متوسط نصيب الفرد من المياه حوالى 560 متراً مكعباً سنوياً، الأمر الذى يضع مصر على قائمة الدول التى تعانى من الشُح المائى وفقاً للمعايير الدولية.

ومن ناحية أُخرى، فقد حبا الله إخواننا فى إثيوبيا بموارد مائية وفيرة تتضمن متوسط أمطار يصل إلى 936 مليار متر مكعب سنوياً من المياه، بالإضافة إلى أحواض 11 نهراً آخر، بعضها تتشارك فيها مع دول مجاورة، وهى الموارد التى توفر فُرصاً لا حصر لها للتعاون والتكامل الإقليمى.

وهذا كله يعنى أنه إذا تم ملء وتشغيل سد النهضة بشكل أحادى، وفى غياب اتفاق يحقق المنفعة للجميع ويحمى الأرواح وسُبل العيش لمجتمعات دولتى المصب، فإن ذلك قد يؤدى إلى تفاقم الواقع الهيدرولوجى الصعب ويعرض الملايين فى مصر والسودان للخطر.

فى الوقت ذاته، نحن ملتزمون بالعمل بلا كلل لدعم جهود إخواننا فى الدول الإفريقية، وخاصةً دول حوض النيل بما فيها إثيوبيا، لتحقيق الرفاهية؛ الأمر الذى يؤكده التاريخ الطويل للتعاون البنّاء بين مصر وتلك الدول فى تنفيذ مشروعات تنموية عديدة؛ منها بناء السدود ومشروعات حصاد الأمطار وحفر الآبار وإزالة الحشائش التى تعيق تدفق النهر.

ويعكس ما تقدم إيماننا الثابت بمصيرنا المشترك كأفارقة، ويؤكد اقتناعنا بأن نهر النيل ليس حِكراً على مصر أو ملكية خالصة لأية دولة مشاطئة أخرى لهذا النهر، وإنما هو ميراث مشترك ووديعة مُقدسة لخير شعوبنا جميعاً.

ولذلك انخرطت مصر خلال ما يقرب

من عقد كامل من الزمان فى مفاوضات مُضنية حول سد النهضة، وكان هدفنا خلال هذه المفاوضات الشاقة هو الوصول إلى اتفاق عادل يمكن إثيوبيا من تحقيق أهدافها التنموية المشروعة وفى نفس الوقت يقلص من الآثار العكسية والضارة لهذا السد على المجتمعات فى دولتى المصب، وقد عملنا وبذلنا الجهد للتوصل إلى هذا الاتفاق حتى تستفيد إثيوبيا من القدرات التنموية لهذا السد مع الحد من مخاطره على كل من مصر والسودان.

السيد الرئيس،

على ضوء ما حواه خطابا حكومة جمهورية مصر العربية اللذان وُجها إلى مجلس الأمن بتاريخ الأول من مايو و19 يونيو 2020 من تفاصيل خاصة بمراحل التفاوض حول سد النهضة، فإننى سأكتفى هنا بعرض المحطات والملامح الرئيسية لهذه المفاوضات الشاقة التى شاركنا فيها بحُسن نية وأظهرنا إرادة سياسية صادقة للتوصل إلى اتفاق عادل ومتوازن يحفظ حقوق الدول الثلاث التى تتشارك فى النيل الأزرق.

فمنذ أن بدأت إثيوبيا بشكل منفرد فى بناء سد النهضة، شهدت المفاوضات العديد من الاجتماعات الثلاثية والقمم الثنائية بين قادة الدول الثلاث.

وبالإضافة إلى ذلك، وفيما يؤكد التزامنا الذى لا يتزعزع وإيماننا الراسخ بقيم قارتنا الإفريقية، فقد عقدنا وشاركنا فى عدة قمم واجتماعات ثنائية ومتعددة الأطراف مع أشقائنا الأفارقة لتيسير التوصل إلى اتفاق يُؤَمّن لإثيوبيا توليد الكهرباء بكفاءة واستدامة مع الحد من الآثار السلبية لهذا السد، ومنع حدوث الضرر الجسيم لدولتى المصب بسببه.

كما عقدنا عدداً لا يحصى من الاجتماعات الثلاثية لوزراء الموارد المائية وللخبراء الفنيين، بالإضافة إلى لقاءات عديدة لوزراء الخارجية لإحاطة هذه المفاوضات بالدعم السياسى، كما شكلنا لجنة مستقلة من الخبراء الهيدرولوجيين لإعداد رؤية محايدة لسيناريوهات ملء وتشغيل سد النهضة.

ولكن، للأسف، لم تُحقق هذه الجهود أى نجاح.

ولتخطى هذه العقبات وإعطاء دفعة لمحادثاتنا، فقد أبرمت الدول الثلاث فى 23 مارس 2015، اتفاق إعلان المبادئ حول سد النهضة الإثيوبى، وهو اتفاق دولى وضع التزامات واضحة لا غموض أو لبس فى مضمونها، أهمها إعادة تأكيده على التزام إثيوبيا القانونى بإجراء دراسات فنية تفصيلية حول الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية العابرة للحدود للسد، وعلى التزام إثيوبيا السياسى والقانونى بالتوصل إلى اتفاق على القواعد الحاكمة لعمليتى ملء وتشغيل سد النهضة بين الدول الثلاث، والالتزام بعدم المضى فى ملء وتشغيل هذا السد إلا بعد التوصل لهذا الاتفاق، والذى سيضمن لإثيوبيا الاستفادة من الطاقة الكهرومائية لهذا المشروع مع الحد فى الوقت نفسه من آثاره السلبية على دولتى المصب.

وللأسف، ورغم أن الدول الثلاث تعاقدت مع استشارى دولى للقيام بهذه الدراسات حول آثار السد، إلا أن عملية إجراء هذه الدراسات قد عُرقِلت، فلم يتم الانتهاء منها. كما أنه لا توجد لدينا ضمانات حقيقية حول أمان هذا السد وسلامته الإنشائية، ما يعنى أنه، وعلى ضوء غياب البيانات العلمية والفنية الكافية عن هذا السد، فإن مجتمعات دولتى المصب مهددة بأن تعيش تحت وطأة تهديد لا يُعرف مداه ولا أبعاده.

فإذا وقع مكروه - لا قدر الله - لهذا السد الضخم، فإن ذلك سوف يعرض الشعب السودانى الشقيق لمخاطر وجودية فى غضون أيام قليلة، كما سيُعرض مصر أيضاً لمخاطر جمة. وهى المخاوف التى لها ما يبررها، ولعلنا نستذكر ما حدث عام 2010 فى سد جيبى 2 على نهر «أومو» الذى انهار جزء منه بعد بضعة أيام من افتتاحه، والآثار التى ترتبت على ذلك.

كما أنه من المؤسف أن مصر تعرضت، وطوال المسار المضنى لهذه المفاوضات، إلى حملة غير مبررة من المزاعم التى تدعى أنها تسعى لإرغام أطراف أخرى على القبول باتفاقات وتفاهمات ترجع لحقبة استعمارية غابرة، إلا أن واقع الأمر هو أن إثيوبيا لم تبرم أية اتفاقيات وهى خاضعة للاستعمار أصلاً، بل إن كافة الاتفاقيات ذات الصلة بنهر النيل وقعتها إثيوبيا كدولة مستقلة، ومنها الاتفاق الذى أبرمه إمبراطور الحبشة بإرادة حرة مع بريطانيا سنة 1902 والذى يحول دون بناء إثيوبيا لمنشآت تؤثر على سريان المياه فى مجرى النيل الأزرق، ومنها أيضا الاتفاق الإطارى للتعاون الذى وقعه رئيس وزراء إثيوبيا الراحل ميليس زيناوى مع رئيس مصر سنة 1993 والذى ألزمها بعدم إحداث أى ضرر ذى شأن بالمصالح المائية المصرية، فضلاً عن اتفاق إعلان المبادئ لسنة 2015. وكلها اتفاقيات سارية وملزمة يتعين على كافة الأطراف احترامها وتنفيذها.

السيد الرئيس،

مع قرب انتهاء عملية إنشاء سد النهضة، وبعدما ثبت عدم نجاح كافة الأطر التفاوضية السابقة، دعت مصر الولايات المتحدة الأمريكية والبنك الدولى، باعتبارهما شركاء دوليين لجميع الأطراف، للمشاركة فى محادثاتنا للمعاونة فى جسر الهوة بين دولنا الثلاث.

وقد أفضى هذا المسار، ولأول مرة منذ ما يقرب من عقد من المحادثات وبعد مفاوضات مكثفة شاركت فيها الدول الثلاث، إلى اتفاق تم إعداده برعاية الولايات المتحدة وبمساهمة فنية من قبل البنك الدولى، وهو الاتفاق الذى قبلته مصر ووقعته بالأحرف الأولى ورفضت إثيوبيا توقيعه فى آخر لحظة، رغم أنه وفر حلاً عادلاً ومتوازناً يراعى مصالح كافة الأطراف ويحفظ حقوقها المائية.

هذا، وقد أُرسل هذا الاتفاق مُرفقاً بخطاب مصر الموجه إلى مجلس الأمن بتاريخ 19 يونيو2020، وذلك ليكون متاحاً للمجتمع الدولى كدليل على مدى حسن نية مصر وكبرهان، لا يطاله شك، على أنه كان هناك اتفاق منصف وعادل متاح للأطراف كلها للتوقيع عليه.

وانطلاقاً من رغبة مصر الصادقة فى استكشاف كل فرص التوصل إلى اتفاق حول سد النهضة، فقد شاركنا فى الجولة الأخيرة للمفاوضات التى عقدت بدعوة من جمهورية السودان، إلا أن هذه المفاوضات لم تنجح، حيث رأت مصر أنه من الضرورى أن تخلص مفاوضاتنا إلى اتفاق قانونى وملزم وفق أحكام القانون الدولى، وأنه يتعين أن يرد فيه تعريف دقيق لحدود الضرر الجسيم الذى يجب منع وقوعه، فضلاً عن آلية لفض النزاعات لضمان التنفيذ الكامل للاتفاق. إلا أنه تم الدفع بأنه من الأنسب أن يُكْتفى بالتوصل لمجرد إرشادات ذات طبيعة قانونية مبهمة وغير واضحة ويجوز تعديلها بشكل أحادى. كما

نص كلمة وزير الخارجية سامح شكرى أمام مجلس الأمن حول سد النهضة

اقترح ألا تتضمن هـذه الورقة التزاماً واضحاً بعدم إلحاق الضرر الجسيم بدول المصب.

وتأكيداً لموقفها المبدئى القائم على ضرورة ملء وتشغيل سد النهضة وفق اتفاق يحقق المنفعة للأطراف كافة ويعزز من مصالحها المشتركة، قبلت مصر دعوة فخامة الرئيس سيريل رامافوزا رئيس جمهورية جنوب إفريقيا لعقد اجتماع غير عادى لهيئة مكتب القمة الإفريقية يوم 26 يونيو الجارى للتشاور حول هذا الموضوع.

وقد هدف هذا الاجتماع إلى ضمان التوصل لاتفاق حول سد النهضة فى أسرع وقت ممكن، وعليه تم الاتفاق على عقد اجتماعات فنية على المستوى الحكومى لتحقيق هذا الهدف خلال أسبوعين.

كما التزمت إثيوبيا خلال هذا الاجتماع بألا تتخذ أى إجراءات أحادية لملء خزان سد النهضة قبل التوصل إلى الاتفاق، وهو التعهد الذى لا يمكن تفسيره إلا كالتزام واضح بضمان ألا يتم ملء سد النهضة إلا وفق قواعد تتفق عليها الدول الثلاث.

إن أى فهم آخر أو تفسير مغاير لهذا الالتزام سوف يشى بغياب الإرادة السياسية للتوصل إلى اتفاق حول سد النهضة وسيكشف عن رغبة لفرض أمر واقع غير مقبول على دولتى المصب، وسعى لإنفاذ إرادة دولة المنبع على دولتين تشاركها فى نهر دولى، وهو ما سيجعل أية مفاوضات أخرى بمثابة جهد عبثى.

السيد الرئيس،

إنه من واجب مجلس الأمن أن يأخذ علماً بنتائج اجتماع هيئة مكتب القمة الإفريقية وأن يُرحب بها ويدعو الدول الثلاث للالتزام بتعهداتها التى قطعتها على نفسها.

وفى حين أن المنظمات الإقليمية لديها دور مهم، فإننا كأعضاء مسئولين فى المجتمع الدولى، وبما لا شك فيه أن مجلس الأمن يظل هو الجهاز الأهم فى النظام الدولى فيما يتعلق بالموضوعات ذات الصلة بحفظ السلم والأمن الدوليين.

واستناداً لذلك، وعلى ضوء مسئوليته لحفظ السلم والأمن الدوليين وفق ميثاق الأمم المتحدة فإن مصر توجهت بهذه القضية إلى مجلس الأمن. ومع استمرارنا فى الانخراط فى عملية تفاوضية فى إطار آلياتنا الإفريقية، يظل من الضرورى قيام هذا المجلس، وهو جهاز رئيسى بالمنظمة بالانخراط النشط فى هذا الموضوع.

إن ملء سد النهضة بشكل أحادى ودون اتفاق مع مصر والسودان سوف يهدد مصالح دولتى المصب اللتين يعتمد وجودهما وبقاؤهما على نهر النيل. كما أن تشغيل هذا السد العملاق بشكل أحادى قد يكون له تأثيرات اجتماعية واقتصادية مدمرة سوف تؤثر على كافة مناحى الأمن الإنسانى للمصريين، بما فى ذلك الأمن الغذائى والأمن المائى والأمن البيئى والصحة العامة، كما أنه سيعرض الملايين لمخاطر اقتصادية ستؤدى إلى ارتفاع معدلات البطالة والجريمة والهجرة غير الشرعية، فضلاً عن التأثير على النُظم البيئية والتنوع البيولوچى وزيادة المخاطر الناجمة عن تغير المناخ.

إن مثل هذه المخاطر التى تَلوح أمامنا تمثل تهديداً خطيراً للأمن والسلم الدوليين، كما قد تنجم عنها آثار سياسية خطيرة بل مُزلزلة، حيث ستوضع دولتا المصب فى موقف لا يمكن تحمله وسيتولد مناخ من العداء بين بلداننا، وستُزرع بذور التناحر بين شعوبنا.

ومن هنا، فإنه يتعين على مجلس الأمن والمجتمع الدولى أن يبذل كل الجهد ويدعم أية مبادرة قد تساهم فى إزالة هذا الخطر الداهم ورفع هذا التهديد الذى يلوح فى الأفق.

فرغم أن موقفنا يظل هو أن الحل الناجع لمسألة سد النهضة يتمثل فى التوصل إلى اتفاق عادل ومتوازن، إلا أن مصر سوف تحفظ وتؤمن المصالح العليا للشعب المصرى – فالدفاع عن البقاء ليس محض اختيار، إنما هو مسألة حتمية تفرضها طبيعة البشر.

وبالتالى، فإننا نناشد مجلس الأمن لحث الأطراف على التفاوض بحسن نية للتوصل إلى اتفاق حول سد النهضة، والامتناع عن أى إجراءات أحادية حتى إبرام هذا الاتفاق... وحتى نصل إلى مُبتغانا هذا، يجب أن يظل الأمر قيد نظر المجلس فى إطار اضطلاعه بواجباته.

وفى هذا السياق، فقد تقدمت مصر بمشروع قرار لتداول مجلس الأمن بشأنه، وهو النص الذى يتسق مع مخرجات اجتماع هيئة مكتب الاتحاد الإفريقى، حيث يدعو الدول الثلاث للتوصل إلى اتفاق حول سد النهضة فى غضون أسبوعين، ولعدم اتخاذ إجراءات أحادية فيما يتعلق بسد النهضة، ويؤكد على الدور الحيوى لسكرتير عام الأمم المتحدة فى هذا الصدد. إن مشروع القرار الذى تقدمت به مصر لا يرمى إلى الافتئات على أية عملية تفاوضية أو استباقها، وإنما يهدف إلى تأكيد اهتمام وحرص المجتمع الدولى، على أعلى مستوى، على التوصل إلى اتفاق بشأن سد النهضة، وإدراكه لخطورة اتخاذ أى إجراءات أحادية فى هذا الشأن.

وفى الوقت الذى نمد فيه بكل الثقة يد الصداقة لأشقائنا، فإننا ننتظر من إخواننا الذين نشاركهم نهر النيل أن يُبادلونا حسن النية وأن يتصرفوا بمسئولية، ففى الوقت الذى ندعم بكل الصدق حق إثيوبيا فى التنمية، بما فى ذلك من خلال استخدام مواردنا المائية المشتركة، فإننا نؤمن بأن العدالة تقتضى أن تحترم إثيوبيا حق مصر فى الحياة.

فكما قال فخامة الرئيس عبد الفتاح السيسى فى خطابه أمام الجلسة المشتركة للبرلمان الإثيوبى، وهنا أقتبس:

« أدعوكم اليوم لكى نضع معاً ركائز مستقبل أفضل لأبنائنا ولأحفادنا ... مستقبل تُضاء فيه كل فصول المدارس فى إثيوبيا ... ويشرب فيه كل أطفال مصر من نهر النيل كعهد آبائهم وأجدادهم ... مستقبلٌ يتسع فيه اقتصاد البلدين ليستوعب قوتهما العاملة بما يضمن العيش الكريم لشعبينا ... ويحقق الإنتاج الوفير لبلدينا ... ولكى يستعيدا مكانتهما بين الأمم بما يتسق مع تاريخهما وقدراتهما»

وفى الختام، سيدى الرئيس، أود أن أؤكد مجدداً على أننا مستعدون لبذل كل الجهد للتوصل إلى اتفاق حول سد النهضة. لذا، فإننى أدعو أصدقائى وزملائى فى إثيوبيا والسودان إلى استدعاء روح الأخوة والقربى التى تربط بين بلادنا وشعوبنا، وأن نعلى الحقيقة الثابتة بوحدتنا وترابطنا، وأن نغتنم الفرصة السانحة أمامنا لصياغة مصائرنا وإعادة كتابة تاريخنا، ورسم مسار جديد من السلام والرخاء لشعوبنا.

شكراً سيدى الرئيس.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

وزير الخارجية سامح شكرى يتلقى اتصالاً هاتفياً من نظيره الفرنسى

فى إطار التواصُل والتنسيق الدورى بين البلدين الصديقين، تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من وزير أوروبا والشئون الخارجية الفرنسى «جان إيف لو دريان»، وذلك لبحث مسار العلاقات الثنائية والقضايا ذات الاهتمام المشترك.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الاتصال تناول بحث آخر مُستجدات الوضع على الساحة الليبية وسُبل التوصل لتسوية سياسية شاملة للأزمة بما يعمل على استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على الإرهاب، فضلاً عن تحقيق تطلعات الشعب الليبى الشقيق، مع التحذير من مغبة التدخلات الخارجية فى ليبيا. كما تبادل الوزيران الرؤى حول التطورات الخاصة بالقضية الفلسطينية، حيث تم إعادة التأكيد على ضرورة العمل على سرعة استئناف مسار عملية السلام فى إطار مبدأ حل الدولتين، وخلق المناخ الملائم لذلك بعيداً عن أية إجراءات أحادية تحول دون تحقيق السلام والاستقرار المنشودين. هذا، وقام الوزيران أيضاً بتناوُل آخر تطورات ملف سد النهضة.

كما أضاف حافظ أن الوزيرين تطرقا إلى العلاقات الثنائية التى تجمع بين مصر وفرنسا فى مختلف المجالات بما فى ذلك على صعيد التعاون الاقتصادى، وأهمية مواصلة جهود دفع هذا التعاون المشترك بما يُحقق تطلعات ومصالح شعبيّ البلدين الصديقين.

وزير الخارجية يُجرى اتصالاً هاتفيًا مع نظيره الصيني

أجرى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفيًا مع مستشار الدولة وزير خارجية جمهورية الصين الشعبية «وانج يي»، حيث تناول الاتصال استعراض أوجه التعاون الثنائى بين البلدين والتشاور بشأن أهم القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المُشترك.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى حرص على التأكيد على ما توليه مصر من أهمية لدفع مجالات التعاون المشتركة مع الصين إلى آفاق أرحب خلال الفترة المُقبلة، وبما يعكس خصوصية وتاريخية العلاقات بين البلدين والشعبين الصديقين. وقام الوزير الصينى، من جانبه، بنقل تحيات وتقدير الرئيس الصينى «شى جيم بينج» للسيد رئيس الجمهورية، مؤكدًا على الدور الهام الذى تلعبه مصر على الساحتين الإقليمية والدولية، فيما قام الوزير شكرى بنقل تحيات السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى إلى الرئيس الصينى.

هذا، وأشار المتحدث الرسمى إلى أن الوزيرين أعربا عن رضائهما عن التطور الملموس الذى يشهده مسار العلاقات المصرية الصينية خلال الآونة الأخيرة تحت رعاية قيادة البلدين، وفى إطار توجيهاتهما بالدفع قدماً بآليات التعاون الثنائى فى ضوء الشراكة الاستراتيجية الشاملة التى تجمع بين البلدين.

شكرى يستقبل نظيره اليونانى بمقر وزارة الخارجية

فى إطار التواصل المستمر بين وزيريّ خارجية مصر واليونان، استقبل سامح شكرى وزير الخارجية، نظيره اليونانى «نيكوس دندياس»، حيث تناولت المباحثات بين الجانبين سُبل دفع وتطوير علاقات التعاون التى تجمع بين البلدين الصديقين فى المجالات المختلفة، والقضايا الإقليمية والدولية محل الاهتمام المشترك.

وفى تصريح للمستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، ذكر أن الوزير شكرى أعرب فى مستهل اللقاء عن الترحيب بزيارة نظيره اليونانى إلى القاهرة، مثمناً المستوى المتميز الذى وصلت إليه علاقات التعاون بين القاهرة وأثينا على الأصعدة المختلفة، ومعرباً عن تطلع مصر لمواصلة تطويرها، سواء على المستوى الثنائى أو فى إطار آلية التعاون الثلاثى مع قبرص. كما نوه شكرى إلى الأولوية التى توليها مصر لاستمرار التنسيق مع اليونان إزاء كافة القضايا المشتركة، بما يحقق مصالح شعبى البلدين الصديقين ويدعم أمن وسلامة المنطقة.

كما أوضح أن الوزير شكرى شدد على ضرورة الحفاظ على الزخم الذى شهدته العلاقات خلال السنوات الماضية، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين البلدين.

عبر الفيديو كونفرانس... وزير الخارجية يُشارك فى المؤتمر رفيع المستوى لتعزيز التعاون الدولى فى إطار مبادرة الحزام والطريق

شارك وزير الخارجية سامح شكرى عبر تقنية الفيديو كونفرانس، فى المؤتمر رفيع المستوى حول تعزيز التعاون الدولى للحزام والطريق من أجل مكافحة فيروس «كورونا» المُستجد عبر التضامن المُشترك.

وصرح المُستشار أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى استهل كلمته بالإعراب عن التقدير لمستشار الدولة وزير الخارجية الصينى «وانج يي» للدعوة لهذا المؤتمر والذى ينعقد فى ظل ذلك الظرف الحرج الذى تواجهه الإنسانية جمعاء، مُثمناً على ما تمثله مبادرة الحزام والطريق من التزام صينى بتعزيز التعاون الدولى من أجل إيجاد حوار بناء يستهدف التعامل مع جائحة فيروس «كورونا»، خاصة وأنها تُعد من أكبر الأزمات الصحية فى التاريخ التى لا تقتصر تأثيراتها السلبية على الجوانب الإنسانية فحسب، بل لها أيضًا تأثير مُدمر على الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية، لاسيما فى الدول النامية والأقل نموًا الأكثر عُرضة للتأثر بالجائحة وتبعاتها.

نشـــاط السفـــــارات

شيكاغو

حرصت القنصلية العامة فى شيكاغو على استمرار التواصل مع الجالية المصرية فى ولايات وســـط وغرب الولايات المتحدة الأمريكية للمتابعة وللاطمئنان على أحوال المواطنين وصحتهم العامة وظروفهم المعيشية، وذلك بالتنســـيق مع جمعية الجالية المصرية والكنائس المصرية والمؤسسة المصرية الإسلامية.

وقد قام الدكتور ســـامح أبو العينين، قنصل عام مصر فى شيكاغو، بالاطمئنان على حالات الإصابات بفيروس «كورونا» المســـتجد وســـط الجالية بولاية متشيجن الأمريكية، والتى بلغت حوالـــى ٤٠ حالة حتى الآن. كما قام القنصل العام وأعضاء البعثة بدعم وتأييد مجموعة الأطباء المصريين بولاية إلينوى وضواحيها، خاصة الذين يعملون فى أقسام الطوارئ والرعاية الحرجة بالمستشفيات الكبرى، ولهم دور بارز فى التعامل مع الأزمة على مدار الفترة الماضية.

ومن ناحية أخرى، قام القنصل العـــام بالاتصال برئيس الجالية المصرية للاطمئنان على أحوال العاملين المصريين فى القطاعات المختلفة، والتباحث حول سبل دعمهم.

جاكرتا

قام الســـفير أشرف سلطان، ســـفير جمهورية مصر العربية فى إندونيسيا، بتقديم أوراق اعتماده للرئيس الإندونيسى Joko Widodo. وقد أعقب انتهاء مراسم تقديم أوراق الاعتماد عقد لقاء مع وزيرة الخارجية الإندونيسية Retno Marsudi، عبر الفيديو كونفرانس، حيث رحبت بالسفير أشرف سلطان فى إندونيسيا مُشيرة إلى العلاقات الثنائية المُتميزة بين البلدين وحرص بلادها المُستمر على التنسيق والتشاور الثنائى مع مصر بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك.

من جانبه، أشار السفير سلطان إلى تطلع مصر للتعاون الجاد مع الجانب الإندونيسى لدفع علاقات التعاون الثنائى بين البلدين خلال المرحلة المُقبلة، والبناء على ما تم خلال الســـنوات الأخيرة، وبخاصة نتائج ومخرجات الزيارة المهمة التى قام بها السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى إندونيسيا فى سبتمبر 2015، وبما يتناسب مع الفرص المتاحة بالبلدين وإمكاناتهما الآخذة فى النمو.

رابطة الآسيان

قام السفير أشرف سلطان، ســـفير جمهورية مصر العربية لدى اندونيسيا، بتقديم أوراق الاعتماد كسفير لمصر لدى رابطة دول جنوب شرق آسيا «الآسيان» إلى السكرتير العام للرابطة الســـيد Dato Lim Jock Hoi. بحث السفير سلطان سبل ترفيع العلاقات المُشتركة بين مصر والآســـيان خلال الفترة المُقبلة، وبما يعكس حجم الانجـــازات الاقتصادية التى حققتها مصر خلال السنوات الأخيرة لا ســـيما فى مجالات تطوير البنية التحتية ووسائل النقل والمواصلات وتدشين عدد من المدن الجديدة إلى جانب الاستثمار فى العنصر البشرى والتقنى والتكنولوجى.

من جانبه، أوضح الســـكرتير العام للرابطة أن مصر دولة هامة للآسيان من الناحية السياسية والاقتصادية وكمركز ثقل إقليمى فى الشـــرق الأوســـط والمنطقة العربية، وأن لمصر مكانة سياسية مُتميزة لدى الآســـيان، مؤكدًا أن الرابطة تتطلع لترفيع تلك العلاقة فى المستقبل إلى آفاق أرحب وأشمل بما يُحقق المصالح الاقتصادية للجانبين ويدعم جهود التنمية.

لندن

أجرى السفير طارق عادل، سفير مصر فى لندن، مشـــاورات هاتفيـــة مع «جيمس كليفرلـــي» وزير الدولة البريطانى للشـــرق الأوسط وشـــمال إفريقيا، حيث أعرب الوزير البريطانى عن تقدير بلاده لمشـــاركة السيد الرئيس عبدالفتاح السيســـى بالقمة العالمية للقاحات التى نظمتها بريطانيا يوم 4 يونيو الجـــارى عبر التواصل الإلكترونى، مشـــيداً بالرســـالة القوية التى وجهها السيد رئيس الجمهورية خلال مداخلة سيادته بالقمة حول ضرورة تعزيز التعـــاون والتضامن الدولى للتصدى لجائحة فيروس «كورونا».

كما شـــهد الاتصال تباحثاً حول ســـبل تعزيز العلاقات المصرية البريطانية بمختلف جوانبها خـــلال الفترة القادمـــة، حيث أكد الوزير «كليفرلي» تطلـــع وحرص بريطانيا على الارتقـــاء بالتعاون الثنائى مع مصر فى المجالات المختلفة بما يحقق مصالح البلدين.

وتطرقت المناقشـــات أيضاً إلى تطورات عدد مـــن القضايا الإقليمية، وعلى رأســـها مســـتجدات الأزمة الليبية، فضلاً عن الموقف الراهن فى ملف المفاوضات حول سد النهضة بين مصر والسودان وإثيوبيا.

جنيف

تسلم الســـفير علاء يوسف مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى فى جنيف رئاسة المجموعة الإفريقية والتى تضم فـــى عضويتها ســـفراء الدول الأعضاء فى الاتحـــاد الإفريقى، وتعمل على الدفع بأولويات ومصالح القارة الإفريقية فى الأمم المتحـــدة وغيرها من المنظمات الدولية فى جنيف. هذا وقد أكد الســـفير علاء يوسف خلال الاجتماع تضامن مصر مع كافة الجهود التى تبذلها الدول الإفريقية لمكافحة انتشار جائحة «كورونـــا» متمنياً لشـــعوب الدول الإفريقية التعافى من هذه الأزمة وتداعياتها فى أســـرع وقت ممكن. وشدد على ضرورة تكثيف جهود المجموعة الإفريقية فى جنيف خلال الفترة القادمة لدعم الجهود التى يبذلها الاتحاد الإفريقى ودوله الأعضاء فى التعامل مع تداعيـــات الأزمة الصحيـــة، بما فى ذلك من خلال تكثيف التواصل مع الأمم المتحدة ومختلف المنظمـــات الدولية الأخرى بهدف توفير الدعم اللازم للأشخاص والمجموعات الأكثر تأثراً بهذه الأزمة داخل القارة.

وشدد السفير علاء يوسف على ضرورة تركيز المجموعة فى اتصالاتها مع المنظمات الأممية والدولية خلال الفترة القادمة على عدد من المجـــالات ذات الأولوية من بينها ضمان النفاذ إلى الدواء والمنتجات والأدوات الطبية، وتخفيف عبء الديون الأجنبية، ومعالجة آثار الأزمة الصحية الحاليـــة على التمتع بحقوق الإنسان وعلى رأسها الحق فى الحياة والصحة والتنمية.

بوروندى

استقبلت السفيرة د.عبير بسيونى رضوان سفيرة مصر لدى بوروندى بمقر السفارة المصرية فى بوجمبورا كلاً من السيد Avit Nyayiragije المحرر من صحيفة Le Renou-veau اليومية (الصحيفة الأوسع انتشاراً فى بوروندي) وكذلك السيد Joseph BIZIMANA من راديو سلامه (وهو إذاعة خاصة ذائعة الصيت فى منطقة شرق إفريقيا) فى حديث صحفى تم نشره يوم 25 مايو 2020 بمناسبة إحياء يوم إفريقيا والتى تتم فى 25 مايو من كل عام. تناولت السفيرة المصرية بالحديث إبراز انتماء مصر الإفريقى ودورها بالقارة الإفريقية على مراحل تطور القارة المتنوعة من مكافحة الاستعمار حتى نشر السلم وحالياً الكفاح من أجل حياة أفضل ومن أجل الحرية الاقتصادية والتنمية المستدامة ومكافحة الإرهاب والأوبئة والأمراض مع تسليط الضوء على قدرات القارة الإفريقية والفرص المتاحة فيها، وخصت بالحديث ما تم من إنجازات خلال فترة رئاسة مصر المتميزة للاتحاد الإفريقى 2020.

كما أعلنت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان أنه بمناسبة إحياء يوم إفريقيا ٢٠٢٠ سيقوم مركز شباب كامينجى يوم ٢٥ مايو ٢٠٢٠ بعرض الفيلم الروائى الطويل «ناصر 56» وذلك إحياءً لذكرى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر أحد الآباء المؤسسين لمنظمة الوحدة الإفريقية (والتى تحولت فيما بعد إلى منظمة الاتحاد الإفريقي) ورائد حركات التحرر الإفريقية والذى تكن له الشعوب الإفريقية كل الاحترام والتقدير لدوره فى مساعدتهم على الاستقلال.

كينيا

قام السفير خالد الأبيض، سفير جمهورية مصر العربية فى نيروبى، بتسليم شحنة مساعدات غذائية مهداة من الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية إلى حكومة وشعب جمهورية كينيا. شارك فى مراسم التسليم وزير اللامركزية الكينى Eugene Wamalwa الذى عبّر عن امتنانه لمصر شعباً وحكومةً لمسارعتها فى تقديم يد العون لدعم جهود الدولة الكينية، وذلك فى ظل ما تواجهه من تحديات متعددة خلال الفترة الأخيرة على غرار موجات الفيضانات واجتياح أسراب الجراد الصحراوى لعدد من المقاطعات الكينية.

من جانبه، أكد السفير خالد الأبيض فى تصريحاته إبان مراسم تسليم الشحنة أن الدولة المصرية حريصة دوماً على مساندة الدول الإفريقية الشقيقة، مضيفاً أن تلك المساعدات تجسد العلاقات الأخوية والمتميزة بين مصر وكينيا.

إندونيسيا

استجابة لمبادرة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب بتخصيص يوم 14 مايو الماضى للصلاة والدعاء من أجل الإنسانية لمواجهة جائحة كورونا، نظم المجلس الاستشارى لعلماء إندونيسيا فعالية عبر الفيديو كونفرانس تحت عنوان «الدعاء من أجل الوطن والإنسانية» والتى شارك فيها أكثر من 200 شخص من بينهم رئيس جامعة الأزهر، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وأمين عام اللجنة العليا للأخوة الإنسانية، ووزير الشئون الدينية الإندونيسية، ونائب الرئيس الإندونيسى السابق والرئيس العام لديوان مساجد إندونيسيا، ورئيس المجلس الاستشارى، فضلاً عن شخصيات أكاديمية ودينية بارزة من البلدين.

تضمنت الفعالية إذاعة كلمة متلفزة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حول فيروس «كورونا» كما ألقى رئيس جامعة الأزهر كلمة نيابة عن فضيلته، وألقى وزير الشئون الدينية الإندونيسية كلمة موجزة، فضلاً عن كلمات لنائب الرئيس الإندونيسى السابق، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وأمين عام اللجنة العليا للأخوة الإنسانية.

كندا

شارك سفير مصر فى كندا «أحمد أبو زيد»، فى اجتماع عبر خاصية الفيديو كونفرانس مع وزيرة التنمية الدولية الكندية «كارينا جولد»، وسفيرة كندا للمرأة والسلم والأمن «جاكلين أونيل»، ومساعدة نائب وزير خارجية كندا للشئون الإفريقية «إيزابيل بيرار»، وعدد من سفراء الدول الإفريقية المعتمدين فى كندا، وذلك لاستعراض الجهود الدولية والإفريقية فى مجال تمكين المرأة وتوفير الحماية لها خلال أزمة جائحة «كورونا»، فضلاً عن استعراض جهود الدول فى تنفيذ خطط العمل الوطنية فى مجال المرأة والسلم والأمن.

وفى تصريح للسفير المصرى عقب الاجتماع، أشار إلى أنه حرص على استعراض الجهود الرائدة التى اضطلعت بها مصر مؤخراً على المستويين الوطنى والدولى لتوفير الحماية للمرأة خلال جائحة «كورونا»، موضحاً أنه وعلى المستوى الوطنى، أصدر المجلس القومى للمرأة مؤخراً «ورقة سياسات» بهدف تعزيز الاستجابة للاحتياجات الخاصة للمرأة والفتاة فى المجالات الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، فى ظل إجراءات مكافحة الجائحة، بالإضافة إلى الدور الذى يضطلع به مركز القاهرة الدولى لتسوية النزاعات وحفظ وبناء السلام بالتعاون مع مختلف أجهزة الدولة المعنية.

القرار رقم 8523
الصادر عن اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى فى دورته غير العادية المنعقدة عبر تقنية الفيديو كونفرانس بشأن تطورات الوضع فى ليبيا

إن مجلس الجامعة على المستوى الوزارى فى دورته غير العادية المنعقد عبر تقنية الفيديو كونفرانس بتاريخ الثلاثاء 23/6/2020 برئاسة معالى السيد يوسف بن علوى بن عبد الله - الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية لسلطنة عمان وبمشاركة السادة وزراء الخارجية والسيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، بطلب من جمهورية مصر العربية وتأييد الدول الأعضاء، - بعد اطلاعه:

- على مذكرة الأمانة العامة،
- وعلى المذكرة المقدمة من جمهورية مصر العربية رقم 1640 بتاريخ 21/6/2020،
- واستناداً الى القرار رقم)753(بتاريخ 31/3/2019 الصادر عن الدورة العادية) 30(لمجلس الجامعة على مستوى القمة التى انعقدت بتونس/ الجمهورية التونسية وقرارات مجلس الجامعة رقم 8471 بتاريخ 4/3/2020، ورقم 8518 بتاريخ 4/3/2020، ورقم 8456 بتاريخ 31/12/2019 .

يقـــــرر:

1 - التأكيد على الالتزام بجميع القرارات السابقة الصادرة عن المجلس وآخرها القرار رقم) 753(الصادر عن الدورة العادية) 30(لمجلس الجامعة على مستوى القمة التى انعقدت بتونس - الجمهورية التونسية بتاريخ 31/3/2019، وقرار المجلس على المستوى الوزارى 8471 د.ع)153(بتاريخ 4/3/2020.

2 - التأكيد مجدداً على الالتزام بوحدة وسيادة ليبيا وسلامة أراضيها ولحمتها الوطنية واستقرارها ورفاهية شعبها ومستقبله الديمقراطى، والتأكيد على ضرورة العمل على استعادة الدولة الليبية الوطنية ومؤسساتها لدورها فى خدمة الشعب الليبى بعيداً عن أية تدخلات خارجية.

3 - التأكيد على أهمية الحل السياسى الشامل للأزمة الليبية، وعلى دعم المجلس للتنفيذ الكامل للاتفاق السياسى الليبى الموقع فى مدينة الصخيرات بتاريخ 17/12/2015، والتأكيد على دور كافة المؤسسات الشرعية المنبثقة عن الاتفاق السياسى الليبى، ومخرجات مختلف المسارات الدولية والإقليمية وآخرها مؤتمر برلين.

4 - التأكيد على الدور المحورى والأساسى لدول جوار ليبيا وأهمية التنسيق فيما بينها فى جهود انهاء الازمة الليبية، والترحيب بالبيان الختامى الصادر عن اجتماع وزراء خارجية دول جوار ليبيا الذى عقد فى الجزائر برعاية كريمة من فخامة الرئيس الجزائرى عبد المجيد تبون بتاريخ 23/1/2020.

5 - التشديد على رفض وضرورة منع التدخلات الخارجية أياً كان نوعها ومصدرها التى تسهم فى تسهيل انتقال المقاتلين المتطرفين الإرهابيين الأجانب الى ليبيا، وكذلك انتهاك القرارات الدولية المعنية بحظر توريد السلاح بما يهدد امن دول الجوار الليبى والمنطقة.

6 - التأكيد على أن التسوية السياسية بين جميع الليبيين بمختلف انتماءاتهم هى الحل الوحيد لعودة الامن والاستقرار اليها والقضاء على الإرهاب، والإعراب عن القلق الشديد من أن التصعيد العسكرى الخارجى يفاقم الوضع المتأزم فى ليبيا ويهدد أمن واستقرار المنطقة ككل بما فيها المتوسط، ويؤكد على ضرورة وقف الصراع العسكرى.

7 - التأكيد على رفض كافة التدخلات الأجنبية غير الشرعية التى تنتهك القوانين والقرارات والأعراف الدولية، وتسهم فى انتشار الميليشيات المسلحة الإرهابية الساعية لنشر أفكار التطرف وتغذية العنف والارهاب، والمطالبة بسحب كافة القوات الأجنبية الموجودة على الأراضى الليبية وداخل المياه الإقليمية الليبية، والتحذير من مغبة الاستمرار فى العمل العسكرى لتحريك الخطوط التى تتواجد عليها الأطراف حالياً تفادياً لتوسيع المواجهة.

8 - الترحيب بكافة المبادرات والجهود الدولية وجهود دول الجوار الرامية الى وقف العمليات العسكرية واستئناف العملية السياسية فى ليبيا برعاية الأمم المتحدة وفى هذا السياق الترحيب بإعلان القاهرة 2 بشأن ليبيا الصادر يوم 6/6/2020 والذى يرتكز على ان الحل فى ليبيا يجب ان يستند الى الاتفاق السياسى الليبى وقرارات مجلس الامن ذات الصلة ومخرجات مؤتمر برلين والقمم والجهود الدولية الأممية السابقة التى نتج عنها طرح لحل سياسى شامل يتضمن خطوات تنفيذية واضحة فى المسارات السياسية والأمنية والاقتصادية واحترام حقوق الانسان والقانون الإنسانى الدولى والطلب من كافة الأطراف الليبية والدولية التعاطى بإيجابية مع هذه المبادرات.

9 - الاعراب عن الدعم الكامل لجهود بعثة الأمم المتحدة للدعم فى ليبيا والهادفة الى التوصل لتسوية للازمة من خلال المسارات الثلاث فى ضوء نتائج مؤتمر برلين، وقرار مجلس الامن) 2510(، وحث سكرتير عام الأمم المتحدة على الإسراع فى تسمية مبعوثه الخاص، تفادياً لسلبيات الفراغ على تحقيق التقدم المنشود فى كافة المسارات.

10 - التأكيد على ضرورة التوصل الفورى الى وقف دائم لأطلاق النار، والاتفاق على ترتيبات دائمة وشاملة لتنفيذه والتحقق من الالتزام به من خلال استكمال اعمال مسار المباحثات الدائرة فى إطار اللجنة العسكرية المشتركة) 5+5(بجنيف برعاية الأمم المتحدة، والعودة السريعة لمفاوضات الحل السياسى، واستكمال تنفيذ مسارات مؤتمر برلين فى جانبيها السياسى والاقتصادى لتحقيق تسوية شاملة للأزمة، تمهيداً لإجراء الانتخابات لتتاح الفرصة للشعب الليبى لاختيار ممثليه بحرية ،والانتقال الى بناء الدولة المدنية الديمقراطية.

11 - التأكيد على أهمية قيام الأمم المتحدة والمجتمع الدولى بإلزام كافة الجهات الخارجية بإخراج المرتزقة من كافة الأراضى الليبية، والعمل على توحيد المؤسسات العسكرية والأمنية فى ليبيا ضمن مسار الحل السياسى، وتفكيك الميليشيات وتسليم أسلحتها وفقاً لخلاصات مؤتمر برلين.

12 - إدانة كافة الانتهاكات لحقوق الإنسان أياً كان مرتكبوها فى كافة الأراضى الليبية، والتأكيد على أهمية إيلاء الحماية لكافة الأجانب فى ليبيا.

13 - التأكيد على الدور الأساسى لجامعة الدول العربية فى تعزيز التشاور والتنسيق بين الدول الأعضاء ،بهدف التوصل الى تسوية سياسية شاملة للازمة الليبية، ومواصلة الجهد القائم فى إطار اللجنة الرباعية والتنسيق مع الشركاء الاخرين المعنيين بالشأن الليبى وخاصة الاتحادين الافريقى والاوروبى.

14 - الطلب الى الأمين العام متابعة تنفيذ هذا القرار، وتقديم تقرير الى المجلس فى هذا الشأن، وكذلك مواصلة اتصالاته ومشاوراته مع

سكرتير عام الأمم المتحدة ومختلف الأطراف الليبية والتأكيد على تعزيز دور جامعة الدول العربية من اجل تذليل الصعاب التى ما زالت تعترض تنفيذ الاتفاق السياسى الليبى.

- تتحفظ الجمهورية التونسية على الفقرة) 8(من القرار. كما تتحفظ على السطر الأخير من الفقرة) 7(من القرار وهى "التحذير من مغبة الاستمرار فى العمل العسكرى لتحريك الخطوط التى تتواجد عليها الأطراف حاليا تفادياً لتوسع المواجهة".

- تتحفظ جمهورية الصومال الفيدرالية على البند السابع والبند الثامن والبند الحادى عشر من مشروع القرار الذى أعدته لجنة الصياغة المصغرة المكونة من مصر وتونس والجزائر والمغرب وليبيا.

- توافق دولة قطر رئاسة المجلس على ضرورة رفع البندين المختلف عليهما بين مصر وليبيا رقمى)8، 11(من مشروع القرار ورفعهما الى الأمين العام لدراستهما وفى حال عدم القبول بذلك فان دولة قطر تتحفظ على البندين) 7، 8(.

- تؤكد دولة ليبيا على وجوب التفريق بين القوات المتواجدة فى ليبيا بطريقة شرعية تم استدعائها باتفاق معلن ومكتوب مع الحكومة الشرعية ومودعاً لدى الأمم المتحدة وبين قوات أخرى اقحمت نفسها فى الصراع بشكل غير شرعى، وتستغرب دولة ليبيا من ازدواجية المعايير التى اتبعتها الجامعة العربية فى التعامل مع الوضع فى ليبيا، حين لم يصدر قرارا يدعو القوات المعتدية وداعميها حين كانت العاصمة طرابلس تحت قصف الطيران ونيران المدافع، لوقف عدوانها وعملياتها العسكرية واليوم وبعد أن تمكن الجيش الليبى والقوات المساندة له التابع للحكومة الشرعية من دحر العدوان واتجه نحو استرجاع المدن المختطفة وبسط سيطرة الدولة عليها تتم المطالبة برسم الخطوط الحمراء على ذلك. لذلك تتحفظ دولة ليبيا على الفقرة السابعة بداية من المطالبة بسحب القوات والى نهاية الفقرة.

تتحفظ دولة ليبيا على الفقرة الثامنة من نص القرار، وتؤكد على أن من يريد لعب دور الوساطة يجب أن يكون على مسافة واحدة من جميع الأطراف، وأن لا ينحاز لطرف دون آخر ونظراً لأنه لم يتم دعوة حكومة الوفاق الحكومة الشرعية او استشارتها فى هذه المبادرة علاوة على أنها لا تستند على مرجعيات التسوية السياسية فى ليبيا سواء الاتفاق السياسى الليبى الموقع فى مدينة الصخيرات، او مبادرة برلين او قرار مجلس الامن 2510، ولذلك تتحفظ دولة ليبيا على كامل نص الفقرة الثامنة.

القرار رقم 8524

الصادر عن اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى فى دورته غير العادية المنعقدة عبر تقنية الفيديو كونفرانس بشأن سد النهضة الإثيوبي

إن مجلس الجامعة على المستوى الوزارى فى دورته غير العادية المنعقد عبر تقنية الفيديو كونفرانس يوم الثلاثاء 23/ 6/ 2020 برئاسة معالى السيد يوسف بن علوى بن عبد الله - الوزير المسئول عن الشئون الخارجية لسلطنة عمان وبمشاركة السادة وزراء الخارجية والسيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، بطلب من جمهورية مصر العربية وتأييد الدول الأعضاء،

- بعد الاستماع للإحاطة التى قدمها السيد وزير خارجية جمهورية مصر العربية بشأن آخر التطورات المرتبطة بملف سد النهضة الإثيوبى ونتائج جولات المفاوضات التى ُعقدت مؤخراً بمبادرة من جمهورية السودان للتوصل إلى اتفاق حول قواعد ملء وتشغيل سد النهضة،

- وبعد استذكار القرار الصادر عن الدورة (153) لمجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى الصادر فى 4 مارس 2020 حول سد النهضة الإثيوبي،

يقـــرر:

1 - التأكيد على أن الأمن المائى لكل من جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان هو جزء لا يتجزأ من الأمن القومى العربى، ورفض أى عمل أو إجراء يمس بحقوق كافة الأطراف فى مياه النيل.

2 - الإعراب عن التقدير لمبادرة جمهورية السودان بالدعوة لعقد جولات المفاوضات التى أجريت خلال الفترة من 25 مايو 2020 إلى 17 يونيو 2020 من أجل التوصل إلى اتفاق حول قواعد ملء وتشغيل سد النهضة.

3 - الترحيب بدعوة السيد الأمين العام للأمم المتحدة لحث الدول الثلاث على التوصل إلى اتفاقية مشتركة عبر المفاوضات ومساندته لجهود السودان فى هذا الصدد.

4 - الإعراب عن القلق الشديد إزاء تعثر المفاوضات فى بعض جوانبها المهمة بين جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان وجمهورية إثيوبيا الفيدرالية الديمقراطية، والتأكيد على ضرورة استئناف المفاوضات بحسن نية من أجل التوصل إلى اتفاق عادل يُراعى مصالح كافة الأطراف.

5 - التأكيد على ضرورة امتناع كافة الأطراف عن اتخاذ أية إجراءات أحادية، بما فى ذلك امتناع إثيوبيا عن البدء فى ملء خزان سد النهضة دون التوصل إلى اتفاق مع دولتى المصب حول قواعد ملء وتشغيل السد لما يمثله هذا الإجراء من خرق صريح لاتفاق إعلان المبادئ المبرم بين الدول الثلاث فى الخرطوم بتاريخ 23 مارس 2015.

6 - التأكيد على ضرورة التزام الدول الثلاث بمبادئ القانون الدولى ومبدأ الالتزام بعدم إحداث ضرر جسيم، ومبدأ الاستخدام المعقول والمنصف للمجارى المائية الدولية، ومبدأ التعاون، ومبدأ الإخطار المسبق والتشاور.

7 - التأكيد على أهمية استكمال الدراسات الفنية الخاصة بالآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لهذا السد على دولتى المصب.

8 - دعوة الدول الثلاث للعودة للمفاوضات بحسن نية وبذل الجهود للتوصل إلى توافق يفضى إلى استكمال التفاوض فى أسرع وقت ممكن حالة قيام إثيوبيا بالإعلان عن عدم بدء الملء بشكل أحادى لحين التوصل إلى اتفاق.

9 - تشكل لجنة لمتابعة تطورات الملف والتنسيق مع مجلس الأمن بالأمم المتحدة حول كافة تطورات الموضوع على أن تتألف عضويتها من كل من: الأردن - السعودية - المغرب - العراق والأمانة العامة.

(ق: رقم 8524 - د.غ.ع - ج 1 - 2020/6/23)

تتحفظ جمهورية جيبوتى على الخامسة الفقرة من القرار.

تتحفظ جمهورية الصومال الفيدرالية على الخامسة الفقرة من القرار.

جسر الحضارة

مكتبة مصر العامة بدمياط

لم يكن ممكناً أن يذهب خيالنا ونحن نسير أيام الشباب على كوبرى دمياط المعدنى منتقلين بين ضفتى النيل أن هذا الكوبرى سينتقل عائماً فى يوم من الأيام ليرسو على بعد حوالى مئة متر قبالة مكتبة مصر العامة بدمياط، ثم يأتى رئيس للجمهورية ليدشن هذا الموقع ويعقد به اجتماعاً يضم العشرات من كبار رجال الدولة وأعيان دمياط وليصبح هذا الكوبرى جسراً بين حضارة أوروبا التى صنعت الكوبرى (وقت تشييد برج معدنى يسمى برج إيفل) ليقام على ضفاف نهر السين بباريس، وبين حضارة مصر التى أعادت توظيف الكوبرى المصرى فى لحظة عبقرية من تاريخ المحروسة.

سفير عبد الرءوف الريدى

aelreedy2011@gmail.com

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تطوراً مهمًا فى استخدام المعدن فى أعمال إنشائية مثل برج إيفل وكوبرى قطار الصعيد حسبما كان يسمى آنذاك عندما افتتحه الخديو عباس حلمى الثانى فى الخامس عشر من مايو عام 1892 الذى كان يسير على خط «مفرد» لتتبين الحاجة بعد ذلك إلى خط مزدوج فينتقل الكوبرى من إمبابة إلى دمياط لا ليمر عليه القطار بل لاستخدام البشر والسيارات، وليفتتح هذا الكوبرى عام 1927 وليبقى فى هذا الموقع حتى عام 2009 بعد أن يكون قد أنشئ كوبرى جديد لدمياط من الخرسانة .

فى عام 2003 أعلنت الهيئة العامة للطرق والكبارى عن مناقصة لبيع الكوبرى المعدنى وبالفعل تم البيع بمبلغ 170 ألف جنيه، وفى عام 2004 نقل محافظ دمياط الدكتور عبد العظيم وزير محافظاً للعاصمة وجاء محافظ جديد تصادف أنه مهندس معمارى وأيضاً فنان، فرأى فى الكوبرى المعدنى الذى كان مازال قائماً قيمة جمالية وأثرية كبيرة، كما تبين له أن هذا الكوبرى يمكن أن يتكامل مع مكتبة دمياط العامة التى كان يطورها لتفتتح فى عام 2005 فى احتفال جميل. كان الدكتور محمد فتحى البرادعى الذى حصل على الدكتوراة فى العمارة من كلية الفنون الجميلة بباريس هو المحافظ الجديد، وكان أول ما فعله أن قرر رد مبلغ الـ170 ألف جنيه إلى المقاول الذى اشترى الكوبرى ليصدر فى عام 2007 قراراً باعتبار الكوبرى أثراً تاريخياً يتحتم الحفاظ عليه، ثم بدأت الأفكار تنمو وتختمر حول مستقبل المكتبة والكوبرى معاً وتصميم موقع جديد أمام المكتبة فى مشروع فنى ثقافى يتضمن تطوير الساحة الفاصلة بين المكتبة والكوبرى على النيل لتقام فيها الفعاليات الثقافية ويستخدمها الفنانون التشكيليون.

تصادف أن كان هناك أيضاً وزير للتعاون الدولى برؤية حضارية متمثلة فى السفيرة فايزة أبوالنجا فتحقق التمويل وبقى التنفيذ، وبدأت رحلة الإبداع فى ثلاث مراحل؛ التقييم والانتقال إلى الموقع الجديد ثم إعادة التوظيف ومما يسّر تنفيذ هذه المراحل الثلاث أن الأمر أساساً كان بيد المحافظ المهندس البرادعى الذى كان يدعمه كل من عرفه وعرف تجرده وقدرته على الإبداع والإنجاز معاً، كان هو عراب التقييم واختيار الموقع الجديد وكذلك إعادة التوظيف أما مرحلة الانتقال فكان بطلها المهندس إبراهيم محلب رئيس المقاولون العرب.

تمت إعادة التوظيف ليصبح الكوبرى القديم ملتقى حضارياً مجهزاً بأحدث وسائل التكنولوجيا... أما التأثيث فلم يكن هناك أفضل مما تقدمه مدينة دمياط صاحبة الشهرة العالمية فى الأثاث.

فى كل هذه المراحل كانت عملية انتقال

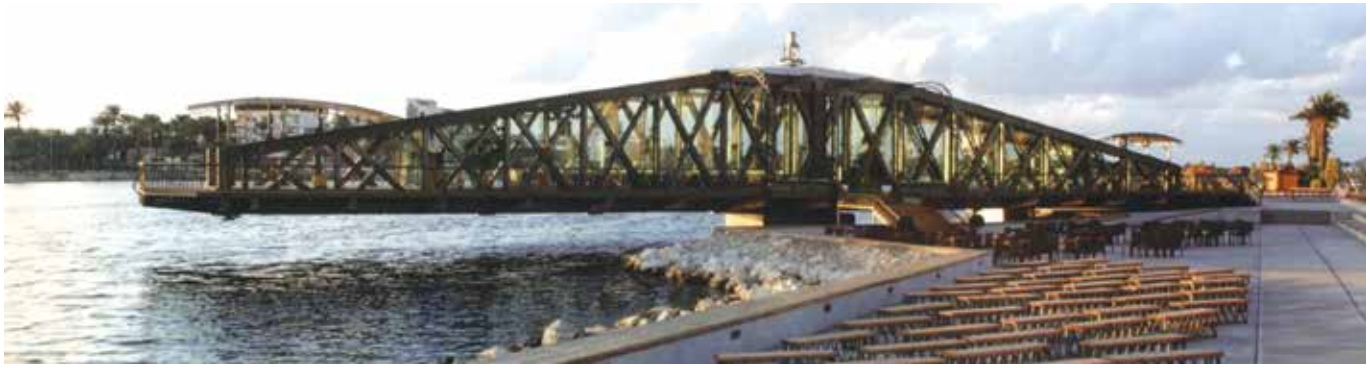

الكوبرى هى أكثر ما شدنى عندما قرأت عن هذه الملحمة متكاملة الأركان... كيف عام الكوبرى أو سبح ليرسو أمام المكتبة مع ميل فى اتجاه مســـقط رأسه إمبابة بالجيزة. بعد دراســـة مختلف البدائل استقر الرأى على أن يكون الانتقال من الموقع القديم إلى الموقع الجديد باستخدام قوة الطفو وبالفعل تم تجهيز ست عشرة عائمة تحمـــل الكوبرى التاريخى وتمر به تحت الكوبرى الخرســـانى الحديث بمسافة 30 سم. فى هذا اليوم جاء رئيس وزراء مصر آنذاك الدكتور أحمد نظيف، وعدد من كبار الشـــخصيات وشاهدوا هذه اللحظات التاريخية حتى رسا الأثر الفريد لتحتضنه مكتبـــة مصر العامة التى أصبحت منارة عـــلى نيل دمياط، وما أن استقر الكوبرى فى موقعه الجديد حتى بدأ اســـتخدامه ليصبـــح مركزاً للندوات واللقاءات المهمة مثل لقاء رئيس الجمهورية مع كبار رجال الدولة وأعيان دمياط يوم 3/ 8/ 2009 وفى هذا اليوم أعلن عن افتتاح جسر الحضارة.

وعندما دعـــوت أخـــى وصديقى الدكتور أســـامة الباز رحمه الله لزيارة دمياط أصر المحافـــظ البرادعى على أن يعقد له لقاءً مع أهل المدينة التى عاش ودرس فيها حتى أتم دراسته الثانوية، وأن يعقد هذا اللقاء فى جسر الحضارة. وكان أسامة متألقاً فى هذه الليلة بحديثه الطلى والبســـيط فى نفس الوقت، وهكذا سارت الندوات واللقاءات والاحتفالات ثم كان ما كان...

جاءت أحداث عـــام 2011 وتجمع أناس أمام المتحف المـــصرى بالقاهرة يحاولون اقتحامه وآخـــرون يذهبون إلى المجمع العلمى الذى أنشـــئ فى بداية القرن التاســـع عشر ويضم بين جنباته مئـــات المخطوطات والكتـــب النادرة ويلقون عليه قنابل المولوتوف.

وجاءت يد التخريـــب والتدمير إلى دمياط لتنال أيضاً من هذا الأثر الفريد وتحولت لحظة الإبداع إلى لحظة ضياع، وجاء ابن دمياط الأســـتاذ عبد اللطيف المنـــاوى رئيس تحريـــر المصرى اليوم ورأى ما رأى وكتب مقالاً لا أنساه واصفاً هذا الأثر الفريد بأنه تحول إلى خرابة.

أكتب هذه الســـطور بطبيعة الحال بقلب حزين ولكننـــى ولأننى أؤمن بأن روح مصر العبقرية والمبدعة ستنتصر يوماً فى القريب حتـــى لا تكون لحظة الضياع هى مشـــهد الختـــام، فإننى أناشـــد وزير الآثار والسياحة الدكتور خالد العنانـــى أن يتبنى إنقاذ هذا الأثر ليكون شاهداً كما جرى فى مواقع خربت ثم أعادتهـــا الإرادة المصرية إلى ما كانت عليه رمزاً للتاريخ والثقافة والفن وحفظ التراث.

مصر وتطورات النظام العالمى

من الثنائية إلى التعددية القطبية

لم تكن مصر، باعتبار موضعها الإســـتراتيجى، ومنذ تاريخها وحتى أوائل القرن التاســـع عشر، وعبر القرن العشرين، وهى اليوم، بمعزل عن طبيعة النظام الدولى وعلاقات القوى وتنافساتها الاستعمارية، يبدو هذا من إدراك القوى الكبرى لمشروع محمد على فى مصر والنهضة الكبرى والشـــاملة التى حققها وامتداد جيوشـــه بقيادة ابنه إبراهيم باشا إلى الأناضول وهو الوضع الذى تكالبت عليه القوى الكبرى فى هذا الوقت وفرضت عليه اتفاقية عام 1840، وهذه الاتفاقية التى حدت من عدد الجيش المصرى وجعلت إرثه لأبنائه لمصر فقط دون باقى أجزاء الإمبراطورية التى بناها وتسليم الأسطول إلى تركيا.

فى نطـــاق التنافس الاســـتعمارى بين فرنســـا وبريطانيا كان غزو نابليون لمصر عام 1789 والتى رحل بعدها بفعل المقاومة الشـــعبية المصرية وثـــورات القاهرة ضد جيوشـــه، أما بريطانيا، فقد انتظرت حتى عام 1882 حين غزت قواتها مصر واستمر احتلالها حتى عـــام 1954، غير أنها، مع فرنســـا وإسرائيل، ودفاعاً عمـــا اعتبرته مصالحهـــا فى قناة الســـويس التى أممها النظام الثورى الجديـــد فى مصر، قامت فى أكتوبر عام 1956 بغزو مصر حيث المقاومة الشعبية فضلاً عن إدانه المجتمع الدولى لهذا العدوان وانحســـاره، ويلفت النظر فى هذا العدوان أنه ووجه بإدانة القوتين العظميين فى هذا الوقت: الولايـــات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وكان توافقهما على أدائه العدوان فى إطار منافسات الحرب الباردة التى كانت تتطور فى هذا الوقت، كان الموقف الأمريكى بالذات مدفوعاً بإستراتيجية، احتواء الاتحاد السوفيتي ونفوذه فى مناطق العالم وخاصة الشرق الأوسط.

ويمثل النظام الثـــورى الذى جاءت به ثورة 1952، ثم المفاهيم والمواقف الوطنية والقومية التى تبنتهـــا، لكى تفتح صفحة جديدة فى تأثر مـــصر، وتأثيرها، فى النظام الـــدولى القائم، بفعل هـــذه المفاهيم التى تبلورت فى تأييد حركات التحرير الوطنى، والقومية العربية، ورفـــض الانضمام: إلى الأحلاف العسكرية والمشـــاركة الفعالة فى خلق تيار عدم الانحياز، جاءت هذه المواقف كى نضـــع مصر فى مواجهة مـــع الولايات المتحدة، خاصة بعـــد أن رفضت مطالبات مصر تســـليح الجيش المصرى، وكذلك بناء مشروع السد العالى وعدم استجابة القيادة الجديدة فى مصر للمشروع الأمريكى للصلح مع إسرائيل.

أمام هذه المواقف الســـلبية الأمريكية من مشروعات حيوية لمصر: تسليح الجيش المصرى، وبناء السد العالى، اتجهت القيادة المصرية إلى الاتحاد السوفيتى الذى استجاب للمطالب المصرية، فعلى مســـتوى التسليح، عقدت صفقة الأســـلحة التشـــيكية عام 1955، وعلى المســـتوى الاقتصادى ساهم الاتحاد السوفيتى فى بناء السد العالى فضلاً

سفير د. السيد أمين شلبي

sams_maadi@yahoo.com

عن مشـــاركته فى بناء صناعات ثقيلة مثل الحديد والصلب والألومنيوم.

وهكـــذا تحولت السياســـة الخارجية المصرية إلى مستوى التحالف الإستراتيجى مع الاتحاد الســـوفيتى، وهو ما جلب نقمة الولايـــات المتحدة خاصة بعـــد أن اقترنت التوجهات لمصر بالاعتراف بجمهورية الصين الشـــعبية وبذلك أصبحت أول دولة عربية وإفريقية تعترف بالصين الشعبية وتصنع معها مؤتمر باندونـــج ومن ثم حركة عدم الانحياز. ولم يكن غريباً فى تقدير الكثير من المؤرخين أن نقمة الولايات المتحدة على مصر ورئيســـها جمال عبدالنـــاصر، كانت وراء الضوء الأخضر الذى أعطته إدارة جونسون آنذاك للعدو لإطـــلاق إسرائيل حربها ضد مصر فى يونيو 1967، وبذلك كانت تصفية للحســـابات من الولايـــات المتحدة وجمال عبدالناصر.

وقد اســـتمرت القطيعة بين من مصر والولايـــات المتحدة، ومن ثـــم تعاونها مع الاتحـــاد الســـوفيتى، بعد رحيـــل جمال عبدالناصر وتولى أنور الســـادات الرئاسة، وقد واصل الســـادات تعاونـــه مع الاتحاد الســـوفيتى لإدراكـــه أن تســـليح الجيش المصرى يعتمد على السلاح السوفيتى، فى أية مجابهة مقبلة مع إسرائيل، بل إن السادات عقد اتفاقية تعاون وصداقة مع السوفيت، وإذ كان هذا لـــم يمنعه من اتخاذ خطوات أغضبت الاتحاد السوفيتى عندما طلب من الخبراء العسكريين السوفيت مغادرة البلاد عام 1972، وقد استوعب القادة السوفيت هذه الإســـاءة لإدراكهـــم، أهمية مصر فى الإستراتيجية الإقليمية ومكانتهم فى الشرق الأوســـط، ورغم بعض الشكاوى من تأخر السوفيت فى تســـليم مستويات متقدمة من نظم التسلح طالبت بها مصر، إلا أن الثابت أن الجيش المصرى قد خاض حرب أكتوبر 1973 بالسلاح الســـوفيتى جاءت نهايات معارك حرب 1973، والتوصل إلى اتفاقيات فض الاشتباك فى سيناء والجولان لكى تمثل تحولاً جذرياً فى انتماءات السياسة الخارجية المصرية الدولية، فقد لعبت الدبلوماســـية الأمريكية ورئيسها هنرى كيسنجر، الدور الرئيسى فى التوصل إلى اتفاقيات، وفى الأثناء تبلور فكر الرئيس أنور السادات أن الإنجاز الذى حققه الجيش المصرى بالسلاح، يجب أن يستكمل بالمفاوضات الدبلوماسية، وهنا بات مقتنعاً بما كان هنرى كيسنجر يخاطب به الرؤســـاء العرب: إن السوفيت يمكن أن يمدوهم بالســـلاح، ولكن أمريكا هى التى ستحقق لهم الســـلام. ولهذا ألقى السادات ثقله على الولايات المتحـــدة وعلى دورها فى المرحلـــة المقبلة، بما كان يعنى اســـتبعاد الاتحاد الســـوفيتى عن هذه المرحلة. وقد كانت اتفاقيات فض الاشـــتباك هى المقدمة لزيارة السادات للقدس، ثم اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية 1987 وهكـــذا تأكدت العلاقـــة الجديدة بين مصر والولايـــات المتحدة التى أصبحت شريكاً لمـــصر فى عملية الســـلام الجديدة فضلاً عن العلاقات الثنائية حيث خصصت إدارة كارتر معونات اقتصادية وعســـكرية لمصر قدرهـــا 1,860 مليـــار دولار. على هذه الخطوات تطـــورت العلاقات المصرية الأمريكية، وأصبحت مصر شريكاً للولايات المتحدة فى سياســـاتها فى الشرق الأوســـط وإفريقيا ثم فى الأزمـــة الأفغانية والحرب ضد الوجود السوفيتى فيها، كان هذا يعنى تدهـــوراً فى العلاقات المصرية الســـوفيتية خاصة بعد أن هاجمت موســـكو اتفاقيات كامب ديفيد وتحالفت مع الأطراف العربية التى عارضت الاتفاقية، وانتهى الأمر بإنهاء السادات للعلاقات الدبلوماسية والكاملة مع الاتحاد الســـوفيتى وسحب السفير ووصل العـــداء أن تنبأ الســـادات بانهيار الاتحاد

السوفيتى وبات ما يعرف بشهر العسل فى العلاقات المصرية الأمريكية.

ومع تولى حسنى مبارك رئيساً عقب اغتيال السادات أكتوبر 1981 واصل الرئيس الجديد مسيرة العلاقات الأمريكية المصرية كما وضع السادات أسسها إلا أن مبارك فى سياسته فى بث الاستقرار فى العلاقات المصرية الإقليمية والدولية، وإعادة التوازن إليها، اتجه إلى إعادة تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وعودة العلاقات الدبلوماسية كاملة بل ربما دعا الاتحاد السوفيتى إلى العودة لدوره فى الصناعات الثقيلة مثل مصانع الحديد والصلب والألومنيوم.

وقد بلغت قمة العلاقات المصرية الأمريكية فى عهد مبارك بمشاركة القوات المصرية فى الائتلاف الذى شكله الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب لإخراج صدام حسين من الكويت، وهو ما قابلته الولايات المتحدة الأمريكية بإعفاء مصر من ديونها العسكرية وقدرها 7 مليارات دولار.

وخلال إدارة بوش الابن، وإدارة أوباما تراوحت علاقة مصر مع الولايات المتحدة بين التعاون وظهور غيوم فى العلاقات بسبب مشروع الشرق الأوسط الكبير والترويج للديمقراطية فى عهد بوش الابن، وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان فى عهد أوباما.

أما الفصل الأخير فى علاقة مصر مع النظام الدولى وتطوره وقواه فقد جاء عقب ثورة 30 يونيو 2013، فقد اتخذت قوى دولية كانت لمصر علاقات قوية معها مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى موقفاً سلبياً، إن لم يكن عدائياً من نظام ما بعد 30 يونيو، وأوقفت الولايات المتحدة صفقات السلاح التى كانت مقررة، كما تبنى الاتحاد الأوروبى انتقادات لعملية انتقال السلطة بعد 30 يونيو. هذه المواقف تحديداً كانت وراء تبنى مصر لإستراتيجية تقوم على توسيع وتعميق علاقات مصر مع القوى الدولية، وتحديداً نحو قوى مثل روسيا، والصين، واليابان، والهند، وكوريا الجنوبية، وعبر 4 سنوات تمت علاقات متطورة مع هذه القوى وإذا كان هذا لم يعق استئناف مصر لعلاقات إيجابية مع الولايات المتحدة خاصة بعد أن أعادت واشنطن والاتحاد الأوروبى تقييم موقفهما من النظام الجديد فى مصر. وهكذا مصر أصبحت تمتلك علاقات متوازنة مع كافة القوى.

غير أن إدراك مصر بعد ثورة 30 يونيو للحاجة إلى توسيع قاعدة علاقاتها الدولية لم يكن مقصوراً عليها، فقد تعداها إلى عدد من الدول العربية وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات، والكويت، وكما مرت مصر بتجربة مع الولايات المتحدة بعد 30 يونيو، مرت الدول الثلاث بتجربة مع الولايات المتحدة عقب الاتفاق الذى عقدته فى يونيو 2015 حول برنامج إيران النووى. والذى اعتبرته الدول الخليجية، تجاهلاً لمصالحها الأمنية وتشجيعاً لإيران

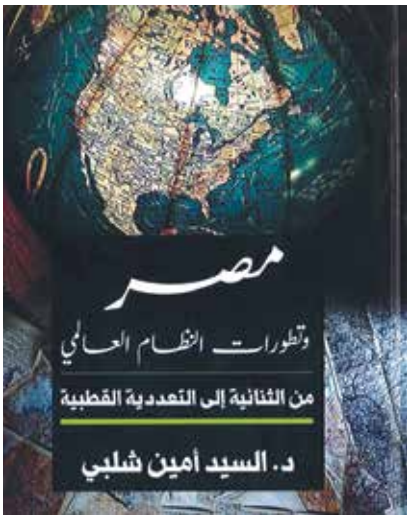

على رغم سلوكها فى المنطقة، ولذلك رأينا المملكة السعودية تقدم على تطوير علاقاتها مع روسيا الاتحادية حيث قام الأمير محمد بن سلمان، ومن بعده الملك سلمان بزيارة موسكو حيث تم التوصل إلى اتفاق تعاون حول عدد من المجالات الحيوية خاصة السلاح والطاقة. كذلك رأينا الدول العربية..

من خلال هذا التتبع لتطور النظام العالمى فى مراحله المختلفة من نظام ثنائى الأقطاب الذى ساد طوال فترة الحرب الباردة، إلى نظام القطب الواحد بعد اختفاء الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة كالقطب الأول والوحيد، ثم التحول الذى تم على مدى الحقبتين الأخيرتين إلى نظام تعدد الأقطاب، ومدى تأثر مصر وتفاعله معه، نستطيع أن نستخلص مما يتعلق بمصر، وغيرها من الدول الصغيرة والمتوسطة، أنه فى خلال نظام القطبين استفادت مصر، عند اصطدامها مع إحدى القوتين العظميين وهى الولايات المتحدة، بالتوجه إلى الاتحاد السوفيتى الذى استجاب لاحتياجاتها العسكرية والاقتصادية، وعندما اصطدمت مصر بعد حرب أكتوبر بالاتحاد السوفيتى وجدت فى القوة الأخرى شريكاً فى سياستها الجديدة فى إدارة الصراع مع إسرائيل واستكمال إنجازاتها العسكرية من خلال الحوار الدبلوماسى، تحولت مصر إلى الولايات المتحدة بما كان له من انعكاسات وتأثيرات فى إقليمها بل وعلى المستوى الدولى. وعندما نعررت الولايات المتحدة بالقيادة العالمية حاولت مصر التفاعل مع النظام الجديد بمواصلة علاقاتها الإيجابية مع الولايات المتحدة وإن كان الأمر لم يخل من بعض الغيوم حول سياسات واشنطن فى المنطقة خاصة بعد الحرب على العراق، وسياسات واشنطن فى الترويج للديمقراطية وتصورات «الشرق الأوسط الكبير» وقد توافقت التحولات الداخلية فى مصر بعد ثورتى 25 يناير 2011 و30 يونيو 2013 مع ما كان يجرى على مستوى الدول من انتقال إلى نظام تتعدد فيه المراكز والأقطاب وتأكد بروز قوى جديدة مثل الصين وروسيا، تسعى لهذا النظام الدولى الجديد

وهو ما أتاح لمصر عبر تجربتها مع الولايات المتحدة عقب ثورة 30 يونيو، أن تتبنى إستراتيجية جديدة تتعدى بها الاعتماد على قوة واحدة لبناء قاعدة واسعة من العلاقات الدولية وهو فيما تتصور الصيغة الصحية لعلاقات متوازنة لا تجعلها أسيرة لقوة واحدة لأجندتها العالمية التى قد لا تتوافق بالضرورة مع المصالح المصرية، وقد رأينا أن دولاً فى المنطقة مثل المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات والكويت قد اتبعت هذا النموذج وبدلاً من العلاقات الأحادية أصبحت لها علاقات متوازنة مع القوى الجديدة فى النظام الدولى. وتتصور أنه مع الصعود والثبات لقوى مثل الصين، وتأكيد روسيا الاتحادية لمكانتها فى النظام العالمى، أن العالم سوف يشهد تبلور نظام عالمى لا تنفرد فيه قوة واحدة لتقرير قضايا الحرب والسلام.

الولايات المتحدة قوة عظمى مترددة:

ظل جميع رؤساء أمريكا ما بعد الحرب الاثنى عشر يؤكدون بشغف دوراً استثنائياً لأمريكا فى العالم حتى تعامل كل منهم مع الأمر كما لو كان من البديهى أن تتحلى أمريكا بغريزة السعى لحل نزاعات جميع الأمم وتحقيق مساواتها، ذلك السعى الذى من شأن علاقة النجاح النهائى فيه أن تتمثل بالسلم العالمى والتناغم الكونى.

ودأب جميع رؤساء الجمهورية من الحزبين السياسيين كليهما على إعلان مدى قابلية تطبيق المبادئ الأمريكية على العالم بأسره ولعل التعبير الأبلغ عن الأمر (وإن لم يكن فريداً بأى معنى) كان خطاب الرئيس جون كيندى الذى ألقاه فى العشرين من يناير 1961، دعا كيندى بلده إلى «دفع كل الأثمان، حمل كل الأعباء، مواجهة كل الصعوبات، دعم كل الأصدقاء ومعارضة جميع الأعداء من أجل تأكيد بقاء الحرية وازدهارها» لم يميز بين تهديد وآخر، لم يعتمد أية أولويات بالنسبة إلى انخراط أمريكا، تحديداً رفض الحسابات المتقلبة لتوازن القوة التقليدى، كان ما دعا إليه «مسعى جديداً» لا توازناً للقوة، بل قانوناً عالمياً جديداً كان من شأن ذلك أن يكون تحالفاً أعظم وعالمياً، ضد «أعداء البشرية المشتركين، ما كان شأنه أن يعامل فى بلدان أخرى بوصفه تبجحاً خطابياً قدم، فى الخطاب الأمريكى، مسودة مشروع محدد لنوع من التحرك العالمى، ومتحدثاً أمام الهيئة العامة للأمم المتحدة بعد شهر واحد من اغتيال كيندى، أكد لينين جونسون الالتزام العالمى غير المشروط نفسه قائلاً كل إنسان وكل أمة يلتمسان السلم ويكرهان الحرب، ومستعدان للكفاح المناسب ضد الجوع والمرض والبؤس، سيجدان الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبهما، مستعدة للسير معهما، نعم السير معهما كل خطوة من خطوات الطريق.

ذلك الشعور بالمسئولية عن النظام العالمى وباستحالة الاستغناء عن القوة

الأمريكية معززاً بإجماع أقام نزعة القيادة الأخلاقية الكونية على قاعدة إخلاص الشعب الأمريكى للحرية والديمقراطية، تمخض عن جملة الإنجازات الخارقة لفترة الحرب الباردة، أوجدت الحلف الأطلسى، واجترحت شبكة أمان وشراكات اقتصادية عالمية انتقلت من عزل الصين إلى سياسة التعاون معها، صممت نظام تجارة عالمية منفتحة وفرت الوقود اللازم للإنتاجية والازدهار، وكانت (كعادتها طوال الحكم القائمة على المشاركة فى البلدان الصديقة وغير الصديقة على حد سواء، فى خمس حروب وجملة من المناسبات الأخرى، على دفع دماء أمريكية ثمناً لإنقاذ تلك المبادئ فى زوايا نائية من العالم. ما من بلد آخر كان مؤهلاً لامتلاك النزعة المثالية من جهة والموارد من جهة ثانية اللازمين للتصدى لمثل هذه السلسلة من التحديات أو القدرة على النجاح فى مثل هذا العدد الكبير منها. ظلت النزعتان المثالية والاستثنائية الأمريكيتان قوتى الدفع الكامنتين خلف بناء صرح نظام دولى جديد.

لبضعة عقود، كان ثمة قدر غير عادى من التطابق بين معتقدات أمريكا التقليدية وتجربتها التاريخية من ناحية والعالم الذى وجدت نفسها فيه من ناحية أخرى، التجربتان العظميان كانتا تجربة التغلب على كساد ثلاثينيات القرن العشرين من جهة وتجربة الانتصار على العدوان فى أربعينياته. المهمتان، كلتاهما، انصاعتا لحلين محددين: استعادة النمو وتدشين برامج رخاء اجتماعى جديدة على الصعيد الاقتصادى، استسلام العدو من دون شروط على الصعيد الحربى.

فى نهاية الحرب، كانت الولايات المتحدة بوصفها الدولة الرئيسية الوحيدة الناجية من الدمار تنتج نحو 60 بالمئة من الناتج الإجمالى العالمى، كانت إذن مؤهلة لتحديد القيادة على إنهاء من حيث الجوهر مسيرة تقدم عملية مصممة بما ينسج مع التجربة الداخلية الأمريكية التحالفات على أنها مفاهيم ولسنية عن الأمن الجماعى، وأنظمة الحكم على أنها برامج معافاة اقتصادية وإصلاح ديمقراطى انطلق مشروع أمريكا للحرب الباردة دفاعاً عن بلدان مؤمنة بوجهة النظر الأمريكية حول النظام العالمى. أما الخصم، الاتحاد السوفيتى فجرى تصوره شارداً عن الأسرة الدولية التى لن يلبث أن يعود إليها فى النهاية.

وعلى الطريق نحو تلك الرؤية بدأت أمريكا تصادف وجهات نظر تاريخية أخرى حول النظام العالمى، أمم جديدة ذوات تواريخ وثقافات مختلفة انتصبت على خشبة المسرح مع رحيل الاستعمار، طابع الشيوعية صار أكثر تعقيداً وتأثيره أوفر غموضاً، حكومات وعقائد مسلحة رافضة لمفاهيم أمريكا حول النظام على المستويين المحلى والدولى أطلقت تحديات شديدة العناد. باتت حدود القدرات الأمريكية مكشوفة رغم وفرة هذه القدرات المعروفة.

ما من رئيس منذ ثيودور روزفلت كان قد تناول النظام الدولى بوصفه مفهوماً عالمياً على هذا النحو المنهجى والمفهومى أو النظرى الفكرى. متحدثاً مع محررى مجلة تايم فى 1971 قام نيكسون بصوغ مفهوم كهذا حسب رؤيته، ثمة خمسة مراكز رئيسية للقوة السياسية والاقتصادية كانت ستعمل من منطلق التزام غير رسمى من كل منها بالسعى لتحقيق مصالحه بتحفظ، من شأن محصلة تطلعاتها وإحباطاتها المتشابكة أن تكون أو تعادلاً.

يجب أن نتذكر المرة الوحيدة فى تاريخ العالم التى توفرت فيها لنا فترة سلم مديدة هى عندما كان توازن القوة موجوداً، عندما نصبح أمة واحدة أقوى على نحو غير محدود نسبة إلى منافستها المحتملة، يطفو خطر الحرب على السطح. أعتقد أننا سنتوفر على عالم أكثر أمناً وعالم أفضل ولايات متحدة، أوروبا، اتحاد سوفيتى، صين، يابان قوية ومعافاة تتولى كل منها موازنة الأخرى وتمتنع عن تشجيع هذه على تلك فى توازن متعادل.

كان ثيودور روزفلت قد صاغ فكرة عن نظام عالمى تكون فيه الولايات المتحدة هى الوصية على التعادل العالمى، أما نيكسون فذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إذ جادل أن على الولايات المتحدة أن تكون جزءاً لا يتجزأ من توازن طليق أبدى التقلب، لا بوصفه عامل توازن بل عنصر مكون.

أطلق نيكسون هذه الملاحظات فيما كان موشكاً على المغادرة إلى بكين، محدثاً تحسيناً مسرحياً مثيراً فى العلاقات ومنفذاً زيارة الصين من قبل رئيس جمهورية أمريكى فى السلطة للمرة الأولى، كان تمكين الصين من موازنة الاتحاد السوفيتى من موقع كون أمريكا أقرب إلى كل من العملاقين الشيوعيين مقارنة بعلاقة كل منهما مع الآخر، بطبيعة الحال، التصميم المحدد للإستراتيجية المتطورة ففى فبراير 1971 أتى تقرير نيكسون السنوى عن السياسة الخارجية بوصفها جمهورية الصين الشعبية، للمرة الأولى فى وثيقة أمريكية رسمية، وأفاد بأن الولايات المتحدة «مستعدة لإجراء حوار مع بكين، على أساس المصلحة القومية».

أثار نيكسون نقطة ذات علاقة حول سياسات الصين الداخلية فيما كنت أتأهب للذهاب إلى الصين فى ما عرفت بالرحلة السرية فى يوليو 1971 مخاطباً جمهوراً بمدينة كنساس، جادل نيكسون قائلاً، إن العذاب الداخلى الصينى، أى الثورة الثقافية، يجب لا يمنح أى إحساس بالرضا لكن الأمر سيبقى دائماً كما هو فنحن حين نرى الصينيين بشراً وقد رأيتهم أنا فى طول العالم وعرضه، نجدهم مبدعين، نجدهم منتجين، نجدهم أحد أكثر الشعوب براعة فى العالم والـ800 مليون صينى، سيكونون،

تيودور رورفلت

حتماً قوة اقتصادية عملاقة مع كل ما يعنيه ذلك من منطلق ما يستطيعون أن يكونوه فى مجالات أخرى إذا ما تحركوا بذلك الاتجاه.

وهكذا كان نيكسون العدو اللدود للشيوعية قد قرر أن كفة ضرورات التعادل الجيوسياسى راجحة على كفة متطلبات النقاء الأيديولوجى، حاذياً بالمناسبة حذو نظرائه فى الصين.

النظام الدولي(2)

ويتوقع د. عبد المنعم سعيد أن النظام العالمى الجديد سيكون نظاماً ثلاثى القوى، فبعد عودة الحرب الباردة من جديد بين موسكو وواشنطن من ناحية، وبين واشنطن وبكين من ناحية أخرى، أصبح النظام الدولى يعتمد على ثلاث قوى: الولايات المتحدة، التى لا تزال نظمها القوى الاقتصادية والعسكرية الأولى فى العالم، وروسيا، والتى رغم حالتها الاقتصادية المتواضعة فإن لديها أكثر من 9000 رأس نووية تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات، كما لديها مجالات متميزة للتفوق التكنولوجى فى السلاح والفضاء والصين التى ليست لديها قوة اقتصادية جبارة فقط ولكنها أيضاً القوة الواعدة من حيث معدلات النمو والتكنولوجيات الحديثة.

ولكننا نضيف أن كلاً من الصين وروسيا يتعزز مكانهما فى النظام الدولى بمستوى ما من الشراكة التى قد تتطور إلى تحالف، يضاف إليهما باقى مكونات مجموعة بريكس وخاصة الهند، أما الولايات المتحدة فتحالفها التقليدى مع أوروبا يصيبه الخلافات والتشققات خاصة بعد مجئ دونالد ترامب ومواقفه المناوئة للمجموعة الأوروبية بل ومن حلف الأطلنطى.

---

(1) هذا الماقل فصل من كتاب "مصر والنظام العاليم..) الذى صدر للكاتب عن هيئة الكتاب 2020

(2) عبد المنعم سعيد، النظام العالمى ثلاثى القوى، الشرق الاوسط، 28/1/2018

عـام الكـــورونا ومـا بـعده

جاء طاعون الكورونا منذ بدايته (خاصة بداية عام 2020) متوحشاً منتشراً وبسرعة فائقة.. فى كافة أرجاء الكرة الأرضية.. مسبباً الذعر لكافة أفراد الجنس البشرى.

سفير الفاروق شلباية

وواكب انتشاره تدهور العلاقات الدولية أكثر مما هى أصلاً عليه.. وتواجد عالم بلا قيادات صالحة.. أغلب قادتها يتبنى سياسات انتهازية فاسدة بل وأحياناً شريرة وعاهرة جهاراً نهاراً مثل تركيا أردوغان وقطر تميم.. والتحالفات الشيطانية مع التنظيمات التى تتبنى التعصب والإرهاب الدينى وغيره.. واختلط الحابل بالنابل.. كما يقال.

زاد ضعف النظام العالمى ومؤسساته التى أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية.. وتدهورت فعاليات منظمة الأمم المتحدة ومعظم مؤسساتها وأبرزها حالياً مجلس الأمن ومنظمة الصحة العالمية اللتين عجزتا عن احتواء ومعالجة كارثة دولية كطاعون كورونا.

وفيما يلى بعض النقاط المهمة المتعلقة بما جاء عاليه مستعيناً بعملى السابق.. ومتابعاتى للشئون الخارجية لحقبة زمنية طويلة.. أكثر من نصف قرن.. وأيضاً حول آراء الخبراء وفى مقدمتهم الراحل الرئيس لى كوان يو عظيم عظماء القرن العشرين والروح الوثابة للرئيس السيسى والآراء الثاقبة للخبير الدولى طلال أبوغزالة وغيرهم ممن تبنوا الفكر الكونى التطورى الذى يشمل التغيير المستمر للحياة:

1 – عادة يصاحب كل أزمة عالمية متضرر ومستفيد.. كثير من دول العالم سوف يحقق مغانم بطريقة أو أخرى عند احتواء هذا الفيروس اللعين.

2 – بعد الدمار يأتى الازدهار.. لإعادة الإعمار.. بعد العسر يسر.. الثورة الصناعية الرابعة قادمة.. تقودها الرقمنة والتطورات التكنولوجية المتعددة.. لخلق الإنسانيين الجدد.

3 – يتنبأ البعض ازدهاراً أكثر لاقتصاد الصين لتحتل المركز الاقتصادى الأول عالمياً قريباً.. تليها الهند.. ثم المركز الثالث تتراجع إليه أمريكا.. وتحتل مصر أحد العشرة مراكز الأولى عالمياً وقبل عام 2030 إذا استثمرت شبابها واستمرت فى تحسين سياساتها الرشيدة الحالية.

4 – أمريكا نفسها تعترف بالحاجة إلى نظام دولى جديد وتشترط الجلوس ومعها حلفاؤها مع الصين وحلفائها لاتفاق مقبول من الفريقين ويحظى برضا بقية العالم.

5 – وإذا تهاونت الدول والقوى الكبرى فى التعاون الصادق فلسوف يواجه العالم سبع سنوات عجاف كتلك التى جاءت فى أساطير الأولين.. وكساد وارتفاع أسعار وارتفاع معدلات البطالة وانكماش الدخل الفردى وقلة الأرزاق واحتمالات ثورات الجياع.. كل ذلك ممكن أن يحدث بنسب مختلفة.. إذا استمر السلوك الهزلى العالمى السائد حالياً المتمثل فى عدم انعقاد هيئة دولية مهمة مثل مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة لضبط وإيقاف ما يمكن من التدهور العالمى الحالى والقادم!

6 – شعار أنا أولاً مثل.. America first لا يصلح لعالم اليوم المتلاحم الذى يتطلب التعاون الدولى الناجز أولاً.

7 – القوى الاقتصادية عادة تهزم القوى العسكرية.. كما شاهدنا تفكك الاتحاد السوفيتى القوى عسكرياً.. لذا ليس من المستبعد أن تضطر أمريكا للتجاوب مع كثير من طلبات الصين القوية اقتصادياً!

8 – الثورة الصناعية الرابعة التى على الأبواب.. هى ثورة المعرفة.. والصين التى تستخدم ربع نشاط الإنترنت العالمية.. بدأت فى إنشاء إنترنت أقوى خاص بها وبلغات مختلفة!!

9 – السعودية أصدرت تعليمات لتدريس اللغة الصينية بمدارسها كما أن الإمارات تعمل لنشاط وتنظيم متصل بمشروع طريق الحرير.

10– الحضارة العالمية الحالية تحتضر.. ولسوف تعقبها حضارة أكثر حداثة لمواجهة الحقائق بصدق مطلوب.. وفرصة مصر هى المساهمة بجدية فى نهضة العالم والثورة الصناعية الرابعة.. عقب زوال الكورونا.. أى الاستعداد من الآن لاحتضان الثورة التكنولوجية القادمة!

وتواكب انتشاره مع تدهور العلاقات الدولية أكثر مما هى عليه.. وتواجد عالم بلا قيادات صالحة.. أغلب قادتها يتبنى سياسات انتهازية فاسدة بل وأحياناً شريرة وعاهرة جهاراً نهاراً مثل تركيا أردوغان وقطر تميم.. والتحالفات الشيطانية مع التنظيمات التى تتبنى التعصب والإرهاب الدينى وغيره.. واختلط الحابل بالنابل.. كما يقال.

زاد ضعف النظام العالمى ومؤسساته التى أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية.. وتدهورت فعاليات منظمة الأمم المتحدة ومعظم مؤسساتها وأبرزها حالياً مجلس الأمن ومنظمة الصحة العالمية اللتين عجزتا عن احتواء ومعالجة كارثة دولية كطاعون كورونا.

وفيما يلى بعض النقاط المهمة المتعلقة بما جاء عاليه مستعيناً بعملى السابق.. ومتابعاتى للشئون الخارجية لحقبة زمنية طويلة.. أكثر من نصف قرن.. وأيضاً حول آراء الخبراء وفى مقدمتهم الراحل الرئيس لى كوان يو عظيم عظماء القرن العشرين والروح الوثابة للرئيس السيسى والآراء الثاقبة للخبير الدولى طلال أبو غزالة وغيرهم ممن تبنوا الفكر الكونى التطورى الذى يشمل التغيير المستمر للحياة:

1 – عادة يصاحب كل أزمة عالمية متضرر ومستفيد.. كثير من دول العالم سوف يحقق مغانم بطريقة أو أخرى عند احتواء هذا الفيروس اللعين.

2 – بعد الدمار يأتى الازدهار .. لإعادة الإعمار .. بعد العسر يسر.. الثورة الصناعية الرابعة قادمة .. تقودها الرقمنة والتطورات التكنولوجية المتعددة .. لخلق الإنسانيين الجدد.

3 – يتنبأ البعض بازدهار أكثر لاقتصاد الصين لتحتل المركز الاقتصادى الأول عالمياً قريباً.. يليها الهند.. ثم المركز الثالث تتراجع إليه أمريكا.. وتحتل مصر أحد العشرة مراكز الأولى عالمياً وقبل عام 2030 إذا استثمرت شبابها واستمرت فى تحسين سياساتها الرشيدة الحالية.

4 – أمريكا نفسها تعترف بالحاجة إلى نظام دولى جديد وتشترط الجلوس ومعها حلفاؤها مع الصين وحلفائها لاتفاق مقبول من الفريقين ويحظى برضا بقية العالم.

5 – وإذا تهاونت الدول والقوى الكبرى فى التعاون الصادق فلسوف يواجه العالم سبع سنوات عجاف كتلك التى جاءت فى أساطير الأولين.. وكساد وارتفاع أسعار وارتفاع معدلات البطالة وانكماش الدخل الفردى وقلة الأرزاق واحتمالات ثورات الجياع .. كل ذلك ممكن أن يحدث بنسب مختلفة .. إذا استمر السلوك الهزلى العالمى السائد حالياً المتمثل فى عدم انعقاد هيئة دولية مهمة مثل مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة لضبط وإيقاف ما يمكن من التدهور العالمى الحالى والقادم!

6 – شعار أنا أولاً مثل .. America first لا يصلح لعالم اليوم المتلاحم الذى يتطلب التعاون الدولى الناجز أولاً.

7 – القوى الاقتصادية عادة تهزم القوى العسكرية .. كما شاهدنا تفكك الاتحاد السوفيتى القوى عسكرياً .. لذا ليس من المستبعد أن تضطر أمريكا للتجاوب مع كثير من طلبات الصين القوية اقتصادياً!

8 – الثورة الصناعية الرابعة التى على الأبواب .. هى ثورة المعرفة .. والصين التى تستخدم ربع نشاط الإنترنت العالمية .. بدأت فى إنشاء إنترنت أقوى خاص بها وبلغات مختلفة!!

9 – السعودية أصدرت تعليمات لتدريس اللغة الصينية بمدارسها كما أن الإمارات تعمل بنشاط وتنظيم متصل بمشروع طريق الحرير.

10 – الحضارة العالمية الحالية تحتضر.. ولسوف تعقبها حضارة أكثر حداثة لمواجهة الحقائق بصدق مطلوب.. وفرصة مصر هى المساهمة بجدية فى نهضة العالم والثورة الصناعية الرابعة .. عقب زوال الكورونا.. أى الاستعداد من الآن لاحتضان الثورة التكنولوجية القادمة!

بصمة الحضارة المصرية فى العالم (1)

نشـــأت الحضارة المصرية فى زمن غابر يقدره بعض الخبراء أنه يرجع إلى أكثر من عشرة آلاف عام، فكان مبتكرو هذه الحضارة أول من وجه باقى شـــعوب العالم إلى إعمال العقل والتفكير المنطقى لإيجاد الحلول المناســـبة التى تتيح لهم التغلب على تحديات المعيشة. ومن البديهى أن مع مرور الزمن تتحول هذه الحلول وكذلك الأدوات التى استنبطتها إلى شيء معتاد يلجأ إليه كل من يبحث عن حل لمشـــكلة قابلته فى حياته اليومية دون أن يسأل نفسه: «من كان الرائد الذى هدانى إلى هذا الحل؟».

د. مهندس هانئ محمود النقراشي

hn@nokraschy.net

ومثال ذلك هو تقســـيم زمن اليوم، وهـــو دوران الأرض حول نفسها دورة واحدة إلى اثنتى عشرة ساعة للنهار ومثلها لليل فينقسم زمن دورة الأرض إلى 24 ســـاعة. ولســـهولة هذا التقســـيم تحول إلى ما نســـميه اليـــوم «مواصفة قياســـية»، ونضيف إلى تصنيفها كلمة «عالمية» حيث إن كل ســـكان العالم بلا اســـتثناء يعترفون بذلك وينظّمون حياتهـــم على أن اليوم 24 ساعة.

ساعة أمينوفيس الثالث ١٤٠٠ قبل الميلاد:

كان هـــذا الإناء يُمـــلأ بالماء إلى علامة فى أعلاه ويترك الماء لينســـاب من ثقب فى أســـفل الإناء وكان زمن الساعة يحتسب عندما يصل سطح الماء إلى العلامة التالية. ويلاحظ أن الشكل المخروطى للإناء يعطى زمناً متساوياً تقريباً بين كل علامتين. أى أنهم كانوا يحتســـبون زمن الساعة على أنه عدد محـــدد من زمن ثابت مثل ضربات القلـــب، ولا نجزم أن عدد ضربات القلب كان هو المعيار، ولكن هـــذا الإناء يثبـــت أن زمن الساعة كان ثابتاً وليس قابلاً للتمدد والانكماش ليكون النهار 12 ساعة سواء صيفاً أو شتاءً.

تقســـيم زمن اليوم لم يكن إلا جـــزءاً من إنجازات أوائل ســـكان وادى النيل. وقد تســـمح الظروف بذكر بعضها فى مقالات لاحقة. وهنا نكتفى باختراعـــين كان لهما تأثير بعيـــد المدى على تطور الإنســـانية جمعاء.

اختراع الكتابة:

نشأ فى مصر ســـنة 3200 قبل الميلاد فى عصر ما قبل الأسرات حيث اكتشـــف عالم المصريـــات الألمانى جونتر درايرسنة 2002 فى منطقة أبيدوس فى جنوب مصر العديد من الدلايات الفخاريـــة الصغيرة، بكل منها ثقـــب لتثبيتها فى وعاء بداخله مواد غذائية وعليها رموز تدل على مصدر محتـــوى الوعاء. والمقصود

حساب المتوفى كما جاء فى كتاب الموتى 1750 قبل الميلاد

تمثال العدالة أمام جامعة سوجينامى فى اليابان

بالكتابة هنا هو التعريف الحديث المعترف به فى الأوساط العلمية وهو استعمال رموز مقابلة لمحتوى صوتى وليس مجرد رسم الشيء المشار إليه كما فعل السومريون فى 3100 ق.م. وثبت بذلك أن الكتابة ظهرت فى مصر قبل ظهورها فى أى مكان آخر فى العالم. وتطورت هذه الرموز إلى أن وصلت للأبجدية العربية وكذلك الأبجدية اللاتينية وكلتاهما تستعملان فى الغالبية العظمى مما يُكتب فى العالم.

هذا التطور قد تتسع صفحات هذه المجلة الغراء لشرحه باستفاضة فى المستقبل.

العدالة أساس الحكم:

وكذلك لا يجب أن نغفل التراث المعنوى، ومنه الحياة فى مجتمع يحترم العدالة ... والعدالة تُمثل فى أغلب الدول على شكل سيدة تحمل

بصمة الحضارة المصرية فى العالم

فى إحدى يديهـــا ميزاناً وفى الأخرى سيفاً ولا يخفى أن فكرة وزن أفعال الإنســـان بهدف تقييمها موجودة ومُثبتـــة فى برديات قدماء المصريين كما تبين الصور المرفقة 1

هذا وعطاء المصريين مستمر إلى اليوم، فهم الذين أنشـــأوا أول دولة فى التاريخ صمدت لـــكل متقلبات العصـــور إلى اليوم، فلـــم يفلح فى تفكيكها الهكسوس ولا الفرس ولا الرومان ولا البريطانيون، فهى المثال الحى للاستدامة.

الاستدامة تعنى التطلع للمستقبل وليس الاكتفـــاء بالفخر بالماضى ... وهنا تتحول النظـــرة إلى متطلبات التقدم وأولهـــا الطاقة النظيفة بعد أن عانى العالم والشعب المصرى على مدار القرن الماضى من تزايد تلوث الهواء ونقص مـــوارد الماء النظيف بســـبب التهافت على إنتاج الطاقة بأى ثمن.

بالنظـــر إلى خارطة مصر نجد الوادى الأخضر يحف به من الجانبين مساحات شاســـعة من الصحارى تســـطع الشـــمس على أغلبها أكثر من 360 يوماً فى الســـنة بما يعادل طاقة مليـــون برميل مـــن النفط لكل كيلومتر مربـــع، إذن فالطاقة الحراريـــة، التى يمكـــن تركيزها وتخزينها ثـــم تحويلها إلى كهرباء وهى عماد التنميـــة، موجودة على جانبى الوادى. والتخزين الحرارى المناسب يعطى ميزة الإمداد المستمر طوال الليل. وعند التوسّع فى اتجاه ممر التنمية واتجاه السواحل يمكن لمســـاحة مصر اســـتيعاب ضعف عدد ســـكانها الحاليين مع ضمان تزويدهـــم بالطاقة والماء من تحلية مياه البحر.

مراجع

1. https://en.wikipedia.org/wiki/Lady_Justice G. Lamoine, ed., Images et representations de la justice du XVie au XIXe siècle (Toulouse: University of Toulose –Le Mirail, 1983) at page 8
2. مجلـــة الأهـــرام الاقتصادى العدد 2396 الصـــادر 19 إبريل 2015 حـــوار غادة رأفـــت: المرايا العاكسة، الحل الممتد لأزمة الطاقة.
3. مجلة الدبلومـــاسى – يوليو 2019
4. مجلة الكهرباء العربية العدد 138 أكتوبر 2019

نظرية هانئ النقراشي للمحطات الخمسية في شبكة فرعية مستقلة تماما

الطاقة التي يحتاجها ممر التنمية تنتج من محطات شمسية حرارية بين وادي النيل ومسار الممر تبريدها هوائي لتوفير الماء

تبنى المحطات الشمسية في مجموعات من خمس محطات نمطية، كل منها ٥٠ م.و مدعمة بمحطة غازية واحدة للطوارئ ومرتبطة في شبكة فرعية

المحطات الشمسية التي توجد قرب السواحل يستبدل مكثفها الهوائي بوحدة تحلية فتنتج إحتياج المياه للمدن الساحلية دون إنقاص الناتج الكهربي

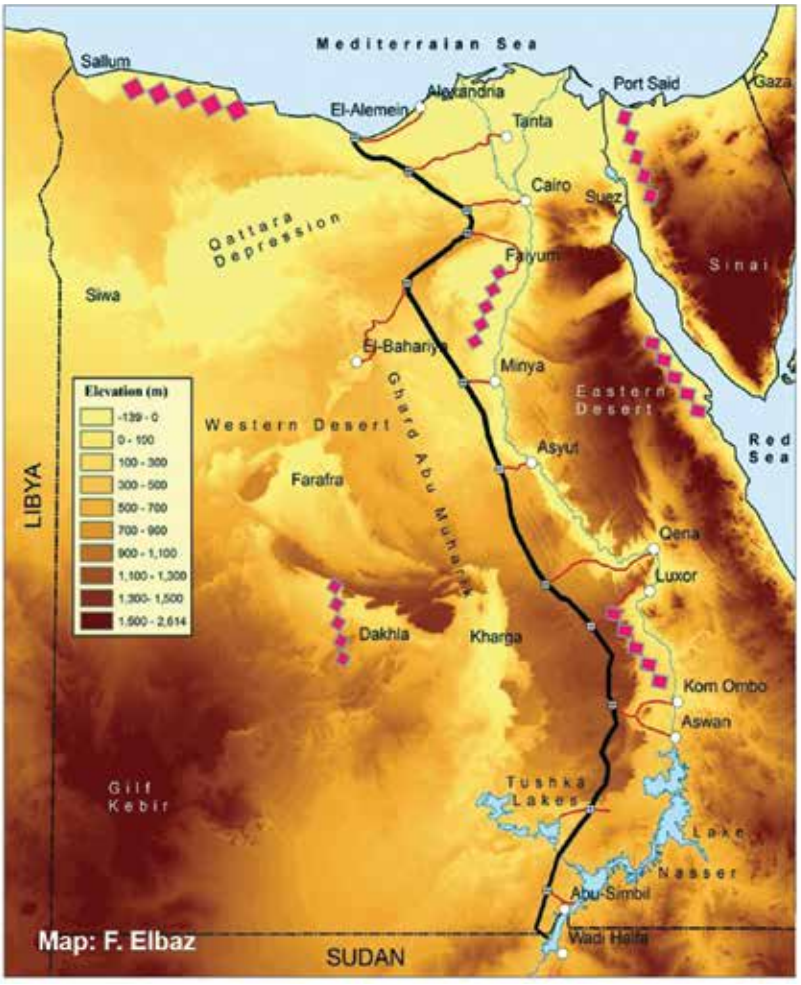

افريقيا والتصدى لجائحة كورونا وتداعياتها
فى الاطار الدولى

فوجئ العالم فى مطلع العام الجديد 2020 بجائحة ، أى وباء مهلك ، غير منظورة، سميت بكورونا أو كوفيد 19 ، وبتقدير أنها ولدت من رحم فيروس سابق طور نفسه هو سارس . تمحورت مهمتها فى قتل البشر ، وتدمير إقتصاديات الدول ، وقهر الشـــعوب والمجتمعات . لا تعرف تلك الجائحة وطنا أو حدودا ، تتمتع بسرعة فائقة على الانتشـــار وبقوة غير مسبوقة على القتل والتدمير .وطبقا لبيانات منظمة الصحة العالمية فى أوائل مايو 2020 ، تجاوز عدد الاصابات فى العالم 5 مليون إصابة ، والتعافى 37,905 شـــخص ، والوفيات حوالى 300 الف شخص ، بتقدير 85 ٪ منهم بالولايات المتحدة واوروبا الاكثر تضررا فى العالم .

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

لم يزل الجدل محتدما عن مصدرالجائحة ، هل هى : ـ

من صنع بـــشر فى معمـــل بيولوجى بمدينة ووهـــان بالصين ، ومن ثم تدخل فى إطار الحرب البيولوجية كأحد صور أسلحة الدمار الشـــامل (النووية / الكيمائية ...) ، بانتشـــارها كوباء مهلك ،إذ أضحت أحد مصادر التهديد للأمـــن القومى للدول بل وللأمن الدولى ، بما تستوجب مقاربة دولية فى إطار تعاونى للتعامل معها ربطا باسلحة الدمار الشامل .

أم انها من صنـــع الطبيعة ـ وهو ما أكدته منظمة الصحـــة العالمية ـ على نحو يتم معه إحياء نظرية مالتس فى الســـكان ـ رغم ما عليها من تحفظات ـ والتى ترى بأن الاوبئـــة والامراض والكوارث الطبيعية تعمل على تحقيق توازنا ـفى الاصل مختلا ، بين الموارد الطبيعية والاحتياجات البشرية ، حيث تتزايـــد الاولى بمتوالية عددية بينما تتزايـــد الثانية بمتوالية هندســـية ، وبما تســـتوجب مقاربة دوليـــة فى اطار تعاون دولى للتعامل مع مثـــل هذه الاوبئة لتأمين ذلك التوازن عبر البحـــث العلمى والتقدم التكنولوجى.

لقد تحـــول الجدل عن مصدر الجائحة إلى صراع وتبادل الاتهامـــات بين الولايات المتحدة والصـــين ،ويتجه نحـــو الصدام السياسى وتصاعد حدة الحرب الاقتصادية بينهما ، على نحو قد يحدث معه استقطابا دوليا بين الولاليات المتحدة والصين ، بما قد يؤثر ـ بجانـــب عوامل أخرى ـ على النظام الدولى الحالى ، القائم على العوله والقطبية الاحادية .وفى الوقت الذى يسود فيه تقدير بالتوجه نحـــو نظـــام دولى جديد متعدد الاقطاب ، يتسم بتعاظم دور الدولة فى كافة جوانب الحياة وخاصة البيئية والاجتماعية فى عودة ألى ظاهرة القوميـــة ، فان تقديرا آخر على النقيض منه ـ ربما فى تقديرنا هو الارجح ـ يقضى بالابقاء على النظام القائم حاليا مع اصلاح ما فســـد منه ، وتطويره وتحديثه دون تغييره .

وعلى الرغم من الســـباق المحموم بين مراكز البحث فى دول العالم ، وما يتردد عن قرب إكتشاف مصل أو لقاح لوأد الجائحة فى اكثر من دولة ومركـــز بحث ، بل هناك أحاديث عن اســـتخدام أدوية فعالة فى دول مختلفة ـ من بينهم مدغشقر ـ تم التصريح بها ، إلا أن ما أصاب دول وشعوب العالم من أضرار إقتصادية جسيمة تجسدت فى حالة غير مسبوقة من الكساد بتراجع الطلب أى الاستهلاك ، وتراجع العرض أى الانتاج مع تراجع معدلات الاستثمار والتجارة الدولية ، لينتهى الامـــر بانخفاض حاد فى معدلات التنميـــة ، وبالتالى إجمـــالى الناتج المحلى ، وإرتفاع معدلات التضخم ، وإنتشارالبطالة وتزايد معدلاتها ، ..... بما يستوجب اعادة النظـــر فى الهيـــكل الانتاجـــى للقطاعات الاقتصادية المختلفـــة بأولوية التركيز على قطاعات الصحة والتعليـــم والتكنولوجيا والبيئة والمناخ ، والبنيـــة التحتية ، وجذب الاستثمارات لتلك القطاعات بجانب قطاع الطاقـــة والزراعة والمياه .وهـــى أمور فى مجملها تســـتوجب إعادة النظر فى برنامج الامـــم المتحـــدة 2030 ، وبرنامج الاتحاد الافريقى 2063 للتنمية المســـتدامة ،والذى تمحورت اولويات الأخـــير حول الحوكمة والحكـــم الرشـــيد والديمقراطية وحقوق الانسان باســـتثناء فترة رئاسة مصر عام 2019 التى ركزت على جذب الاستثمارات وضخها فى القطاعـــات الانتاجية وفى البنية التحيـــة .وعلى عكس ما يـــرى البعض أن إحتـــواء الجائحـــة ، ومعالجـــة الاوضاع الاقتصادية سيدفع دولا عديدة الى الانكفاء داخليا وســـتتفكك تجمعات إقتصادية فى اشارة الاتحاد الاوروبى ، إلا أنه فى التقدير ـ كما أشرنا من قبل ـ ان ازمة الجائحة ستدفع نحو تعظيم التعاون بين الدول والمنظمات الاقليمية والدولية وســـتدفع نحو الاصلاح والتطويـــر ، بما فى ذلـــك منظمة الصحة العالمية التـــى وجهت إليها انتقادات لم يتم التيقن منها بعد ، بل إن تجاوز حالة الكساد ومواجهة الجائحة تستوجب تعظيم تعاونا ـ،قائما جزئيا بالفعل ـ، بين دول وشعوب العالـــم ومؤسســـاته وصناديقة وأجهزته المالية والنقديـــة القارية والدولية . وفى هذا الاطار يتنامـــى التوجه نحو الأخذ بمعادلة توازن بين الصحـــة والاقتصاد ، بالتعايش مع الوباء فى ظل إجـــراءات احترازية حتى يتم مواجهته بلقاح ومصل فعال ، وبالعودة إلى إحياء الانشـــطة الاقتصاديـــة فى كافة المجالات لتجاوز حالة كســـاد مدمرة ودفع عملية التنمية بقوة فى ظل معالجات فاعلة لقطاعات الطاقـــة والغذاء والمياه والصحة والتعليم .

إتصالا بما تقدم ، تتواتر المعلومات عن إنتشـــار الجائحة فى العديد من دول القارة الافريقية على نحو شمل حوالى 53 دولة من إجمالى 55 دولـــة . وعلى الرغم من ان عدد المصابين بالجائحة فى العالم قد تجـــاوز 4 مليـــون مصـــاب ، إلا أن إنخفاض عدد المصابين فى القارة الافريقية ـ وإن بدا اقل من نظرائهم فى القارات الاخرى ومتســـما بالبـــطء نســـبيا ـ إلا أن منظمة الصحة العالمية ترجح وبقوة أن افريقيا ســـتكون

افريقيا والتصدى لجائحة كورونا وتداعياتها فى الاطار الدولى

البؤرة الجديدة لتفشى الوباء فى ظل ظروف وأوضاع سيئة للغاية ، وتدلل على ذلك طبقا لتقديراتها ، أنه فى خلال ستة أشهر قد يصل عدد المصابين بالجائحة حوالى 10 مليون نسمة ، وقد يصل عدد الوفيات الى حوالى 300 الف شخص بل وقد يزيد . وتضيف أن كل مليون أفريقى لهم 5 عدد سرير فى الرعاية المركزة ، وأن عدد الاصابات حتى أوائل شهر مايو تجاوزت 51000 إصابة ، وتقدر الزيادة فى عدد حالات الاصابة بنسبة تجاوزت ال 50 ٪ ، وتجاوزت حالات الوفاة 2000 شخص، ليقفزعدد الوفيات بنسبة أكثر من 60 ٪ ـ وقد تعافى ما يقرب من حوالى 13400 حالة . وقد سجلت دول شمال افريقيا ما يقرب من 15700 حالة وتليها غرب افريقيا حوالى 11000 حالة ، وجنوب افريقيا 6400 حالة ، وشرق افريقيا حوالى 4100 حالة ، ووسط افريقيا حوالى 3800 حالة . تتجلى خطورة وضع الوباء بالقارة الافريقية مستقبلا ، فى تسارع معدل إنتشارة بين شعوب ودول القارة، لإعتبارات موضوعية عديدة ، تجعل من القارة الافريقية حالة خاصة وفريده .وتتجسد تلك الخطورة بتقديرات منظمة الصحة العالمية التى تتضمن أنه فى حالة عدم إحتواء الوباء قد تصل الاصابات فى السنة الاولى إلى ما بين 29 ـ 44 مليون إصابة ، بما يتجاوز الامكانات والقدرات الطبية لدول القارة والتى من بين مؤشراتها أن كل مليون شخص يتوافر لهم 9 أسّرة فقط فى وحدات الرعاية المركزة .

وقد دفعت تلك الاعتبارات ـ التى سنجئ على ذكرها ـ إلى تحرك أفريقى مؤسسى عبر وسائل الإتصال على مستوى رفيع ،تجسد أبرزه فى عقد ثلاث قمم مصغرة تحت مظلة الاتحاد الافريقى ، لوضع رؤية ومقاربة قارية منسقة وشامله والتحدث بصوت واحد مشترك مع التحرك جماعيا بآليات تستهدف مكافحة هذا الوباء ودرء مخاطره ، وقد ضمت تلك القمم عددا من رؤساء دول وحكومات أفريقية ـ وهم رؤساء دول الترويكا الافريقية ـ وفى مقدتهم الرئيس عبد الفتاح السيسى عن مصر بجانب رئيسى جنوب أفريقيا ورواندا ـ فضلا عن رؤساء دول تمثل المناطق الخمس الافريقية ، وفى حضور رئيس مفوضية الاتحاد الافريقى ورئيس مركز الإتحاد لمكافحة الامراض، ورئيس منظمة الصحة العالمية ، كما انعقد المجلس التنفيذى على المستوى الوزارى للاتحاد الافريقى ، فضلا عن عقد ندوة فى جنيف حول التداعيات الاقتصادية لجائحة كورونا على الاقتصاد الافريقى وسبل إحتوائها ، كما جرت مناقشة مماثلة فى الأمم المتحدة . وتجدر الاشارة الى دور إيجابى للمركز الافريقى لمكافحة الامراض والوقاية فى منطقة غرب أفريقيا تحت مظلة تجمع دول الايكواس ، ومثيله فى منطقة الجنوب الافريقى تحت مظلة تجمع دول الساداك ،بتنسيق مع منظمة الصحة العالمية فى التصدى لانتشار الفيروس على نحو يتعين دعمة وتطويره ، وربما إنشاء مناظرا له فى المناطق الافريقية الثلاث الاخرى .

واقع الأمر ، تواجه دول القارة الافريقية مستويات متعددة من المخاطر التى تتطلب تبنى حزمة متنوعة من الاستراتيجيات فى مواجهة هذا الوباء ، الذى يتعزز إنتشاره فى افريقيا بما تشهده من تدهور فى الاوضاع الامنية والحروب والصراعات المسلحة فى عدد من دولها ، ومحدودية القدرات الاقتصادية للتصدى لتحدى الجائحة ، والأوضاع الاجتماعية الفريده لشعوب ودول القارة فى المدن والاطراف فى إطار قبلى عشائرى .

تعانى الدول الافريقية من إرتفاع نسبة الفقر ، وضعف النظم الصحية ، وإزدحام المناطق الحضرية ، مع انعقاد الآمال على أن الجو الحار القاتل للفيروس (وهو أمر ليس مؤكدا بعد ..) وعلى التركيبه السكانية ذات الاغلبية للشباب بما لديهم من قدرات عالية فى المناعة تجعل من الاصابة بالفيروس تحت الاسوأ .أما من حيث القدرات الافريقية من الناحية الاقتصادية على مواجهة الفيروس فانها تتسم بالهشاشة نسبيا ، فان حوالى 95 ٪ من إقتصاديات الدول الافريقية تعتمد على المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، وبالتالى يتعذر عليها منفردة مواجهة تلك الجائحة على النحو المنشود ، إذ يتطلب الامر دعما ماليا ، وحشدا تمويليا ، لمواجهة التداعيات الإقتصادية والإجتماعية والصحية المترتبة على إنتشارها ومواجهتها .كما أن القدرات المعملية والاكلينيكية المتوافره لدى الدول الافريقية ، قاصرة عن مواجهة هذا التحدى ، بما يستوجب رفع كفاءتها وقدراتها بشكل فورى ، فضلا عن الأوضاع الامنية الهشة ، سواء بسبب الصراعات المسلحة والتى تصل إلى حوالى 15 صراعا افريقيا / افريقيا ،أو بسبب أنشطة التنظيمات الارهابية المتطرفة وخاصة فى منطقة الساحل ،والتى تعقد كل منهما من عمليات مواجهة هذا الخطر الجاثم على القارة ،حيث يتطلب إنشاء ممرات إنسانية وتجارية فى إطار مواجهة مخاطر انتشار الفيروس. يضاف ألى كل ذلك عبئ إقتصادى ضخم على الدول الافريقية يتمثل فى الديون المستحقة عليها والتى تقدر بحوالى 40 ٪ من الناتج المحلى الاجمالى مما يعزز من ضعف قدراتها على مواجهة هذا التحدى ويدفع نحوالمطالبة باسقاطها .

فى إرتباط بمجمل ما تقدم ، تبلور التوجه الرئيسى للقادة الافارقة فى محورين ، الاول ، الإعتماد على النفس أى على دول وشعوب القارة الافريقية بدعم صندوق الاتحاد الافريقى لمكافحة الجائحة المنشئ بقرار من القمة الاولى وذلك عبر المؤسسات الافريقية ، والعمل على تعزيزه ، وأيضا حث رجال الأعمال الأفارقة والقطاع الخاص على المساهمة فى هذا الصدد ، حيث تم التوافق على تأسيس إئتلاف رجال الأعمال الافريقى ، لحشد الموارد للاسهام فى تنفيذ المشروعات ذات الصلة فى إطار المسئولية المجتمعية تجاه التصدى للجائحة وتطوير القطاع الصحى ، وهو ما يعنى فى المجمل تعاظم جهود مؤسسات الدولة مع دور محورى

لرجال الأعمال والقطـــاع الخاص لمواجهة وباء قاتل للإنسان ومدمر للاقتصاد .

والثانى ، مخاطبة الـــشركاء الدوليين لدعم القارة فى مواجهة هذا الوباء ،وتواصل التنســـيق معهـــم ، خاصة عـــلى ضوء ما إنتهت إليه قمم العشريـــن ، والتى تناولت دعم الاقتصاد العالمـــى بحوالى 5 تريليون دولار ، فى إطار رصـــد مخاطر جديدة على أفريقيا بسبب النظم الصحية ، وعدم قدرة الاقتصاديات الافريقية على مواكبة مكافحة الوباء ، مما دفعهـــم بالفعل نحو المطالبة بإسقاط الديون ، وتقديم حزمة مساعدات عبر البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وبنك التنمية الافريقى (عـــرض البنك 3 مليار دولار) .وهـــو ما تقدمت بـــه بالفعل دولا أفريقية . وطبقا لتقديرات الاتحاد الافريقى ســـتحتاج الدول الافريقية الى ما يقرب من 130 بليـــون دولار فى إطار التصدى للوباء المهلك للانســـان والمدمر للاقتصاد ، والذى يكلف القارة فقد 20 مليون وظيفة .

وقد تواكب مع التحـــركات الافريقية، والدولية ، موقفا داعما من الأمم المتحدة عبر تصريحات لسكرتيرها العام ، وجه خلالها نـــداءا دوليا لوقف إطلاق النار للاســـهام فى وقف إنتشـــار الجائحة باعتبارها عدوا مشـــتركا ، كما يتجه مجلـــس الامن نحو التوافـــق على مشروع قرار بـــأن الجائحة تهديد للإنسانية وللأمن والسلم الدوليين مع المطالبة بوقف فورى لإطلاق النار فى مناطق الصراعات المسلحة ، فى إطار تضامن دولى شامل لمواجهة هذا الوباء.

لقد كانت أكثر المناطق الافريقية إصابة وتضررا من هذا الوباء منطقة شمال أفريقيا ، ومنطقة غرب أفريقيا ، ومنطقة الجنوب الافريقى عـــلى التوالى .وقد إتخذت كل دول القارة الافريقية حزما من الاجراءات الوقائية والاحترازية لاحتـــواء الوباء ، وأخرى مالية ونقدية ذات طبيعـــة تحفيزية للحيلولة أو الحد من تداعياته الاقتصادية والاجتماعية ، وهو الامر الذى اثر بالسلب على الاحتياطى بالبنوك المركزية .ولقد تراوحت الاجراءات الاحترازية ما بين فـــرض الحجر الصحى ، حظر التجـــوال ، واعلان حالة الطوارئ ، غلق الحدود ، وقف الرحلات الجوية ، فرض قيود على السفر ، إغلاق المدارس والجامعات ، منع التجمعات ، ووقف الانشطة الرياضية ، وإغلاق المطاعم والمقاهى ، وقف الصلاة فى الجوامع والكنائس ...وفيما يتعلق بالحزم المالية والنقدية فقد كان من أبرزها إجراءات تتعلق بتأجيل ســـداد الضرائب المستحقة ، فوائد القـــروض ، خفض معدلات الفائدة ، مبادرات وبرامـــج لدعم الفقراء والتكافل معهم ، الحد من السحب النقدى اليومى .... مع رصد دعم مادى لقطاع الصحة يشمل جميع مكوناته لرفع قدراته على المواجهة.

مجمل القول أن دول وشـــعوب العالم ومن بينها دول وشـــعوب القارة الافريقية أمام تحدى غير مسبوق ، حيث تواجه : ـ

1 ـ عدوا غير مرئى قاتل للحياة البشرية ومدمر للحياة الاقتصادية ومشـــتت للحياة الاجتماعية ، يطال الامـــن القومى والدولى لهم جميعا ، ويمكن ادخالـــه وتناوله من هذا المنطلق ضمن أســـلحة الدمار الشامل لوأده والتعامل معه ، فى إطار تعاونى كأحد صورأسلحة الحرب البيولوجية ، التى يتعين حظرها تماما ، وربما فى إطار يتراجع معه سباق التســـلح عالميا ويتقدمه سباق العلم والتقـــدم التكنولوجى بمـــا يؤمن الحياه البشرية ، ويدفعها نحو الازدهار .

2 ـ أهمية التعـــاون الاقليمى والدولى فى مواجهـــة هذا التحـــدى ، لدعم وتطوير القطاعـــات الاقتصادية خاصـــة القطاع الطبى والتعليمى والطاقة والمياه مع التركيز على البحث العلمى والاهتمام بقطاع البيئة والمناخ مع إمكانيـــة إطلاق عليها مصطلح قضايا الامـــن الناعمة ، وهـــو الامر الذى يســـتوجب إعادة النظرفى اوليات برنامج الامم المتحـــدة 2030 ، والاتحاد الافريقى 2063 .

3 ـ تعاظـــم دور الدولـــة فى تأمـــين حسن سير العمل وإنتظامة فى أنشطة تلك القطاعات ، وإجراء الاصلاحات الاقتصادية وما تتطلبه من تحديث وتطوير فى الهياكل الاقتصادية بالتعـــاون مع القطاع الخاص وبدعم من المؤسســـات والصناديق المالية الدوليـــة وكذا مـــن الدول المانحـــة ، وما يستوجبه ذلك من إسقاط الديون المستحقه على الدول الافريقية ، والســـعى نحو إنهاء الصراعات المسلحة فى عام اسكات البنادق بافريقيا .

4 ـ إيجاد صيغـــة متوازنه للتعايش ، بين جائحة كورونـــا فى ظل اجراءات الغلق والحظر والاحترازية لحين التوصل إلى لقاح ومصـــل للقضاء عليه ، وبـــين عودة كافة الانشـــطة الاقتصادية الى الحياة الطبيعية وبمعـــدلات متعاظمة للقضـــاء على حالة الكساد المتفشية .

5 ـ التقدير بأن عالـــم ما بعد الكرونا ســـيتجه إلى اصلاح النظام الـــدولى القائم حاليا وتطويره وتحديثه ، دون الوصول إلى حد تغييره عـــلى نحو لا يبدو معه الامر أننا أمام مولد نظام دولى جديد مختلف جذريا عن النظـــام القائم حاليا ، مع ترجيح إعلاء مكانة القيم الانسانية والاجتماعية فى إطار التعاليم السماوية .

اختيارات مصر

أفضال الألف كتاب

أتاح مشروع الألف كتاب لجيلنا من المصريين، فى النصف الثانى من خمسينيات القرن العشرين، ثروة من الترجمات، وفرت غذاء للعقول ومتعة للقلوب. فأتيحت مئات التراجم فى مجالات متنوعة. وقرأنا مسرحيات «جورج برنارد شو» الرائعة مثل: سيدتى الجميلة (بجماليون)، أو بيوت الأرامل، وتلميذ الشيطان، اللتان مثلهما المسرح القومى بدار الأوبرا. لكن المفاجأة التى عرفناها من تلك الترجمات، أن هذا الأديب العظيم له كتاب فى علم الاقتصاد بعنوان «دليل المرأة الذكية إلى الاشتراكية والرأسمالية والفاشية». بسط فيه شرح النظرية الاقتصادية لتصل لعقل سيدة البيت. ولفت نظرى قوله «الاقتصاد علم بسيط وسهل الفهم. لكن بعض علماء الاقتصاد تعمدوا أن يعقدوه لكى يدرسوه».

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

كذلك قرأنا ترجمة كتاب أبى الاقتصاد الحديث «آدم سميث» بعنوان «ثروة الأمم». وهو أول عمل يتناول الاقتصاد الحديث، دعا فيه إلى تعزيز المبادرة الفردية، والمنافسة، وحرية التجارة، بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة. وقد نشر كتابه فى عام 1776. ويعتبر «سميث» حتى اليوم من أكثر المفكرين الاقتصاديين تأثيرًا فى اقتصاديات العالم. وفى عام 2009 كان اسمه من بين أسماء «أعظم الإسكتلنديين» على مدى كل العصور، فى استفتاء أجرته قناة تليفزيونية إسكتلندية. وقد درس «سميث» الفلسفة الاجتماعية فى جامعتى جلاسكو وأكسفورد. وحصل على الأستاذية لاحقاً بجامعة «جلاسكو». وكان يؤمن بالليبرالية الاقتصادية ويعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكى. وقد خالفه فى آرائه جورج برنارد شو، ثم جاء اللورد جون مينارد كينز ليؤسس واحدة من أقوى نظريات الاقتصاد ذيوعاً وتطبيقاً.

فلسفة «آدم سميث»

تقوم فلسفة «آدم سميث» (1723 - 1790) على الاعتقاد بسلامة وكفاءة النظام الطبيعى، وأفضلية هذا النظام عن أى نظام مصطنع. فيرى أن السلوك الإنسانى يخضع لستة بواعث هي: حب الذات، والتعاطف، والرغبة فى الحرية، والإحساس بالملكية، وعادة العمل، والميل للمبادلة. واستخلص «سميث» من ذلك أن الفرد هو أفضل من يقرر مصلحته الخاصة، وبالتالى يجب تركه حرًا فى سلوكه واختياراته. وقد أدى اعتقاده فى وجود نظام طبيعى إلى القول بأن هذا النظام من شأنه أن يحقق التوافق والانسجام دون تدخل مختلق، وعدم التعارض بين المصالح الخاصة للأفراد، وبين المصلحة العامة، وحسب وصفه «فإن الأفراد فى سعيهم لتحقيق صالحهم الخاص يحققون - دون أن يشعروا - المصلحة العامة» التى هى فى النهاية مجموع مصالح الأفراد. وهناك عبارتان مشهورتان لآدم سميث فى هذا الصدد:

يقول فى الأولى: «ليس بفضل وكرم الجزار أو صانع الشراب أو الخباز، ما يسمح لنا بتوفير الطعام لعيشنا، بقدر ما يرجع ذلك إلى نظرتهم إلى مصالحهم الخاصة. وعندما نطلب خدماتهم، فإننا لا نتوسل إلى إنسانيتهم بقدر ما نستحث مصالحهم وأرباحهم الشخصية».

وفى عبارته الثانية، يقول عن الفرد وهو يسعى لتحقيق مصالحه الشخصية بأنه: «بسعيه لتحقيق مصالحه الخاصة فهو غالبًا ما يحقق مصالح الجماعة بشكل أكثر فاعلية مما يمكن تحقيقه عندما يعمل باسم المصلحة العامة؛ فلم أصادف خيرًا من وراء أولئك الذين يدعون العمل للمصلحة العامة فقط، دون الاعتراف بأن مصلحتهم الشخصية تكمن وراء الهدف النهائي».

الحرية الاقتصادية عند آدم سميث:

عارض «آدم سميث» تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى. ونادى بمبدأ «التخصص وتقسيم العمل». حيث كان يرى أن الأرباح هى الأساس فى تكوين المدخرات وفى زيادة معدلات التكوين الرأسمالى. وقد عنى فى كتابة «ثروة الأمم» بمشكلة التنمية الاقتصادية. وقام الاقتصاديون اللاحقون عليه بتشكيل النظرية الموروثة عنه، والتى من سماتها:

1. القانون الطبيعي: بتطبيق قوانين الطبيعة فى الأمور الاقتصادية ومن ثم فإنه يعتبر كل فرد مسئولاً عن سلوكه، وأنه أفضل من يحكم على مصالحه. وأن هناك «يداً خفية» تقود الفرد وترشده فى السوق، فإذا ما ترك كل فرد حراً فسيبحث عن تعظيم ثروته، ولهذا كان «سميث» ضد تدخل الحكومات فى الصناعة أو التجارة.

2. تقسيم العمل: يعد تقسيم العمل الدولى نقطة البداية فى نظرية النمو الاقتصادى لدى «آدم سميث» حيث تؤدى إلى أعظم النتائج فى القوى المنتجة للعمل، عندما ينتج كل بلد أفضل ما يفلح فيه. وننبذ فكر الاكتفاء الذاتى

وإنتاج «الإبرة والصاروخ».

3. تراكم رأس المال: ويعتبر التراكم الرأسمالى شرطاً للتنمية الاقتصادية. ويسبق تقسيم العمل. فالمهم هو زيادة قدرة الأفراد على الادخار، فيتحولون نحو الاستثمار فى الاقتصاد الوطنى.

4. دوافع الرأسماليين على الاستثمار: فيرجع قرار الاستثمارات إلى توقع الرأسماليين بتحقيق الأرباح، التى تعتمد على مناخ الاستثمار السائد، وعلى الأرباح الفعلية المحققة.

5. عناصر النمو: وتتمثل فى كل من المنتجين والعمال ورجال الأعمال. ويساعد على ذلك أن حرية التجارة والعمل والمنافسة التى تقود لتوسيع الأعمال، وإلى التنمية الاقتصادية.

6. عملية النمو: حيث ينمو الاقتصاد مثل الشجرة التى تتطور بشكل مستمر. فبالرغم من أن كل مجموعة من الأفراد تعمل معاً فى مجال إنتاجى معين، إلا أنهم يشكلون معاً الشجرة المجمعة لاقتصاد الدولة.

اشتراكية «جورج برنارد شو»:

وبالمخالفة لفلسفة آدم سميث جاء «جورج برنارد شو» (1856 - 1950) منحازاً للفكر الاشتراكى الجمعى. فقد كانت حياة هذا الكاتب والمفكر الفذ، فى بدايتها، نضالاً ضد الفقر. فجعل من مكافحته هدفاً رئيسياً لكتاباته. وكان يرى أن الفقر مصدر لكل الآثام والشرور. وأن معناه الضعف والجهل والمرض والقمع والنفاق. ويظهر ذلك جلياً فى مسرحياته التى يتناول فيها موضوع الفقر والرأسمالية.

قبل «شو» جائزة نوبل فى الأدب لما فاز بها سنة 1925. ولكنه رفض الجائزة المالية ساخراً ومعلقاً بقوله: «إن جائزة نوبل تشبه طوق النجاة الذى يتم إلقاؤه لأحد الأشخاص بعد أن يكون قد وصل إلى البر.» فقد عاش برنارد شو حياة بائسة فى شبابه وعندما أصبح غنياً لم يكن بحاجة لتلك الجائزة التى تمنح فى رأيه أحياناً لمن لا يستحقها. وسخر من «ألفريد نوبل» مؤسس الجائزة الذى جمع ثروته الكبيرة بسبب اختراعه للديناميت. وقال «إننى أغفر لنوبل أنه اخترع الديناميت ولكننى لا أغفر له إنشاء جائزة نوبل».

وقد انخرط «برنارد شو» فى العمل السياسى فى لندن. ونشط مع الحركة الاشتراكية وانضم للجمعية الفابية، التى تسعى إلى نشر المبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية. والملفت فى معتقداته أن مثله الأعلى للشخصية الدينية هو سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم. إذ لمس فى النبى الحماسة الدينية والجهاد للتحرر من السلطة. ويرى أن خير ما فى حياة النبى أنه لم يدّع سلطة دينية سخرها فى مأرب دينى، ولم يحاول أن يسيطر على قوى المؤمنين، ولا أن يحول بين المؤمن وربه، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى.

وقال «برنارد شو» عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم: «إنّ رجال الدين فى القرون الوسطى، رسموا لدين محمدٍ صورة قاتمة. فاعتبروه عدوًّا للمسيحية، لكن الرجل كان أعجوبةً خارقةً، ولم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وأرى بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً وقد بدأ أن يكون مقبولاً لديها من اليوم».

وتعتبر الاشتراكية عند «برنارد شو» نظرية غايتها الأولى والأساسية ضمان الوسائل التى تمكّن من «حسن توزيع الثروات بين البشر». ويرى أن «الثروة يجب أن توزع وتستخدم على الفور، بالطريقة التى يستهلك بها الغذاء»، كما يرى أن «التوزيع يجب أن يتم تبعاً لدخل كل فرد، وتبعاً لما ينتجه من خلال عمله». أما المساواة فى الدخول فهى عنده «الوسيلة التى تمكّن الفرد من أن يؤكّد قيمته الذاتية وجدارته». وفى الوقت نفسه يرى «على كل واحد منا واجباً تجاه البشرية، وأن قوة الإنسان الحيوية قادرة على خلق هذه المعجزة التى تجمع حرية الفرد وحرية الجماعة».

وانطلاقاً من هذه الأفكار الواضحة، يدنو «برنارد شو» فى كتاباته من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الأكثر إلحاحاً، فيستعرض أنظمة توزيع الثروات المعمول بها فى كل المجتمعات. ويتوقف فى نهاية الأمر عند النظام

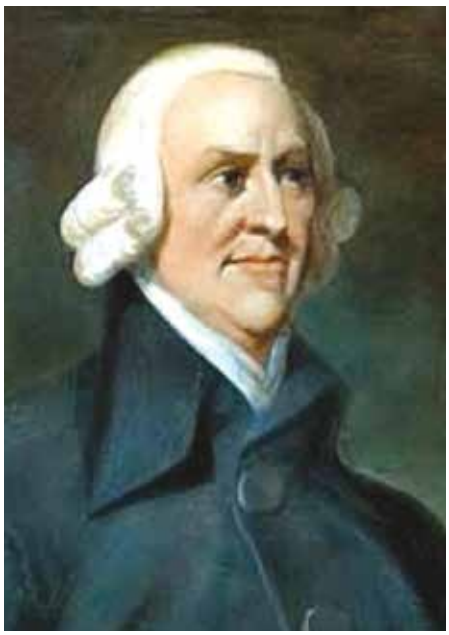

آدم سميث

الاشتراكى ليدرس مشكلاته، محللاً تأثير توزيع الثروة على الإنتاج والصناعة وعلى الأفراد والسكان. ويحلل العدالة الفردية والجماعية، دارساً سلبيات الإنسان أمام مساوئ المجتمع، مرجعاً إياها للمصلحة الفردية التى تتغلب لدى الإنسان على المصلحة الجماعية.

ويحدد «برنارد شو» ضرورة الاشتراكية. ويحلل نواقصها، وعلاقتها بالتربية وبالأنشطة الاجتماعية. ثم ينتقل إلى الرأسمالية، وإلى آثارها السلبية على البشرية، مركزاً على مساوئها، دون أن يغفل حسناتها، التى يراها قليلة جداً. ويركز على بعض أبرز سيئات هذا النظام، الذى يراه ضد الطبيعة ولمصلحة عدد محدود من الناس. ويرى أن الرأسمالية - كنظام غاياته فردية - يسير ضد المصلحة العامة، ويقسم المجتمع إلى طبقتين رئيسيتين: طبقة تعمل وتنتج، وطبقة لا تعمل، لكنها تتمتع بكل الخيرات التى تنتجها الطبقة الأولى، والتى تنال بالكاد أجراً مادياً أو حتى معنوياً لما تنتجه.

وفى معرض هذا التحليل، يركز «شو» على دور المرأة، وعلى وضعها فى المجتمع. وهو التحليل الذى يبرره فى كتابه «دليل المرأة الذكية»، ويدنو فى الوقت نفسه، من بعض المشكلات شديدة الحضور فى زمنه، مثل المضاربات العقارية والمالية،

وقضية تأميم البنوك وشركات التأمين والصناعات الكبيرة.

ويوضح «شو» العلاقة بين الاشتراكية وبين الملكية الخاصة. ويؤكد إدراكه لصعوبات تطبيق الاشتراكية. وأن الصعوبة الأساسية ترجع لنيات الأفراد الذين يتمسكون بمصالحهم الخاصة. إضافة إلى تردد الحكومات فى فرض رقابة شاملة على دخول الأفراد. وهو يحدد الصعوبات التى لا بد من تذليلها قبل التطبيق المثالى للاشتراكية.

ولم يكن غريباً على جورج برنارد شو، أن يهتم بالعلاقة بين الأخلاق والسياسة والاقتصاد، فأعلن منذ شبابه المبكر أنه معنى بقضية الإنسان ومكانته فى المجتمع أكثر من أى أمر آخر. ومن هنا ففى كل الأفكار الاجتماعية والأخلاقية وحتى السياسية التى حملتها أعماله الأدبية الكبرى، لم يفته أن يعلن عداءه للسياسة البريطانية الاستعمارية والرأسمالية.

النظرية العامة للتوظف والنقود وسعر الفائدة: جون مايناردكينز (١٨٨٣-١٩٤٦)

جاء هذا الاقتصادى الأبرز على مر العصور ليؤسس ما عرف بالاقتصاد الكلى الكينزى. ونظرًا لعظم شأنه كأحد أكثر المنظرين الاقتصاديين تأثيرًا فى القرن العشرين، فقد كان من الشخصيات الرئيسية المعنية بقيام نظام «بريتون وودز» بعد الحرب العالمية الثانية. ولكن عمله الأكبر بلا جدال كان «النظرية العامة للتوظف، والنقود، وسعر الفائدة». وأعترف بأننى لم أقرأ وأستمتع بعمل اقتصادى كامل البنيان كهذا العمل الذى جعلنى أعشق علوم الاقتصاد وأحس وأنا أقرأ كتابات اللورد كينز وكأننى أستمع لمعزوفة موسيقية متكاملة. حتى أننى قلت فى ورقة امتحان الاقتصاد أن «اللورد كينز» لابد وأن يكون قد تأثر بالموسيقى الكلاسيكية وبرقص الباليه وهو يصيغ نظريته فى انسيابية تتوافق مع كون زوجته راقصة باليه. وكانت جائزتى الكبرى هى حصولى على جائزة الدكتور منصور فهمى للتفوق فى علوم الاقتصاد سنة تخرجى 1960.

وتتميز «نظرية كينز» باختلافها عما جاء به من سبقوه، بما فيها من مفاهيم لازمة لتأسيس «سياسات اقتصادية بديلة». ولهذا استغلت أعماله، بعد الحرب العالمية الثانية لتأسيس دولة الرفاهة، واحتل موقعًا وسطًا بين كل المنظرين لعلم الاقتصاد. ثم اعتُبر لاحقًا واضع النظرية الاقتصادية التى احتاجها الليبراليون الاجتماعيون فى بريطانيا والعالم.

وتعتبر نظرية كينز أن العمالة والإنتاج كل واحد، لا ينقطعان عن بعضهما. وعلى عكس آدم سميث، يرى كينز أن اقتصاد السوق لا يملك «آليات تقوده تلقائيًا» لاستغلال كامل الموارد المتاحة، وأنه قد يواجه احتمالات حدوث بطالة لا إرادية. مما يؤكد على ضرورة تدخل قوة خارجية عن السوق (الحكومات) لإعادته للتوازن.

ويمضى تفكير كينز بقواعد الاقتصاد الكلى بالنسبة للعرض العام والطلب العام. ويرى أن الإنتاج والعمالة يعتمدان على التكلفة. فإذا لم يكن الطلب مرضياً، فالشركات لن تنتج بشكل كاف ولن توظف كل العاملين، وهنا يكون على الحكومات أن تقود سياسات دعم الطلب، والاستهلاك والاستثمار. وفى هذا ابتدع مفهوم «مُضَاعِف الاستثمار»، الذى يرى أن كل جنيه يُستثمر أو يُصرف على الإنتاج يساهم فى زيادة الناتج المحلى الإجمالى بمضاعفاته.

كينز وبريتون وودز

فى بداية الحرب، لم يكن كينز مؤيدًا للتجارة الحرة. واتهمه آخرون بوجود قطيعة عاطفية بين ليبراليته وحبه لوطنه. غير أن الرئيس الأمريكى «روزفلت» اتخذ قراراً واقعيًا باختياره لنظام التجارة الحرة. فتوجه كينز للتحالف مع أنصار التجارة الحرة الإنجليز من القطاع الاقتصادى. وابتعد عن مؤيدى الاستعمار الأقوياء بالبنك

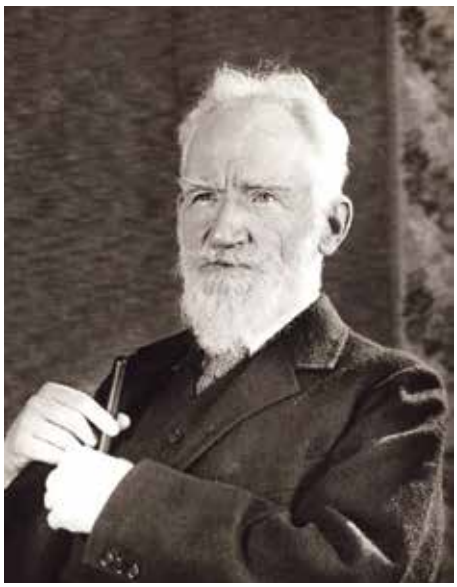

جورج برنارد شو

المركزى الإنجليزى. وتبين لكينز أن هجر قواعد التجارة الحرة سوف يضر بمكانة بريطانيا فى عالم لا يناسبها. ومن هنا قامت اتفاقيات «بريتون وودز» - والتى أنشأت كلاً من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى - على عناصر كان من أهمها:

1. تطبيق سياسات التوظيف الكامل، والتى شكلت أهمية كبيرة لكينز. لأن هدف التوظيف الكامل كان يحتل فى واشنطن نفس أولوية عودة التجارة الحرة. وكان كينز واعيًا لأنه رغم تفضيل الاقتصاديين الأمريكيين للتجارة الحرة، فقد كانت أغلبيتهم متأثرين بنظريته العامة، فكانت له مصلحة فى كسب تلك الفرصة.

2. وضع نظام نقدى دولى توسعى يسمح بالتغيرات فى العملة ويوفر المساعدة فى حاجة عجز ميزان المدفوعات، وضمان مساعدات للبلاد التى تمر بصعوبات اقتصادية.

3. وضع نظام لتمويل التنمية الدولية. وقد ساهم إنشاء البنك الدولى فى تمويل عمليات إعادة الإعمار من بعد الحرب ومن بعدها عمليات التنمية فى الفترة اللاحقة للحرب. ومع عدم كفاية الموارد، أوصى كينز بضرورة إسهام الولايات المتحدة بتمويل إضافى عن طريق «مشروع مارشال» لإنعاش اقتصادات دول أوروبا.

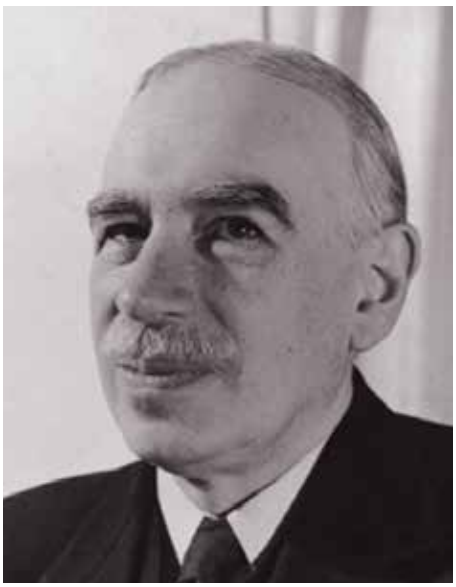

جون مايناردكينز

4. جعلت اتفاقيات بريتون وودز الدولار العملة المحورية للعالم، خلافاً لمقترح كينز بالاعتماد على عملة مستقلة عن اقتصاديات الدول.

ولكى يستمر ذلك النظام، افترض كينز أن الولايات المتحدة ستبذل وسعها للحفاظ على مصداقية ربط الدولار بالذهب. إلى جانب تمتع الدولار بدور قيادى كعملة للاحتياطات والمعاملات الدولية. وبعدها تعرضت نظرية كينز – التى سيطرت على الولايات المتحدة لفترة طويلة – لفقدان تأثيرها منذ بداية الثمانينات. لكن مع الأزمة المالية والركود الاقتصادى الذى ضرب الولايات المتحدة والغرب عموماً سنة 2008، بدأ الاهتمام بفكر كينز يعود للصورة.

دروس الاختيارات:

من هذا نخرج أن العالم طبق منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين سياسات متعددة ومختلفة وربما متضادة، نجحت كل منها فى الظروف التى سخرت لها. فمن حرية اقتصادية تبناها «آدم سميث» إلى اشتراكية مطلقة نادى بها «برنارد شو»، ثم وسطية مرنة جاء بها اللورد كينز.

وبهذه الذخيرة من المعرفة ومن القراءة للمتاح من المؤلفات والتراجم، وبعد دراسة الاقتصاد والعلوم السياسية بكلية التجارة بجامعة الإسكندرية، لم أجد حاجة للاستعداد بأى جهد إضافى للتقدم لمسابقات التعيين فى وزارة الخارجية أو البنك المركزى المصرى أو اللجنة العليا للتخطيط (وزارة التخطيط لاحقاً). وكان لى «حظ الاختيار» بين العديد من الفرص. وأعترف أننى حتى صباح يوم 11 مايو 1961 لم أكن قد حسمت الاختيار بين الالتحاق بوزارة الخارجية أو الانضمام إلى البنك المركزى. فذهبت فى الصباح الباكر للبنك وأتممت الإجراءات الأولية. وقرب الساعة التاسعة والنصف دخلت قصر وزارة الخارجية بالتحرير. ولا أدرى ما الذى جعلنى أواصل اليوم بالخارجية. رغم أن راتبها الشهرى كان حوالى 17 جنيهاً مقارنة براتب البنك 25 جنيهاً ومكافأة سنوية تعادل سبعة شهور.

وخرجت من تلك التجربة، بأن «الاختيار» لا يكون بالضرورة هو الحل الأمثل. بل الحل الممكن، والممكن تسويقه للناس. وبالفعل كنا – فى تدريبات علم الاقتصاد– ننحاز لاختيار حل نستملحه لمشكلة ما. فإذا بأستاذنا الدكتور صلاح الصيرفى – وهو من خيرة الاقتصاديين فى العالم – يطلب منا إيجاد الظروف التى تجعل من الحل الذى لم نختاره يصل لنتيجة جيدة أيضاً. وتعلمنا أنه لا يوجد ما يسمى «بالاختيار كامل الأوصاف» ولكن الأرجح والأقرب للنجاح هو الاختيار الذى تستريح له الأنفس وتنحاز له غالبية الناس.

فى هذا عاصرنا فى مصر الفرق بين العاطفين (صدقى وعبيد). كما عاصر الألمان تجربة الفرق بين هيلموت1 وهيلموت2. فالدكتور عاطف صدقى طبق بنجاح برنامج الإصلاح الاقتصادى. الذى شارك فيه الدكتور عاطف عبيد كوزير لقطاع الأعمال. لكن حكومة الدكتور عاطف عبيد أخفقت لاحقاً فى الحفاظ على نجاح نفس البرنامج.

وبالمثل فإن المستشار الألمانى «هيلموت شميت» رفض سنة 1982 تطبيق برنامج الإصلاح الذى اقترحه وزير الاقتصاد «أوتوجراف لامبسدورف» لعلاج العجز الجسيم فى ميزانية الدولة. وسقطت حكومة «شميت» وجاءت حكومة «هيلموت كول» وبنفس وزير الاقتصاد نجح برنامجه. فقد طبق عكس النصيحة المعتادة لتلافى العجز بفرض المزيد من الضرائب. وخفف معدلات الضرائب عن المؤسسات الألمانية فزادت أرباحها وزادت الحصيلة الكلية للضرائب. كما قلص الإنفاق غير الضرورى على العلاج والأجازات المدفوعة للعمال دون مبرر. وحقق فائضاً فى الموازنة بلغ 40 مليار مارك خلال سنتين. ولما زارنا فى مصر وزير الاقتصاد الألمانى السابق «أوتوجراف لامبسدورف» ليحاضرنا بدعوة من مؤسسة «هانز سايدل» كان فى غاية السعادة لما حدثته عما رأيته كشاهد عيان لتجربته المخالفة لكل التوصيات.

وعندما اندلعت الأزمة المالية الآسيوية سنة 1997 نصح صندوق النقد الدولى الدول المضارة بتبنى سياسة انكماشية وخفض الإنفاق. وطبقت أغلب هذه الدول النصيحة وخرجت بسلام من الأزمة. لكن «مهاتير محمد» لم يأخذ بهذه النصائح فى ماليزيا، وطبق سياسة عكسية توسعية فى الإنفاق، بخاصة على المشروعات الإنتاجية، والبنية الأساسية. لأنه خشى أن يضر الانكماش وخفض الإنفاق بمصالح الطبقات الأكثر احتياجاً. وحققت سياسته نجاحاً باهراً تضرب به الأمثال. بل إن الاقتصادى الأمريكى العالمى الأبرز «جيفرى ساكس» انتقد نصائح الصندوق وأيد ما ذهب إليه «مهاتير». ولقد زار «ساكس» مصر وحاضرنا مرات عديدة. وقدم الكثير من نصائحه للحكومة المصرية.

والدرس الأخير – من ذلك كله – هو أن نختار ما نقدر عليه ويتقبله الناس، وما نلمس فى الأفق إمكانيات نجاحه. فليس هناك علاج واحد لكل المشاكل. ولا علاج واحد لنفس المشكلة فى مجتمعات مختلفة. وعندما نقرر اختياراتنا الوطنية، يجب أن نكون على ثقة من أنه لا توجد نظرية فى السياسة أو الاقتصاد اسمها «نظرية كامل الأوصاف».

دبلوماسية مساعدات الصحة العامة فى زمن كوفيد _19

منذ مارس الماضى، ومع بدء نجاح الصين فى السيطرة على وباء كورونا المستجد واحتوائه، بدأت بكين حملة واسعة لتقديم معونات إغاثة ومساعدات لمختلف دول العالم، استخدمت فيها ولأول مرة قواتها المسلحة التى نقلت معدات وفرقاً طبية خارج الحدود لنحو 20 بلداً على الأقل من مجموع أكثر من 170 دولة وخمس منظمات دولية حصلت على مساعدات صينية من مختلف مناطق العالم، فى ظل تغطية إعلامية مكثفة فى الداخل والخارج.

وفى هذا السياق، تداول الكتاب الغربيون، فى تحليلاتهم لهذا النشاط الصينى وإدارة بكين لأزمة الوباء، مصطلحات مثل «دبلوماسية الأوبئة»، «دبلوماسية الأقنعة»، «دبلوماسية الفيروس» وغيرها، فى إشارة إلى الاستخدام الجيوسياسى لهذه المساعدات من قبل الصين، وأيضاً من روسيا وإن بدرجة أقل، لكسب النفوذ والمكانة العالمية، فضلاً عن كون هذه المساعدات من أدوات القوة الناعمة فى بيئة دولية تتسم بالتنافس والصراع، خاصة فيما بين الولايات المتحدة والصين.

ورغم أن الصين، لم تكن وحدها، حيث قدمت دول أخرى كثيرة مساعدات إنسانية، بما فيها روسيا والهند والولايات المتحدة ومصر وغيرها، إلا أن النشاط الدبلوماسى الصينى حظى بالاهتمام الأكبر بحكم القوة الاقتصادية والتجارية للصين فى عالم اليوم، بجانب بعض الاعتبارات التى جعلت هذا النشاط الدبلوماسى الصينى متفرداً. ذلك أنه بالرغم من عدم إعلان الصين صراحة، حتى الآن، عن إستراتيجية رسمية منسقة بشأن مساعداتها الإنسانية للبلدان النامية ارتباطاً بالوباء، إلا أنها بذلت جهوداً ضخمة فى تفعيل آليات دبلوماسية متعددة قدمت مساعداتها من خلالها. وفى هذا السياق،

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

تحركت الصين على أساس ثنائى بحت، ودون تنسيق أو مشاركة مع النظام الصحى العالمى المتعدد الأطراف، والذى غاب تماماً بسبب موقف الولايات المتحدة الذى حال دون إصدار أية قرارات ملزمة فى إطار مجلس الأمن حول الجائحة والسلم والأمن الدوليين، وهو ما منح الصين ميزة استثنائية متفردة ودون مزاحمة من قوى مانحة أخرى. كذلك قدمت الصين مساعداتها ليس فقط من خلال الحكومة المركزية، بل وأيضاً من القوات المسلحة وحكومات الأقاليم والمجالس المحلية والمنظمات غير الحكومية والشركات. ويضاف إلى ذلك أن الصين منحت خبرتها الناجحة فى التعامل مع الوباء والسيطرة عليه واحتوائه، من خلال تعزيز تواصلها الدبلوماسى مع الدول والمناطق التى تجمعها بها شراكات وعلاقات تعاون، واتصالات مكثفة على المستوى الرئاسى والوزارى بقيادات عدد كبير من الدول الصديقة على رأسها مصر وروسيا وإيطاليا وصربيا وفرنسا وغيرها.

فى المقابل قد لا يعرف الكثيرون أن الصين، وقبل أن تقدم مساعداتها للخارج وقت اشتداد الأزمة ومحاولاتها السيطرة عليها، تلقت معونات ومساعدات متنوعة من نحو 80 دولة حول العالم بما فيها مصر، كما سيلى البيان.

وتعرض هذه الورقة نقاطاً ثلاثاً رئيسية هي:

أولاً: الأهمية الخاصة للمساعدات الأجنبية فى زمن الجائحة.

ثانياً: سمات المساعدات الإنسانية التى قدمتها الصين وغيرها للعالم.

ثالثاً: ردود الفعل الغربية على دبلوماسية المساعدات.

أولاً: الأهمية الخاصة للمساعدات الأجنبية فى زمن الجائحة:

تكتسب المساعدات الأجنبية لمعاونة

الدول المتضررة من تداعيات وآثار وباء كوفيد – 19 أهمية ضرورية، ليس فقط لفداحة هذه الآثار على شريحة لا يستهان بها من الدول النامية، خاصة المنخفضة الدخل والأشد فقراً، بل وأيضاً فى ضوء عدد من الاعتبارات التى يمكن إيجازها فى الآتى بصفة خاصة:

1 – الآثار على الأمن الغذائي: على الرغم من صعوبة التنبؤ بآثار جائحة COVID 19- على الأمن الغذائى، لاسيما فى هذه المرحلة المبكرة، إلا أن الدروس المستفادة من الأوبئة أو الأزمات العالمية السابقة تشير إلى أن الأمن الغذائى يمكن أن يتأثر بسرعة وبشكل كبير، لاسيما فى الدول الأكثر فقراً أو المحدودة الموارد، حيث الفئات السكانية الأضعف. وفى الوقت الذى يدمر فيه (كوفيد 19-) الأرواح ونظم الصحة العامة وسبل العيش والاقتصادات فى جميع أنحاء العالم، فإن السكان الذين يعيشون فى ظروف الأزمات الغذائية معرضون حتماً لآثارها. وفى هذا السياق، أشار التقرير العالمى حول الأزمات الغذائية إلى أن حوالى 113 مليون شخص واجهوا مستويات حادة من انعدام الأمن الغذائى فى 53 بلداً وإقليماً، وذلك عام 2018. ومن المؤكد زيادة الاحتياجات الإنسانية وانعدام الأمن الغذائى مع وباء كوفيد – 19(1) .

2 – انعدام الالتزام السياسى المنسق فيما بين القوى الاقتصادية والتجارية العالمية لوقف التدابير الحمائية الدولية أمام حركة التجارة الدولية: كشفت جائحة كوفيد 19- عن انعدام الالتزام السياسى المنسق، فيما بين القوى الاقتصادية والتجارية العالمية، من أجل وقف التدابير الحمائية الدولية أمام حركة التجارة الدولية، فقد وضعت أزمة الوباء النظام التجارى الدولى أمام اختبار صارم. وفى هذا السياق، يؤكد العديد من خبراء الاقتصاد الغربيين أن سياسات ترامب الحمائية، المطبّقة منذ ثلاثة أعوام، تركت منظمة التجارة العالمية أقل استعدادًا للتعامل مع الوباء، إذ ستسعى كل دولة، خاصة الأقوى اقتصادياً وتجارياً، إلى ممارسات تجارية غير عادلة من أجل استعادة عافيتها الاقتصادية والتجارية بعد تحمل الحكومات تريليونات الدولارات لإبقاء الشركات والمؤسسات الصناعية الكبرى على قيد الحياة، مما قد يؤدى فى النهاية إلى تجاهل كامل لقواعد منظمة التجارة العالمية(2).

وكانت إدارة ترامب، وعلى مضض، قد رفعت الرسوم الجمركية تدريجياً عن أجهزة التنفس الصناعى والأقنعة الجراحية الواردة من الصين اعتباراً من 11 مارس الماضى، حيث تستورد 75٪ من احتياجاتها منها. وبعد عشرة أيام، واستناداً إلى قانون الإنتاج الدفاعى، فرض ترامب قيوداً على صادرات البلاد من أجهزة التنفس الصناعى والأقنعة( ). وبسبب الموقف الأمريكى، فشل اجتماع وزراء تجارة مجموعة العشرين فى مجرد مناقشة الضغوط التى تفرضها التدابير الحمائية وما يمكن لدول المجموعة اتخاذه حيالها. وقد اغتنم ممثل التجارة الأمريكى Robert lighthizer، المعروف بتشككه فى حرية التجارة أصلاً، الفرصة لإلقاء اللوم على التبادل الحر فى مواجهة الجائحة قائلاً: «ولسوء الحظ، نحن كالآخرين، نتعلم فى هذه الأزمة أن الاعتماد المفرط على البلدان الأخرى كمصدر للمنتجات والإمدادات الطبية الرخيصة قد خلق هشاشة إستراتيجية لاقتصادنا». ومن جانبه اعترف مفوض التجارة بالاتحاد الأوروبى بأن البيان المشترك الصادر عن اجتماع المجموعة لم يكن «طموحاً»(4).

على أية حال ضربت عدوى الحمائية دولاً أخرى مثل المملكة المتحدة وكوريا الجنوبية والبرازيل والهند وتركيا وروسيا وغيرها، والتى قيدت مبيعاتها من الإمدادات الطبية والأدوية، بل وحتى الأغذية بما ينطوى عليه ذلك من مخاطر خاصة خلال أزمة الجائحة، وسيأتى الأخطر عندما يبدأ الإنتاج الصناعى من جديد(5). والواقع أن العالم شهد بيانات تضامن غير مسبوقة ضد الفيروس، الذى بات وباءً عالمياً، إلا أن هذا التضامن لم يتجاوز حدود الدعم الشفهى إلا فى حالات محدودة.

ومما يعكس جسامة تداعيات الوباء على الصحة العالمية والاقتصاد الدولى، قيام منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولى بإصدار بيان مشترك فى 24 إبريل الماضى يناشد الدول بإيلاء الاهتمام بدور السياسات التجارية المفتوحة فى القضاء على الفيروس، واستعادة الوظائف، وتنشيط النمو الاقتصادى. ويحذر البيان من أن قيوداً على المواد الغذائية قد بدأت تظهر فى ممارسات الدول، بجانب القيود التى فرضتها على السلع الطبيّة، على الرغم من الإمدادات القوية، مضيفاً أن تجربة الأزمة المالية العالمية 2008 – 2009 تشير إلى أن القيود على صادرات الأغذية تتضاعف بسرعة فى جميع البلدان وتؤدى إلى تزايد حالة من عدم اليقين وارتفاع الأسعار. وخلص البيان إلى الحاجة إلى اتخاذ خطوة جريئة مماثلة لتلك التى اتخذت عام 2008 فى أعقاب قمة واشنطن، التى شهدت ميلاد مجموعة العشرين، بالتنازل عن فرض قيود جديدة على الاستيراد والتصدير والاستثمار لمدة عام، وهو ما أدى إلى تجنب القيود التجارية الواسعة النطاق التى تفاقم الأزمة وتؤخر التعافي(6).

3 – عام 2020 هو عام ركود فى الاقتصاد الدولي:

وفقاً لدراسات اقتصادية موثقة فإن عام 2020 هو عام الركود فى الاقتصاد العالمى، والذى يرجح أن يأتى أولاً من الولايات المتحدة ثم ينتشر على المستوى العالمى، وذلك لسببين: الأول أن الولايات المتحدة، التى يبلغ إجمالى ناتجها المحلى حوالى 20 تريليون دولار، تمثل نحو 23٪ من إجمالى الناتج المحلى العالمى (87 تريليون دولار عام 2019)، والثانى هو أنه من المرجح أن يجر الركود فى الولايات المتحدة الاقتصاد الصينى واقتصاد منطقة اليورو إلى الأسفل. ذلك أنه بالرغم من حرب ترامب التجارية ضد الصين، إلا أن 22٪ من واردات الولايات المتحدة مازالت تأتى من تلك الدولة و15٪ منها من دول منطقة اليورو(7).

ثانياً: سمات دبلوماسية المساعدات الإنسانية المقدمة ارتباطاً بالجائحة:

بحكم كونها كارثة عالمية بامتياز، حيث لم يقف انتشار وتفشى «كوفيد 19-»عند حدود دولة بعينها، كان من المفترض أن تكون الاستجابة لها عالمية منسقة تقوم على التعاون والتضامن الدولى لمواجهة الأزمة. ومع ذلك، فقد حدث العكس، إذ تقوم كل دولة بالتعامل مع الأزمة فى حدود مواردها ونظمها الصحية وثقافة شعبها، وإن ظلت إستراتيجية أغلب الدول متماثلة فى هذا الشأن، من حيث قيامها على عناصر ثلاثة هي: سياسات للتأمين، بدرجات متفاوتة بطبيعة الحال، لإبطاء تفشى الفيروس والتخفيف على النظام الصحى – تحسين قدرات هذا الأخير وتأهيله – حزمة مساعدات اقتصادية واسعة النطاق رداً على الإغلاق الاقتصادى المفاجئ والأزمة المالية الناجمة عن ذلك.

فى السياق عاليه، وفى ضوء كونها القوة الاقتصادية الثانية والأولى تجارياً على المستوى العالمى، وفى سياق رؤيتها الطموحة لموقع متقدم فى النظام الدولى يتناسب وإمكاناتها الهائلة من ناحية ويتفق مع مبادئ الحوكمة الداخلية والعالمية التى تؤمن بها وتدافع عنها من ناحية أخرى، اتسمت الدبلوماسية الصينية بقدر كبير من المرونة والثقة والديناميكية، معتمدة فى ذلك على أدوات غير تقليدية ومستفيدة فى ذلك من تقدمها العلمى المذهل فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث أطلقت عدداً من الآليات التى تخدم أهداف إستراتيجيتها الخارجية، وهو ما سعت الدول الأخرى إلى الاستفادة منه.

وفيما يلى السمات الأساسية لدبلوماسية المساعدات الإنسانية الصينية ارتباطاً بالجائحة، والتى سارت عليها دول أخرى مانحة:

1 – لم تعلن السلطات الصينية، صراحةً، حتى الآن، عن إستراتيجية رسمية منسقة بشأن مساعداتها الإنسانية ارتباطاً بالجائحة للبلدان النامية، إلا أنها بذلت جهوداً كبيرة فى تفعيل آليات دبلوماسية متعددة الأشكال لتقديم هذه المساعدات للعديد من الدول النامية فى مختلف مناطق العالم. وفى هذا السياق، تحركت الصين على أساس ثنائى بحت، ودون تنسيق أو مشاركة مع النظام الصحى العالمى المتعدد

دبلوماسية مساعدات الصحة العامة فى زمن كوفيد 19

الأطراف، والذى غاب تماماً، سواءً بسبب ميل الصين لتقديم مساعدتها فى إطار ثنائى أو نتيجة لموقف الولايات المتحدة الذى حال دون إصدار أية قرارات ملزمة فى إطار مجلس الأمن الدولى حول الجائحة والسلم والأمن الدوليين. وقد منح هذا الوضع الصين ميزة استثنائية متفردة ودون مزاحمة من قوى مانحة أخرى.

أما الاتحاد الأوروبى، فبعد تلكؤ ومعاناة من نقص الإمدادات الطبية، فقد بدأ اعتباراً من بدايات إبريل الماضى، فى توجيه التمويل من الموارد الخارجية القائمة لمكافحة الوباء فى البلدان الشريكة، مخصصاً نسبة 20٪ منها لإفريقيا جنوب الصحراء (حوالى 2.06 مليار يورو) وهو مبلغ لايزال بعيداً عن الطلب الذى تقدمت به لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لإفريقيا إلى المجتمع الدولى بتقديم 100 مليار دولار(8).

2 – لم تقدم المعونات والمساعدات الإنسانية من الحكومة المركزية فى بكين فقط، فقد قدمت أيضاً من الحكومات المحلية فى الأقاليم المختلفة والمدن والمنظمات غير الحكومية ورجال الأعمال والشركات الصينية الكبرى. وعلى سبيل المثال، تلقت إيطاليا معونات صينية من 20 جهة عامة وخاصة، بينما تلقت أسبانيا مساعدات من 12 جهة. وكأمثلة: تبرع الملياردير الصينى «جاك ما» صاحب «على بابا» بملايين الأقنعة لكل من أسبانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وعشرات الدول فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، كما تبرعت مؤسسة «على بابا» بمساعدات بقيمة 508 ملايين دولار أمريكى للولايات المتحدة وحدها، فيما اعتبر نصيب الأسد لأى بلد تلقى مساعدات صينية، علماً بأن مساعدات المؤسسة شملت 150 دولة حول العالم. ومن جانبها تبرعت شركة هواوى بملايين الأقنعة والآلاف من أجهزة التنفس الصناعى إلى كل من أسبانيا وهولندا وإيطاليا وبولندا(9) وغيرها الكثير من الدول فى مناطق العالم المختلفة.

3 – منحت الصين خبرتها الناجحة فى التعامل مع الوباء والسيطرة عليه واحتوائه، من خلال تعزيز تواصلها الدبلوماسى مع الدول والأقاليم التى تجمعها بالصين شراكات وعلاقات تعاون اقتصادى وتجارى. ومن ذلك على سبيل المثال:

– استضافة المسئولين الصينيين مؤتمراً عبر الفيديو مع نظرائهم من مجموعة 17 + 1 من دول وسط وشرق أوروبا لتبادل الدروس المستفادة حول مكافحة تفشى الوباء.

– عقد مؤتمرات مماثلة بين مسئولى الصحة الصينيين و10 بلدان أوروبية من بينها فرنسا والبرتغال والدنمارك.

– عقد مؤتمرات مماثلة مع جامعة الدول العربية والاتحاد الإفريقى و20 من قادة الصحة فى الدول الإفريقية الأعضاء فى مبادرة الحزام والطريق، بما فيها مصر، ومؤتمر مع دول أمريكا اللاتينية تبادل فيه نحو 200 مسئول حكومى وخبير صحى من الصين وهذه الدول وجهات النظر بشأن الوباء والتعامل معه(10).

4 – شملت دبلوماسية المساعدات الصينية اتصالات مكثفة على المستوى الرئاسى، وكذلك الوزارى، بقيادات عدد كبير من الدول الصديقة على رأسها مصر وروسيا وإيطاليا وصربيا وأسبانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وغيرها العشرات، حيث تم التأكيد على التضامن والتعاون الدولى لمواجهة الجائحة والتعامل مع آثارها، بما فيها التعاون المشترك لإنتاج اللقاح اللازم لوقفها. كذلك نوقشت قضايا التعاون لمواجهة الجائحة وبعض المبادرات الصينية مثل «طريق الحرير الصحي» Health Silk Road. وكان وزير الخارجية الصينى Wang Yi ذكر فى مؤتمر صحفى على هامش الجلسة الثالثة للدورة الـ13 لمؤتمر الشعب الوطنى فى بكين فى 24 مايو الماضى أن بلاده انخرطت فى «دبلوماسية سحابية»Cloud Diplomacy فى شكل اتصالات هاتفية وتبادل للمراسلات والمؤتمرات عبر الفيديو، مشيراً إلى أنه أجرى أكثر من 100 اتصال مع وزراء خارجية دول أخرى، وأن الرئيس Xi شخصياً قاد الجهود الدبلوماسية الصينية منذ بدء تفشى الوباء، مؤكداً فى كل اتصالاته ضرورة التعاون الدولى، وأن الصين سوف تستخدم كل مواردها الدبلوماسية لخدمة الإستراتيجيات الرئيسية للتنمية فيها وتعزيز عملية تحرير وتسهيل التجارة والاستثمار من أجل التعامل مع الضغوط على الاقتصاد العالمى ما بعد الجائحة.

ولم يتردد الوزير فى التأكيد على أن حماية المصالح الوطنية الصينية والوقوف أمام أية محاولات من قبل القوى الخارجية للتدخل فى الشئون الداخلية الصينية تظل فى مكانة متقدمة على أجندة الصين الدبلوماسية هذا العام، بالإضافة إلى التعاون المتعدد الأطراف كمفتاح فى دبلوماسية الصين، داعياً بذلك إلى مزيد من الجهود لدعم دور منظمة الصحة العالمية فى الحوكمة العالمية للصحة العامة(11).

ولم تقتصر المساعدات الصينية على البلدان والنظم المستقرة، وإنما شملت أيضاً مناطق الصراعات والتوتر، بناءً على طلب منها، مثل سوريا والعراق وفنزويلا وأفغانستان والصومال وليبيا (12).

وقد انضمت بكين إلى موسكو فى حملتها فى إطار الأمم المتحدة من أجل رفع العقوبات المفروضة على عدد من الدول، بما فيها سوريا وفنزويلا وإيران، أو حتى تخفيفها إلا أن إدارة ترامب أحبطت هذه المحاولة(13).

والواقع أن سياسة الصين الخارجية تجاه البلدان التى تواجه عدم الاستقرار السياسى والاقتصادى بل والأزمات، تتسم بديناميكية نشطة متزايدة الأهمية، بالمقارنة بالدول الغربية، بحيث يمكن القول بأن الصين هى المقرض الأكبر لهذه الدول والمستثمر الرئيسى فيها، وبالتالى ارتبطت مصالحها بالعديد من هذه البلدان(14).

5 – حددت وزارة الخارجية الصينية مجموعات خمس من التدابير التى تتخذها الصين، على المستويين الإقليمى والدولى، للمساعدة فى مواجهة الوباء تتمثل فى(15):

– تعزيز الاتصالات والتنسيق مع منظمة الصحة العالمية والمجتمع الدولى.

– تبادل وتقديم الخبرات مع بقية دول العالم بهدف دعم القدرات الجماعية لتعزيز أمن الصحة العامة إقليمياً وعالمياً.

– إيفاد فرق طبية للبلدان والمناطق المحتاجة وتقديم الأدوية والمساعدات الطبية الأخرى للمجتمع الدولى.

– منح الأقنعة والأدوية وملابس الوقاية والمنتجات الأخرى وتصدير الموارد الطبية والمعدات للدول الراغبة.

– تعزيز التعاون الدولى فى مجال التكنولوجيا، خاصة فى قطاعات الأدوية واللقاحات وأجهزة الاختبار.

وقد اختصت الصين دول الجوار بإستراتيجية تتضمن أولويات للتعاون الإقليمى تشمل(16)، تكثيف الاتصالات بهدف المزيد من الرقابة والسيطرة، من قبل حكومات دول الجوار، على حركة السفر من أجل الأعمال والتعليم والعمالة والأغراض الأخرى، وتبادل المعلومات عبر القنوات المختلفة وتنسيق الجهود لتحسين جمع المعلومات حول مخاطر انتشار الفيروس وتدابير بناء نظام معلومات يخدم الجميع. ويدخل فى ذلك دعم العاملين فى قطاع الصحة والقطاعات الأخرى ذات الصلة وتعزيز التبادلات عبر الحدود وتبادل الخبرات ونتائج البحوث وتوظيف حلول تكنولوجية جديدة من أجل تنظيم التعاون عن بعد. هذا بجانب الدعم القوى للوجيستيات والخبرة والتعاون المشترك فى مجالات البحوث العلمية، وأهمية الإبقاء على التعاون الاقتصادى والمبادلات التجارية لمنع وقوع أزمات مالية، ولتعويض الصناعات التى تأثرت بشدة نتيجة لتفشى الجائحة مثل السياحة والترفيه والنقل الجوى والبرى والفندقة.

ومن الطبيعى أن تحظى القارة الإفريقية باهتمام خاص من دبلوماسية الصحة العالمية الصينية، وهو اهتمام تاريخى يعود إلى ستينيات القرن الماضى عندما بدأت الصين فى إرسال فرق طبية إلى القارة، تضم ممارسات الرعاية الصحية، وكوادر لبناء القدرات المحلية وتدريب

المساعدات الطبية المصرية الى ايطاليا

العاملين فى مجال الرعاية الصحية، وبناء المستشفيات التى ظلت تعبيراً ملموساً عن التضامن بين البلدان النامية. وقد استخدمت الصين هذه المساعدات الصحية لتحقيق أهداف سياستها الخارجية، ممثلة فى دعم قوى من الدول الإفريقية للاعتراف الدولى بجمهورية الصين الشعبية عام 1971، وفى العام التالى انضمت إلى عضوية منظمة الصحة العالمية على حساب تايوان. وقد جاءت مساعدات الصين لإفريقيا فى تلك الفترة فى وقتٍ كانت فيه موارد الصين محدودة، الأمر الذى دفع بلدان القارة إلى تقدير هذه الجهود والشعور بتضامن الصين معها. وفى ظل قيادة الرئيس «Xi Jin-ping» شهدت طموحات الصحة العالمية للصين دفعةً قوية، ممثلة فى الإصلاحات التى تضمنتها «رؤية الصين الصحية 2030»، والتى عكست الأهمية المركزية للرعاية الصحية اليوم فى كل السياسات الصينية الرئيسية الأخرى بما فيها السياسة الخارجية(17).

وعلى حين كانت اليابان وكوريا الجنوبية، على التوالى، أولى الدول التى قدمت الصين مساعدات لها بعد سيطرتها على الوباء، مما يمكن النظر إليه على أساس المعاملة بالمثل، حظيت القارة الإفريقية باهتمام صينى خاص، كما كانت فنزويلا أول بلد فى أمريكا اللاتينية يستقبل المساعدات العينية والفنية الصينية، بما فيها طاقم طبى كبير، وذلك فى أواخر مارس الماضى، وهى واحدة من أكثر البلدان ضعفاً فى المنطقة من منظور احتواء الوباء ناهيك عن أن هناك 8 ملايين فنزويلى يعانون الجوع الحاد. وقد قدمت مساعدات الصين إلى حكومة الرئيس نيكولاس مادورو، الأمر الذى لقى انتقادات شديدة من أنصار خوان جوايدو والذى تعترف به 50 دولة من أمريكا اللاتينية وخارجها رئيساً شرعياً للدولة(18).

وقد جاءت المساعدات المقدمة من كل من روسيا والهند ومصر ارتباطاً بالجائحة، على النسق المشار إليه عاليه، وذلك كالتالي:

– روسيا: بغض النظر عن إدارة روسيا للأزمة داخلياً، إلا أنها سعت لاستخدامها لتأكيد وضعيتها كقوة كبرى يصعب عزلها بالعقوبات الاقتصادية والمالية. وفى هذا السياق، أوفدت موسكو وحدة من قواتها المسلحة إلى إيطاليا متخصصة فى إزالة التلوث الكيميائى فى أوقات الحروب إلى إيطاليا(19). وفى الوقت الذى اعتبر فيه بعض المحللين الغربيين الدعم الروسى بمثابة حملة دعائية، أبرز الكثيرون من النخبة الإيطالية والإعلام الروسى ردود الفعل الشعبية الإيطالية الإيجابية على المساعدة الروسية. وكانت روسيا فى مقدمة الدول التى قامت بدعم الصين معنوياً ومادياً منذ بدايات الأزمة، ارتباطاً بحملة ترامب بتحميلها مسئولية تفشى الوباء وتواطئها مع منظمة الصحة العالمية. كذلك أعلنت الولايات المتحدة على لسان رئيسها فى 2 إبريل الماضى عن قيام روسيا بإرسال طائرة محملة بالمعدات والإمدادات الطبية. وحظيت صربيا باهتمام خاص من روسيا – كما الصين – حيث أرسلت موسكو 11 طائرة عسكرية محملة بالمعدات الطبية والأقنعة لبلجراد، وهو ما دفع الرئيس الصربى إلى القول بأن «التضامن الأوروبى غير موجود... إنه قصة خرافية»(20)، ويضاف إلى كل ذلك حرص روسيا على الدخول فى سباق للتوصل إلى لقاح قادر على وقف الوباء.

– الهند: رغم عدم تمكن نيودلهى من السيطرة على الوباء واحتوائه تماماً، إلا أنها تحركت فى محيطها الإقليمى، مستفيدةً فى ذلك من تجربة الصين(21) ، حيث عقدت قمة افتراضية للدول الأعضاء فى رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمى (SAARC) فى 15 مارس الماضى، حيث تم تخصيص 5 ملايين دولار لصندوق طوارئ للدول الأعضاء(22). كما قادت الهند مبادرة لتوفير المعدات الطبية والأدوية والعاملين فى قطاع الصحة لدول الرابطة، عدا باكستان الغريم التقليدى للهند والحليف الأكبر للصين. وأحاطت الهند قرارها بالسماح بتصدير الهيدروكسى كلوروكين (HCQ)، والذى تنتج الهند نسبة 70٪ منه عالمياً، والباراسيتامول إلى الولايات المتحدة، بقدر كبير من التغطية الإعلامية(23)، وقد قدمت الهند مساعدات دوائية لنحو 32 دولة(22)، بينما صدرت أدوية تجارياً لـ 42 دولة، وأجرى رئيس الوزراء مودى اتصالات هاتفية، ارتباطاً بالوباء، بعددٍ من زعماء العالم منهم الرئيس عبدالفتاح السيسي.

– أما بالنسبة لمصر: فقد قدمت مساعدات طبية لعدد لايستهان به من الدول منها: الصين وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والسودان وجنوب السودان والكونغو الديمقراطية وزامبيا وغيرها. وقد تبنت الدبلوماسية المصرية فى هذا الشأن ذات الأشكال والآليات السابق الإشارة إليها، بجانب المساعدات، لاسيَما الاتصالات الهاتفية على المستوى الرئاسى بين الرئيس عبدالفتاح السيسى ونظرائه من الصين والهند والولايات المتحدة وغيرها، فضلاً عن إيفاد السيدة وزير الصحة للتعبير عن تضامن مصر مع الدول الأخرى وتبادل المعلومات حول الأدوية واللقاحات التى يمكن أن توقف الفيروس المستجد. ولاشك أن قدرات الدول فى إجلاء رعاياها فى الخارج ونقلهم إلى أرض الوطن، وكذلك مساعدة الدول الأجنبية فى إجلاء رعاياها من مصر، هو أيضاً شكل مهم من أشكال دبلوماسية المساعدات الدولية فى زمن الجائحة.

ثالثاً: ردود الفعل الغربية على دبلوماسية المساعدات:

فى الوقت الذى رحبت فيه الدول المتلقية للمساعدات الإنسانية بالجهود التى بذلتها الدول المانحة فى هذا الشأن، تمثلت ردود الفعل الغربية على الدبلوماسية الصينية بصفةٍ خاصة، وكذلك الروسية، بقدرٍ كبير من السلبية والتشكيك إلى حد وصف نتائج ذلك بالفشل الذريع(25)، وأنه على العكس مما استهدفته الصين من دبلوماسيتها، فإن رؤية الدول المختلفة ونظرتها للصين قبل الجائحة لم تتغير. وفى هذا السياق، تمت الإشارة إلى أن بعض بلدان أوروبا الغربية ومنها أسبانيا مثلاً يحمل 53٪ من سكانها وجهة نظر سلبية عن الصين «رغم كونها هدفاً لدبلوماسية القناع الصينية». وأبرز الإعلام الأمريكى والغربى تصريحات جوسيب بوريل Josep Borrell مفوض السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبى الذى ذكر أن الصين «منخرطة فى نضال على النفوذ من خلال الحركة السريعة وسياسات الكرم» منوهاً بأن «صفقات المساعدات

دبلوماسية مساعدات الصحة العامة فى زمن كوفيد 19

الجماعية الصينية تعكس رسالة الحكومة الصينية بأنها، على خلاف الولايات المتحدة، شريك مسئول ويعتمد عليه»(26). ومع ذلك، وفى كلمة له أمام السفراء الألمان فى 25 مايو الماضى، ذكر «بوريل» أنه يتعين على الاتحاد الأوروبى تبنى إستراتيجية أكثر تماسكاً ضد الصين واعترف بأن «الصين تبدو أكثر قوة وثقة، وصعودها مبهر ويدعو للاحترام، غير أنه يثير تساؤلات ومخاوف»(27).

كذلك اتهمت الصين بتبنى حملة تضليل ومعلومات مزيفة حول حملتها لمكافحة الفيروس، وأنها «قامت بدعاية عدوانية إلى حد مذهل» وأن ما قدمته من مساعدات «لن يجعلها قوة عالمية»، وأنه حتى مع تعثر الولايات المتحدة فى الأزمة الحالية، تواجه بكين تحديات داخلية وخارجية بسبب اختياراتها للحوكمة الاقتصادية والسياسية فى الداخل والحوكمة العالمية فى الخارج، كما أن هناك أدلة ضئيلة على أن «النموذج الصينى الاستبدادي» يتمتع اليوم بقدر أكبر من الجاذبية مقارنة بالمعايير الديمقراطية التى تبنتها الدول المجاورة للصين(28).

ووصف بعض التحليلات الغربية الدبلوماسيتين الصينية والروسية فى هذا الشأن بأنها «لعبة جيوسياسية» تستغل الدولتين بموجبها الجائحة لتحسين وضعهما دولياً(29). وأن الصين اغتنمت فرصة الوباء «لشن حملة علاقات عامة تهدف إلى تلميع صورة الحزب الشيوعى ومحاولة كسب عقول وقلوب الأوروبيين»، وهو ما لم يتحقق، وأن «حملات التضليل و«الدعاية الشريرة» فى مختلف أنحاء أوروبا، لم تحقق سوى نجاحات منعزلة، ولن تحسن من صورة الصين فى أوروبا على المدى الطويل(30)

وفى هذا السياق، وفى إشارة إلى المساعدات التى تلقتها بعض دول غرب البلقان، خاصة صربيا، من الصين وروسيا، تم التأكيد على أن «دبلوماسية» الوباء لن توقف عملية انضمام هذه الدول إلى الاتحاد الأوروبى، والذى قرر منح هذه الدول 38 مليون يورو كمساعدة فورية وإعادة تخصيص مبلغ 374 مليون يورو من أموال وكالة تشجيع الاستثمار لتسريع الانتعاش الاجتماعى والاقتصادى فى المنطقة(31).

واتصالاً بذلك، تناول بعض المحللين الأوروبيين ما اعتبره نفوذاً صينياً متزايداً فى المنطقة على حساب النفوذ الروسى، خاصة فيما يتعلق بصربيا، وأن الشراكة الراسخة التى أقامتها موسكو مع بكين على مر السنين، لن تخلق توترات بسبب غرب البلقان، حيث ستعتبر روسيا النفوذ الصينى المتنامى فيها هو الشر الأقل بالمقارنة بالاتحاد الأوروبي(32).

والواقع أن هناك تحليلات كثيرة من كتاب غربيين، لاقت رواجاً لدى بعض الكتاب الغرب، أشارت إلى أن الهدف العام لـ«دبلوماسية القناع الصينية « هو تحويل الانتباه عن حقيقة أن الجائحة لم تبدأ على أراضيها فحسب، بل وأيضاً إخفاء بكين الوباء فى البداية الأمر الذى سمح بخروجه عن السيطرة والانتشار ليس فقط فى مختلف أنحاء الصين، بل وفى العالم بأسره(33). أما بالنسبة لروسيا، فقد كانت الجائحة بمثابة «مناسبة أخرى لذرع الفتنة وتقويض الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة»، وأن هناك مخاوف من أن تكون روسيا قد استخدمت المساعدات الطبية للدول الغربية لأغراض استخباراتية، خاصة فى حالة الأطباء والمعدات المرسلة إلى إيطاليا والولايات المتحدة، أو استخدام هذه المساعدات « لتسجيل نقاط سياسية»(34).

وبالرغم من كل الانتقادات السابقة، اعترف هؤلاء الكتاب، صراحةً أو ضمناً، بأن سوء إدارة الجائحة من قبل الولايات المتحدة ودول أوروبية عدة، بالإضافة إلى الفشل العام لرد فعل الاتحاد الأوروبى عليها، على الأقل فى البداية، قد وفر الفرصة للصين لتحقيق نجاح هائل وظهورها كقوة عالمية مسئولة وموثوق بها، بل وأكثر استعداداً ولو ظاهرياً للتعاون مع مؤسسات دولية مثل منظمة الصحة العالمية، بالمقارنة بالولايات المتحدة التى جمدت تمويلها للمنظمة. وفى هذا السياق، تم تقييم دبلوماسية الصين بشكل إيجابى فى معظم وسائل الإعلام الآسيوية، عدا تايوان بطبيعة الحال، بما فيها اليابان حيث وصفت بأنها أكثر من مجرد حملة علاقات عامة ولكنها كانت مساعدات ضرورية قوبلت بتقدير يعكس اعتماد المنطقة المتزايد على التجارة والاستثمارات والسياحة الصينية. فالمنطقة الآسيوية هى الشريك التجارى الأكبر للصين كما أن العلاقات تشهد توسعاً من خلال مشاريع مبادرة الحزام والطريق والتى تقدر بنحو تريليون دولار. وتضيف التقديرات بأنه فى الوقت الذى لا يستبعد فيه الكثيرون إمكانية عودة موجة جديدة من (كوفيد - 19)، يتطلع العديد من الحكومات للدعم الاقتصادى الصينى مع دخول اقتصاديات المنطقة لمرحلة كساد، وذلك بغض النظر عن ما إذا كانت الصين مستعدة للتعامل مع مشاكلها الاقتصادية الخاصة بها، خاصة وأن نموها الاقتصادى خلال الربع الأول من هذا العام كان سلبياً بنسبة 6.8٪ ، والأقل منذ عقود (35).

من ناحية أخرى، أكد البعض الآخر أن حملة المساعدات التى قدمتها الصين بمجرد احتواء الوباء «تعزز ببساطة حقيقة مفادها أن الكثير مما يعتمد عليه العالم فى مكافحة فيروس كورونا المستجد يتم تصنيعه فى الصين»(36).

وعلى النقيض من ذلك، بدت الولايات المتحدة مفتقرة إلى المعروض والقدرة على تلبية العديد من احتياجاتها، ناهيك عن تقديم المساعدات لمناطق الأزمات الأخرى. وقد تم تداول أنباء مفادها أن المخزون الإستراتيجى الأمريكى لا يتجاوز1٪ من الأقنعة وأجهزة التنفس الصناعى المطلوبة، و10٪ بالنسبة للمواد الأخرى. كذلك تتجاوز حصة الصين فى سوق المضادات الحيوية فى الولايات المتحدة نسبة 95٪، ولا يمكن تصنيع أغلب المكونات محلياً. ورغم أن واشنطن عرضت تقديم المساعدة للصين وغيرها فى بدايات الأزمة، إلا أنها أصبحت أقل قدرة على القيام بذلك الآن مع نمو احتياجاتها، على عكس الصين التى تقدم مساعداتها عندما تكون الحاجة العالمية إليها أكبر(37).

والخلاصة: أنه وإن كان موقف أوروبا تجاه الصين قد اتسم بالحذر والانقسام الداخلى ما بين داعم لمزيد من التعاون مع الصين وآخر متردد إزاء ذلك، إلا أن دبلوماسية الجائحة حققت نتائجها من المنظور الصينى ووفرت لبكين فرصة هائلة لتقديم نفسها كقوة عالمية مسئولة قادرة على مد يد العون للعديد من الدول.

ولقد لعبت بكين دورها بمهارة من خلال دبلوماسية نشطة متعددة الأبعاد، على المستويين الثنائى والمتعدد الأطراف، ولم ينافسها فى ذلك أية قوة أخرى رغم قيام دول أخرى بتقديم مساعدات، بما فيها الهند وروسيا. وتكشف مقارنة إدارة الأزمة فى شرق آسيا بنظيرتها فى الغرب عن فجوة واضحة بين نجاح تدابير الاحتواء السريعة التى اتخذتها أغلب بلدان شرق آسيا وإخفاق العديد من الدول الغربية التى لم يتم احتواء الوباء فيها تماماً بعد. وقد تكون الدروس المستفادة من الأوبئة السابقة وثقافة الانضباط والعمل الجماعى السائدة فى آسيا والاستخدام الجيد للتكنولوجيا، خاصة تطبيقات الذكاء الاصطناعى، هى كلها عوامل لعبت لصالح آسيا.

أخيراً، يمكن القول بأن دبلوماسية المساعدات، لم تؤد إلى تغييرات تذكر فى الواقع الجيوسياسى لوضعية الدول التى قدمتها، لاسيَما الصين وروسيا، فى النظام الدولى وعلاقتهما بالولايات المتحدة الأمريكية التى لاتزال اللاعب الرئيسى فى النظام الدولى، وذلك رغم أنها لم تعد تلك القوة المهيمنة التى كانت قبل عقدين ورغم عزوفها عن لعب دور القيادة العالمية كما كان الحال فى أزمات سابقة، كما لايبدو أنها مستعدة الآن للتسليم بما حققته الصين من قفزات واسعة اقتصادية وتجارية تؤهلها لمزاحمة الولايات المتحدة.

المراجع:

- انظـر فى ذلـك تقريـر منظمـة الاغذيـة والزراعـة المعنوَن:

Anticipating The Impacts Of COVID In Humanitarian and Food Crisis، ١٩- ٢٤ April ،٢٠٢٠ https://www.foo.org/٣/ca٨٤٦٤en/ca٨٤٦٤en.pdf.

Yukon Huang & Jeremy Smith: - Pandemic Response Reflects Unlearned Lessons of U.S. China Trade War، April ٢٧، ٢٠٢٠. https://carnagieendowment.org/٢٠٢٠/٠٤/٢٧/pandemic -response -reflects -unlearned -lessons -of -us -china -trade -war -pub-٨١٦٥١

- المرجع سابق.

- المرجع السابق.

Could Bring ١٩- Chad P. Bown: Covid - Down The Trading System، Foreign Affairs، https://www.foreignaffairs. ٤ April ٢٠٢٠، ٠٤- ٢٠٢٠- com/articles/united -states could -bring -down- ١٩- covid/٢٨- -trading -system

WTO and IMF Head Call For Lifting - Trade Restrictions On Medical Supplies https://www. ٢٤، ٢٠٢٠ and Food، April /٢٤/٠٤/٢٠٢٠/imf.org/en/news/articles wto -and -imf -joint -statement- ٨٧/pr٢٠ .response- ١٩- -on -trade -and -the -covid

Francesco Daveri: Global Economy:- ،٢٦ ،The Year of Recession? December https://www.ispionline.it/en/ .٢٠١٩ publication/global -economy -year -ression- ٢٤٦٣٧

Maddalena Procopio; China's Health - Diplomacy In Africa: Pitfalls Behind The https:// ٧، ٢٠٢٠، Leading Role، April www.ispionline.it/en/pubblicazione/ chinas -health -diplomacy -africa -pitfalls -behind -leading -role- ٢٥٦٩٤.

Erik Brattberg & Philipp Le Corre: - Isn't Turning Europe Pro ١٩- No، Covid https:// ١٥، ٢٠٢٠، – China (Yet)، April /١٥/٠٤/٢٠٢٠/carnegieendowment.org isn -t -turning -europe- ١٩- no -covid -pro -china -yet -pub- ٨١٥٧١

Parsifal d'sola Alvarado; China، Venezuela - and the Limits of Pandemic Diplomacy، https://worldcrunch.com/ ١٤، ٢٠٢٠ May coronavirus/china -venezuela -and -the -limits -of -pandemic -diplomacy.

Wang Yi: China's Diplomacy Going Well - Amid Regular Epidemic Controls GTN، https://news.cgtn.com/ ٢٥,٢٠٢٠ May wang -yi -china -s/٢٤- ٠٥- ٢٠٢٠/news -diplomacy -is -going -well -amid -regular -eidemic -control -QKTAJZEWQY/index. html

Mattia Giampaolo: Libya And - Coronavirus: What Are The Political And Health Risks? https://www.ispionline.it/ en/pubblicazione/libya -and -coronavirus -what -are -political -and -health -risks -٢٥٦٥٠

Frances Z. Browin، Jarrett Blanc، - Coronavirus In Conflict Zones - A Sobering https:// ١٤ Lands Cape، April ،٢٠٢٠ /١٤/٠٤/٢٠٢٠/carnegieendowment.org coronavikus -in -conflict -zones -sobsring -landscape -pub- ٨١٥١٨.

Nicholas Crawford، China And - Instability In Developing Countries. A Report Presented To The International Institute For Strategic Studies (IISS)، https://www.iiss.org/ ٢٨، ٢٠١٩ October china/١٠/٢٠١٩/blogs/research -paper -and -instability.

Chinese Foreign Ministry Spokesperson - Geng Shuang's Regular Press Conference The Ministry Of ١١، ٢٠٢٠ On March Foreign Affairs Of The Peoples Republic https://www. ١١، ٢٠٢٠ Of China March jzhsl/٦٧٣٠٢١- fmprc.gov/cn/web/fyrbt -٦٧٣٠٢٥/٧٥٤٥٣٠t١.shtml.

China ،١٩ - China's Fight Against CONID - Watch Institute، China Daily Institute of Contemporary China Studies، Tsinghua University School of Health Policy and Management، Peking Union Medical College، April ٢١، ٢٠٢٠.

Lancaster، K.Rubin.M&Rapp Hooper M.:- Mapping China's Health Silk Road، Council Foreign Relation ، https://www.cfr.org/ blog/mapping -chinas -health -silk -road

Parsifal D'Sola Alvarado: China، - Venezuela And The Limits Of Pandemic https:// ١٤، ٢٠٢٠ Diplomacy، May worldcrunch.com/coronavirus/china -venezuela -and -the -limits -of -pandemic -diplomacy.

١٩ - لمزيـد مـن التفصيـل حـول الإدارة الروسـية للأزمـة ، راجـع:

Nona Mikhelidze: Russia and the Covid- Crisis: Hardship at Home، Soft power ١٩- https:// ٢٥,٢٠٢٠ flexing Abroad، April www.iai.it/en/pubblicazioni/russia -and crisis -hardship -home -soft- ١٩- -covid -power -flexing -abroad.

وانظر ايضاً:

Aldo Ferrari: Centre and Periphery in- Russia. Is something Changing?، May https://www.ispionline.it/en/ ٢٠,٢٠٢٠، pubblicazione/centre -and -periphery -russia -something -changing- ٢٦٢١٥

Eleonora Tafura Ambrosetti: The- ٢٠ Balkans «Big Brother»: Will China Replace https://www. ، ٣٠,٢٠٢٠ Russia? April ispionline.it/en/pubblicazione/balkans -big -brother -will -china -replace -russia -٢٥٩١٧

Rajiv Bhatia: India's Corona- ٢١ http:// ١٦,٢٠٢٠ -Diplomacy ، April www.gatewayhouse.in/india -corona -diplomacy .

٢٢ - المرجع السابق.

Vivek Mihra: Indian Diplomacy- ٢٣ Extraordinary times.: ١٩- During Covid ،٢٠٢٠ ،٧,Extraordiary Measures، May https://www.icwa.in/show -content.php?lang=١٨ level=٣&IS_id=٤٨٠٢.

٢٤ - فيفـك ميـشرا -الدبلوماسـية الهندية فى زمـن كورونـا -مرجـع سـابق.

- من ذلك على سبيل المثال أنظر:

Kirk Lancaster & Michael Rubin: Assessing the Early Response to Beijing's Pandemic Diplomacy، Council On Foreign Relations، https://www.cfr.org/ ٣٠، ٢٠٢٠ April blog/assessing -early -response -beijings -bandemic -diplomacy.

- كيرك لانكستر ومايكل رون – مرجع سابق.

China's Virus Diplomacy: Global Savior - or « Wolf Warrior»? – The Economic Times https://economictimes.com/news/ international/world -news/chinas -virus -diplomacy -global -saviour -or -wolf -warrior/articleshow/٧٥٩٩٧٥٢٣.cms.

Michael Green & Evans S. Medeiros: the - Pandemic won't Make China the world's leader، Foreign Affairs، April ٤، ٢٠٢٠.

Vuk Vuksanovic : China and « Mask - Diplomacy» in the Balkans، April ،١٣ China and « Mask Diplomacy» in the : ٢٠٢٠ Balkans، April ،١٣، ٢٠٢٠.

Erik Brattberg And Philippe Le - Corre:- Isn't Turning Europe Pro – ١٩- No، Covid China Cyet),April ١٥، ٢٠٢٠.

Jovana Marovic، The Pandemic Won't - Stop The Balkan Path Towards The EU، https://www.ispionline. ٣٠، ٢٠٢٠ April it/it/pubblicazione/pandemic -wont -stop -balkans -path -twards -eu- ٢٥٩١٩

Eleonora Tafuro Ambrosetti: The- Balkans « Big Brother»: Will China Replace https://www. ٣٠، ٢٠٢٠ Russia? April ispionline:it/en/pubblicazione/balkans -big -brother -will -china -replace -russia -٢٥٩١٧

Katarzyua Sidlo: China، Russia، - geopolitical games in pandemic - Stricken https://www. ،٢٠٢٠ MENA region، April euromesco.net/publication/china -russia -and -geopolitical -games -in -pandemic -stricken -mena -region.

وانظر أيضاً فى نفس المعني:

Vuk Vuksanovic: China and «Mask ،١٣ ،Diplomacy» in the Balkans، April ٢٠٢٠.

https://www.ispionline.it/en/ pubblicazione/china -and -mask -diplomacy -balkans- ٢٥٨٩٨

- المرجع السابق.

Richard Javad Haydarian China's Mask - Diplomacy « Wins Over Us Blame Game، https:// ٢٠، ٢٠٢٠، Asia Times، April chinas -mask/٠٤/٢٠٢٠/asiatimes.com -diplomacy -wins -over -us -plame /-game

Kurt M. Campbell And Rush Doshi: - The Coronavirus Could Reshape Global https://www. ١٨، ٢٠٢٠، Order، March ٢٠٢٠/foreignaffairs.com/articles/china coronavirus -could -reshape/١٨- ٠٣- -global -order.

- المرجع السابق.

خسائر اقتصادية ضخمة

فى مجالات الثقافة والفنون والرياضة بسبب كوفيد_19

نجحت مبادرة «خليك فى البيت، الثقافة بين إيديك» التى أطلقتها وزارة الثقافة المصرية فى التواصل الإيجابى مع الجماهير المضطرة للبقاء فى منازلها، وذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعى، إذ بثت على قناة خاصة دشنتها على يوتيوب عروضًا فنية راقية حازت على الإعجاب.

سفير هشام الزميتي

hisham_elzimaity@yahoo.com

وقديمًا، كان أفراد الأسرة يجتمعون مساءً حول المدفئة، يتسامرون ويتبادلون الحديث والتجارب والنصح، وكانت مكانة القراءة، حيث يكمن الجمال كما وصفها أدونيس، محورية فى كل بيت، وحيث كان القارئ يجد فى النص أو اللوحة شيئاً لا ينتهى مفتوحاً على اللانهاية، شيئاً لا تستنفده القراءة أو التأمل، فيرصد شكلًا مختلفًا جديدًا فى الرؤية وفى التعبير معاً خصوصًا فى عبقرية استخدام اللغة، وحيث الأبعاد تتخطى ما نحن فيه زمناً، ويرى إحاطة معرفية بالشيء المكتوب أو المرسوم، فالعمل الفنى هو زمن لا زمانّى.

ثم ظهر التليفزيون أو المدفئة الحديثة كما يسمُونه، فصارت الأسرة تشاهده مساءً، ولكن قلّ السمر وتبادل الأفكار. وما إن ظهر الراديو الترانزستور وبعده الكاسيت ثم الوكمان وصولًا إلى التليفون الذكي، حتى أصبح كل فرد من الأسرة منعزلًا فى عالمه الافتراضى الخاص، ولم يعد هناك ما يجمع الشمل كما كان الحال فى زمن المدفئة، إلى أن فوجئنا بفيروس كورونا يُجبر أفراد الأسرة على البقاء معاً فى المنزل لشهور طويلة، فأعادت ملايين الأسر حول العالم اكتشاف مواهب أفرادها الموسيقية الفنية عن قرب، وعاد الكثيرون إلى مكتباتهم يزيلون غبار سنوات العولمة المجنونة من على كتبهم مستعيدين متعة وجمال القراءة وحب التعلم والتعمق الفكرى.

وقد تسبب تفشى وباء كورونا فى إيقاف الحياة الفنية والثقافية والرياضية فى العالم أجمع. فألغيت بالجملة المئات من الحفلات

الموسيقية والعروض الفنية والمهرجانات العالمية، وأسدلت دور السينما والمسارح ستائرها، وتأجلت المسابقات الرياضية، بما فى ذلك دور طوكيو الأوليمبية ذاتها إلى العام القادم، فوجد الفنانون والعاملون فى المجال الثقافى فى منصات التواصل الاجتماعى وسيلة لمتابعة نشاطهم، وخاض بعضهم تجربة البث المباشر عبر يوتيوب وفيسبوك، وأصبح السؤال الذى يشغل الجميع هو كيف يصبح مستقبل الثقافة والفنون إذا استمر الوباء؟ وهل تنتقل الفنون إلى العالم الافتراضي؟ وماذا عن تلك التى تتطلب التفاعل المباشر مع الجمهور كالمسرح مثلاً؟ فالمسرح فن رفيع أساسه العلاقة المباشرة بين الممثلين والجمهور، ومن غير المتصور أن يتحول إلى العالم الافتراضى.

ومنذ فُرض التباعد الاجتماعى تكبَدت القطاعات الفنية والثقافية والرياضية فى كل الدول خسائر فادحة تقدر بمئات المليارات من الدولارات، حيث توقفت استوديوهات السينما عن إنتاج الأفلام والمسلسلات، وألغيت عروض المسارح والسينما وحفلات الموسيقى والمعارض الفنية والملاهى والسيرك وديزنى لاند وكافة أدوات الإبهار والابتكار التى تغذى الفكر والروح معًا. فقد بلغت خسائر هذه القطاعات فى الولايات المتحدة ما يزيد عن أربعمائة مليار دولار، وحوالى 150 ملياراً فى أوروبا، ونحو 130 ملياراً فى الصين التى كانت لتوها قد بدأت منذ سنوات قليلة فى بناء قوتها الناعمة خاصة فى مجال السينما والمسلسلات والألعاب الإلكترونية.

ولسوف تظل مسارح برودواى الأشهر فى العالم مغلقة حتى سبتمبر على أقرب تقدير دون تحديد موعد لإعادة الفتح، حيث تم تعليق كل العروض فى الحى الشهير المجاور لتايمز سكوير فى نيويورك منذ مارس. وفى كل أسبوع إغلاق، تخسر مسارح برودواى أكثر من ثلاثين مليون دولار من عائدات مبيعات التذاكر. فعند تعليق العروض كانت 31 مسرحية تقدم على مسارح برودواى وثمانية أعمال أخرى كانت تستعد للانطلاق فى الربيع.

أما فى مصر فتشير التقديرات إلى أن الخسائر تجاوزت 30 مليار جنيه حتى نهاية مايو 2020 خاصة وقد اضطر منتجو الأفلام والمسلسلات الرمضانية لتقليل أعداد الممثلين المساعدين والفنيين إلى الحد الأدنى. والأمل معقود على أن يتمكن هذا القطاع الحيوى المهم الذى يمنح مصر قوتها الناعمة ويعمل فيه حوالى ثلاثة ملايين مواطن، ويرتبط به

كل أفراد الشعب من الانطلاق سريعًا.

وكما أوضحنا، فقد شملت مبادرة «خليك فى البيت، الثقافة بين إيديك» التى أطلقتها وزارة الثقافة المصرية نقل العديد من الفعاليات الفنية والثقافية ومن بينها حفل لأم كلثوم بتقنية هولوجرام، وآخر بعنوان كلثوميات، وروائع مهرجان الموسيقى العربية، وعرض باليه «الليلة الكبيرة» للعملاقين سيد مكاوى وصلاح جاهين، ومسرحية «قهوة سادة» للمخرج خالد جلال، وحفلات الموسيقار عمر خيرت وغيره من الفنانين المحبوبين من هضبة الأهرامات، فضلاً عن عرض «عروستي» للأطفال بأداء التمثيل الصوتى والغناء للنجم أحمد السقا.

كذلك تم بث عروض الباليه الشهيرة

ومنها «كسارة البندق»، و«زوربا اليوناني»، و«بحيرة البجع»، و«أوبرا عايدة»، و«كارمن»، وحفلات من مركز تنمية المواهب بدار الأوبرا. كما شارك البيت الفنى للمسرح بنحو ثلاثين عرضًا مسرحيًا لكبار النجوم منها «الملك هو الملك»، و«أهلًا يا بكوات»، و«الإسكافى ملكًا»، و«أولاد الغضب والحب»، و«رجل القلعة»، وعروض مميزة لشباب فنانى البيت الفنى للمسرح منها «شيزلونج»، و«السيرة الهلامية»، حققت نجاحًا كبيرًا لدى الجمهور القابع فى البيوت.

وقد أتاحت وزارة الثقافة إصداراتها المختلفة من الكتب التراثية بنظام pdf على مواقع هيئة الكتاب والمركز القومى للترجمة، إلى جانب إطلاق خدمة الزيارات الافتراضية لعدد من المتاحف التاريخية والفنية تُعَرِّف الزائر على مجموعة ضخمة من أعمال خمسين فناناً تشكيلياً.

كما خرجت مبادرة فنية بعنوان «الفن للخير» أطلقها الفنان التشكيلى والمخرج السينمائى وحيد مخيمر، والتى هدفت إلى جمع إسهام مائة فنان وفنانة وتوجيه عائدها لصالح جهود مواجهة كورونا فى مصر ضمت فنانين من أجيال ومدارس فنية مختلفة حرصوا على دعم المبادرة بأعمال فنية لافتة رُصد عائدها المادى للمستشفيات الحكومية فى مواجهة الفيروس.

أما الفنان التشكيلى محمد أبوالنجا فقد شعر بجمال ممارسة الفن خلال أزمة كورونا، فاستثمر فترة الحظر فى رسم بعض المخطوطات كونه يستلهم بعض أعماله من المخطوطات المصرية والعربية القديمة، فمزج بين الواقع الذى يعيش فيه وعلاقته بالمخطوطة، ونشر مخطوطات عبر وسائل التواصل الاجتماعى عن علاقة الرجل والمرأة فى زمن كورونا، وصوراً عن المحبة والشجر المغروس فى الأرض باعتباره وصلة خير بين الأرض والسماء يلجأ لها الإنسان لصنع مزيج من التفاؤل والحب، خاصة وقد اكتشف الناس أن الكمامة، قطعة القماش الصغيرة أكثر أهمية من البندقية، فالفيروس الصغير لم يفرق بين غنى وفقير، أو معتقد دينى أو لون بشرة، وبسببه تجرى إعادة صياغة علاقات دول العالم بشكلٍ أو بآخر.

ومن جانب آخر، قررت إدارة الأكاديمية الموسيقية العالمية بلوس أنجلوس تكريم الفنانين إلكترونيًا هذا العام عبر الفيديو كونفرانس، وقد حصد عازف الجيتار المصرى عماد حمدى جائزتين، الأولى «لقب فنان» عام 2019 فى مجال الموسيقى الكلاسيكية، والثانية جائزة الرؤية الفنية، وحيث أذيع جزء من حفل موسيقى له من داخل دار الأوبرا المصرية، وحيث أكد أن هدفه هو تقديم المزيد من الفن المصرى الهادف للعالم، وتشجيع الأولاد والبنات على حب الموسيقى وتعلمها فى سن مبكرة.

أما على الجانب السلبى، فلم يقتصر الأمر على الخسائر المادية فقط، إذ توفى عدد من الفنانين بسبب كورونا كان أولهم عازف الساكسوفون الكاميرونى العالمى مانو ديبانجو الذى يعد أسطورة الأفروجاز، وتوفى بعده جون باكى بيتسارى عازف الجيتار الأمريكى الملقب بأستاذ الجاز، وديف جرينفيلد عازف الأورج الكبير، ومغنى جوسبل المعروف تروى سنيد، ودى چى الشهير مايك هوباكى، ومغنى الراب فريد جودسون وغيرهم. كما أصيب الممثل القدير توم

خسائر إقتصادية ضخمة فى مجالات الثقافة والفنون والرياضة بسبب كوفيد - 19

هانكس وزوجته أثناء جولتهما فى أستراليا. وفقدت مصر فى زمن كورونا الممثل القدير حسن حسنى، والفنان التشكيلى سامح البنانى، وإبراهيم نصر صاحب أشهر برامج المقالب، والممثل محمود مسعود. كما فقدت دولنا العربية مجموعة من الفنانين منهم العراقى منأف طالب، واليمنى حسن علوان، والكردى عطا جاوشين، والجزائرى نورالدين زيدونى، بينما فقدت إفريقيا باب ضيوف أسطورة كرة القدم السنغالى والرئيس السابق لنادى مارسيليا الفرنسى، والكونجولى أرلوس مابيلى الملقب بملك موسيقى سوكوس التى تحاكى موسيقى الرومبا بنكهة إفريقية خالصة، وغيرهم.

ورغم ذلك استمتع الجمهور بتجارب فنية وثقافية جديدة عبر وسائل التواصل الاجتماعى، إذ لم تتوقف الحياة الثقافية، وأتيحت الفرصة للعديد من الأشخاص للانخراط فى الحياة الثقافية والفنية ربما لم تكن متاحة لهم من قبل بسبب ضيق الوقت وضغوط الأوضاع الاقتصادية.

لقد استثمر كثير من الفنانين معانى وتفاصيل أكثر من مجرد العزل الوقائى والإجراءات الاحترازية، لاسيما مع إتاحة السوشيال ميديا وسيطاً مُواتياً لتداول أفكارهم الفنية، فحاولوا رؤية الأزمة والتفاعل معها رغم قسوتها من زاوية مختلفة، للتخفيف من وطأتها، وتقليل خوف المواطنين بتحدى رعب كورونا بالفن والابتكار والأفكار الإيجابية المبهجة، فكان أن شاهد الملايين على يوتيوب مغنى الأوبرا التينور الإيطالى أندريا بوتشيلى يشدو وحيدًا، بمناسبة عيد الفصح فى أرجاء كاتدرائية دومو فى ميلانو، مقدمًا حفلًا فريدًا كان بمثابة صلاة لمواجهة فيروس كورونا تحت شعار الموسيقى من أجل الأمل.

وتحت شعار العالم واحد: «معًا فى المنزل»، شاهد الملايين حفلًا شارك فيه مائة فنان عالمى يتقدمهم العملاقان ستيفى وندر وبول ماكارتنى وفريق رولينج ستونز، بهدف شكر الأطباء والعاملين فى الخطوط الأمامية، تم فيه جمع 128 مليون دولار خصصت لتطوير المؤسسات الطبية ودعم المتضررين من انتشار كورونا.

كما استمتع الملايين كذلك بالحفل الخيرى الذى أقامه مغنى الروك العالمى

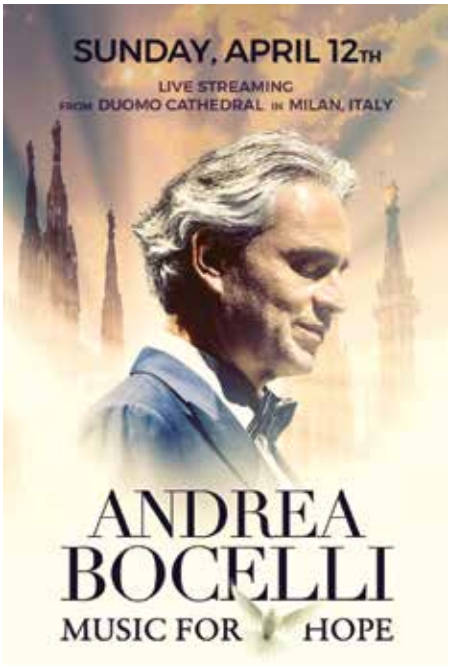

إلتون جون من مطبخ منزله بمشاركة العديد من المشاهير عبر كاميرات تليفوناتهم الذكية، وحيث جمعوا ثمانية ملايين دولار خُصصت لمساعدة ذوى المهن اللازم استمرارها خلال الجائحة، وذلك رغم خسارته ستين مليون جنيه إسترلينى بسبب إلغاء جولته الوداعية التى كانت مقررة هذا الصيف.

ومن جانبه، أطلق مسرح تشايكوفسكى بمدينة بيرم الروسية التى تبعد ألف كيلومتر عن موسكو، عددًا من العروض الفنية نُقلت على شبكة الإنترنت، بحضور متفرج واحد فقط يتم اختياره عشوائيًا من بين الراغبين قبل كل عرض، وذلك ضمن مبادرة أطلق عليها «وجهاً لوجه». وأوضح مدير المسرح مارات

جاتسالوف إنه يسعدهم إقامة العروض لمشاهد واحد، فالمتفرج الواحد له نفس قيمة المسرح مكتمل العدد.

فنان آخر أطلق على نفسه «المحب القبيح» تخيل شكل اللوحات الفنية الشهيرة عبر تاريخ الفن إذا تم رسمها خلال فترة كورونا، فأعاد رسم اللوحات، ونشر معظمها بكمامات على الوجه، فكانت لوحة «موناليزا» ليوناردو دافنشى على رأس اللوحات التى تزينت بكمامة، وأنشأ حسابًا على إنستجرام، لنشر اللوحات التى وضع عليها كمامات وأقنعة للوجه، واختار للبروفايل لوحة للسيدة العذراء مريم مرتدية كمامة.

كما تداولت مواقع التواصل الاجتماعى لوحة فنية رسمها الفنان

الأمريكى إدوارد هوبر عام 1942 بعنوان «صقور الليل»، تحاكى الواقع الذى يعيشه العالم اليوم من عزلة ووحدة، فكيف تنبأ هوبر بحالنا اليوم؟

أمَا قصة أسامة قشوع المخرج السينمائى واللاجئ الفلسطينى وصاحب أحد المطاعم فى لندن فتستحق أن تُروَى. ففى اليوم الذى أُعلن فيه عن الإغلاق وطُلب إلى العمال البقاء فى منازلهم، اتصل أسامة بعمَاله لتخييرهم بين البقاء فى المنزل دون فعل شيء، أو العودة للطهى وتقديم طعام مجانى للعاملين على الخطوط الأمامية دون مقابل، إذ كان الأطباء والممرضات وموظفو الدعم يتعرضون لضغوطٍ متزايدة ويعملون لساعات أطول، ويجدون صعوبة فى ترك الأجنحة لتناول طعام الغداء أو شراء الطعام بعد انتهاء فترة المناوبة بسبب إغلاق المتاجر. فبدأ فريق أسامة العمل مدفوعًا بروح الخدمة المجتمعية بإنتاج 250 وجبة يوميًا يتم توزيعها على المستشفيات، مع توفير جزء خاص للعاملين ليلًا.

فبالنسبة لأسامة، يستغرق تأقلمه كفلسطينى مع الظروف الصعبة بضع ثوانٍ إذ عاش أوضاعًا صعبة فى فلسطين ولبنَان لفتراتٍ طويلة، ويدرك معنى أن يكون المرء حبيساً فى منزله، أو فى الملجأ أو المعتقل، حيث الوصول إلى الطعام ليس أمراً سهلًا، لكن تجربة الصراع ليست وحدها، بل إنه وجد أن عادات الضيافة العربية، وثقافة الكرم التى تبرز فى فترات التقشف تعتبر جزءاً من التجربة الحالية التى يتعين على البشر التكيُف معها، وكفلسطينيين، عليهم كلما استطاعوا، أن ينقلوا رسالة صادقة عن معاناتهم المتواصلة مع الاحتلال

وعدالة قضيتهم.

ومن جانبها، طالبت جامعة الدول العربية بتطوير المنظومة الثقافية فى الدول العربية، من خلال إعادة تهيئة المسارح ودور السينما بشكلٍ يحافظ على الحد الأدنى من المساحة الاجتماعية التى تقى المشاهدين من انتقال الأمراض والأوبئة. كما دعت الجامعة إلى قيام وزارات الثقافة والمؤسسات الثقافية المتخصصة بإنشاء منصة إلكترونية عربية تضم المتاحف الوطنية العامة والمتخصصة، مع إتاحة شرح كاف لمعروضات تلك المتاحف، وإنشاء متاحف افتراضية تعتمد على التكنولوجيا الرقمية السمعية والمرئية، إلى جانب بث الأنشطة الفنية والإبداعية والفكرية وربط هذه المواقع ببعضها تسهيلًا لإمكانية الاطلاع عليها.

وفى النهاية يبقى السؤال الجوهرى: هل تنتقل الفنون مستقبلًا إلى العالم الافتراضى بسبب كورونا؟ وماذا عن مصير تلك التى تتطلب التفاعل المباشر مع الجمهور كالمسرح والسيرك؟ وماذا عن حق المؤلف والحقوق الاستئثارية الخاصة بحماية مصنفات المؤلفين والمُبدعين وحقوق الأداء العلنى وحقوق البث، والتى تعد مصدر الدخل الأساسى للكتَاب والملحنين والمطربين والمصورين والممثلين والرَسَامين وغيرهم من المبدعين العاملين فى حقل الثقافة والفنون، إذا اقتصر عرض الفنون فى المرحلة القادمة على وسائط التواصل الاجتماعي؟

بانوراما أفريقيا (4)

يحتفل الاتحاد الإفريقى فى 25 مايو من كل عام بيوم تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963، وتمر إفريقيا والعالم هذا العام بمشكلات كبيرة أهمها الإرهاب والأوبئة.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

الأبارتهيد

ظهر حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى ANC فى الأربعينيات من القرن الماضى لتحدى سياسات التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا، وكان رئيسه ألبرت لوتولى، وبرز فى الحزب ثلاثة شبان هم: والتر سيسلو، أوليفر تامبو، نيلسون مانديلا.. ونظم الحزب مظاهرات وفعاليات ضد التفرقة العنصرية بالتعاون مع الملونين «المخلطين» والهنود فانشق جناح بقيادة روبرت سوبوكوى محتجاً على هذا التعاون الذى قدر أنه «يضعف» نضال السود.

صدر قانون تسجيل السكان فى جنوب إفريقيا فى عام 1950، وتم تصنيف المواطنين على أساسه إلى: بانتو «أفارقة سود» - ملونون «مخلطون» - بيض، وأضيفت مجموعة رابعة بعد ذلك هى: آسيويون «هنود وباكستانيون» الذين كانوا أقلية مهاجرة قديمة.

وفى الستينيات بدأ تقنين التفرقة العنصرية التى كانت تمارسها دائماً الأقلية البيضاء ضد باقى السكان، وتسمى هذه السياسة بالأبارتهيد APARTHEID أى التنمية المنفصلة باللغة الأفريقانية وهى لغة الأقلية البيضاء هناك. بموجب تلك القوانين خضعت مناطق للسكن والعمل لكل جنس فى المدن، وخصص عشرة بانتوستانات «معازل للأفارقة» ليعيشوا فيها، وخصص 80٪ من أراضى جنوب إفريقيا للبيض.

وهكذا أصبح مطلوباً من أى جنس غير أبيض أن يكون لديه «تصريح رسمي» لدخول المناطق الممنوعة عليهم، وساد الفصل فى الاتصالات الاجتماعية والتعليم والنقل، وتم تحديد الوظائف التى يمكن أن يشغلها غير البيض، وهكذا لم يكن هناك أى تمثيل فى الحكم إلا للبيض الذين احتكروا السلطة.

قامت أول مظاهرات كبيرة فى شاربفيل ضد القوانين العنصرية، وأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين فقتلت وجرحت حوالى 250 شخصاً. وأدت هذه المظاهرات إلى انتباه المجتمع الدولى إلى سياسات التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا.

بعد مذبحة شاربفيل آمن جميع غير البيض بأنه ليست هناك وسيلة للخلاص بالطرق السلمية، فأنشأ كل من الحزبين الأسودين جناحاً عسكرياً لكل منهما، وقاموا بعدة عمليات تفجير، فقامت الحكومة باعتقال كثير من قادة الحزبين وكان من بينهم مانديلا وسوبوكوى، وأعدمت البعض، وهرب المئات من كوادر الحزبين إلى خارج البلاد.

تعددت مظاهرات واحتجاجات الأفارقة ولكنها كانت تقمع بشدة وعنف، ومن أشهر هذه المظاهرات ما قام به الطلبة فى حى سويتو فى مدينة جوهانسبرج فى عام 1976 وقتلت الشرطة فيها 176 مشاركاً وأصيب نحو 1000 منهم فى مذبحة ندد بها العالم.

قادت مصر والدول الإفريقية بحملة دولية ضد نظام حكم الأقلية البيضاء فى جنوب إفريقيا مما أدى إلى اضطرار هذه الدولة إلى الانسحاب من الكومنولث البريطانى فى عام 1961 ونجحت الدول الإفريقية ومقاطعتها للنظام العنصرى بالضغط فى الأمم المتحدة، ففرضت عقوبات على النظام العنصرى وتمت مقاطعته مقاطعة تامة حتى اضطر إلى الرضوخ وتغيير المسار. وعلى المستوى الشعبى الإفريقى كانت هناك تعبيرات سياسية وفنية كثيرة ضد نظام التفرقة العنصرية.

وفى عام 1990 - 1992 ألغت حكومة فردريك دو كليرك «مواليد 1936» معظم قوانين الأبارتهيد وقانون تسجيل السكان بسبب الضغوط الدولية وأفرجت الحكومة أيضاً عن القائد نيلسون مانديلا وشارك الدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة فى هذه الضغوط التى أدت إلى الإفراج عن القائد الجنوب إفريقى.

فى عام 1993 تم وضع دستور جديد بدأ تطبيقه فى عام 1994، ونتج عن الانتخابات حكومة ائتلافية لأول مرة بين السود والبيض بأغلبية سوداء، مما كان بمثابة إنهاء لسياسة الفصل العنصرى، وتولى نيلسون مانديلا رئاسة البلاد، وأصبح دوكليرك نائباً له.

حضرت فى طوكيو «اليابان» عام 1989 عرض فيلم صرخة الحرية CRY FREEDOM عن قصة حياة المناضل ستيفن بيكو عضو حركة الوعى الأسود التى نظمت احتجاجات فى السبعينيات ضد التفرقة العنصرية فاعتقلته الشرطة وقتلته، ويبرز الفيلم مساوئ واستبداد نظام الأبارتهيد. وكان عرض الفيلم على أعضاء الرايت «البرلمان» اليابانى لتوعيتهم بأبعاد القضية، خاصة وأن اليابان كانت من أكبر الشركاء التجاريين للنظام العنصرى فى ذلك الوقت، وقد بين لهم السيد جيرى ماتسلا ممثل الحزب الوطنى الإفريقى فى طوكيو أن العيوب المهينة لمصطلح «البيض الشرقيين» الذى تمنحه حكومة جنوب إفريقيا للمواطنين من شرق آسيا خاصة اليابان وكوريا وتايوان لكى ينالوا حقوقاً مماثلة للبيض وإلا عوملوا معاملة غير البيض.

وفى عام 2000 افتتح متحف للأبارتهيد فى جوهانسبرج هو الأول من

البرت لوتولى

نوعه فى العالم يعرض تاريخ جنوب إفريقيا خلال القرن العشرين بالتركيز على سياسة الأبارتهيد منذ قيامها إلى سقوطها.

إن تجربة جنوب إفريقيا تبين قسوة وعقم التفرقة ليس فقط العنصرية ولكن على أى أساس آخر، وهو ما ترفضه القيم التى طورها الإنسان حتى وصل إلى القرن الواحد والعشرين.

نهر الكونغو

كان استكشاف نهر الكونغو سبباً فى التكالب على إفريقيا. ويعتبر البحار البرتغالى ديوبو كام «غير معروف تواريخ ميلاده ووفاته» أول أوروبى دخل منطقة نهر الكونغو فى رحلة له بين عام 1482 1484- وأعلن الإقليم المحيط بالنهر أراضى برتغالية، ووضع لوحة على شاطئ النهر لإثبات أنه مكتشفه. وبالفعل نشأت علاقات تجارية بين المنطقة والبرتغاليين.

كذلك وصل التجار العرب إلى المنطقة الشرقية للنهر فى أوائل القرن الثامن عشر.

استطاع القس والمستكشف الإنجليزى ديفيد ليفنجستون «1813 - 1873» الوصول فى عام 1871 بمساعدة التجار العرب إلى نهر لوالابا الذى يغذى نهر الكونغو، ولم يستطع استكشاف النهر الكبير بسبب سوء حالته الصحية.

أرسلت إنجلترا بعثة لإنقاذه يرأسها هنرى ستانلى «1841 - 1904» الصحفى والمستكشف البريطانى، ووصل إلى ليفنجستون، ولكنه لم يستطع علاجه فمات.

أثار موت ليفنجستون المستكشفين الأوروبيين لاكتشاف أعماق القارة، كما أثار موته المبشرين الذين استلهموا جهوده ودعوته إلى إلغاء العبودية فى إفريقيا وإلى تبشير أهلها بالديانة المسيحية.

وكذلك أثار موت ليفنجستون رغبة المستكشف هنرى ستانلى إلى مواصلة الاستكشاف، فأوصله نهر لوالابا إلى نهر الكونغو فركبه ووصل بعد مشقة كبيرة من قلب إفريقيا إلى المحيط الأطلسى، وأخذ يخدم مصالح بلجيكا وبريطانيا عن طريق عقد معاهدات مع القادة الأفارقة المحليين.

وكان تنافسه مع بيير دو برازا «1852 - 1905» المستكشف الفرنسى فى نفس المنطقة سبباً فى اجتماع القوى الأوروبية فى مؤتمر برلين عام 1885 لتقسيم نفوذهم ومستعمراتهم فى القارة أى لتنظيم ما يعرف بالتكالب على إفريقيا.

استمد الكاتب الإنجليزى جوزيف كونراد «1857 - 1924» شخصية أحد رؤساء الشركات التى كانت تعمل فى تجارة العاج فى منطقة الكونغو بإفريقيا ووضعها فى روايته «قلب الظلام»1902، وتتضح فى الرواية أفكار الاستغلال والقسوة التى كانت سائدة تجاه الأفارقة، وأن الأفارقة همجيون ومتخلفون أى أن العنوان لا يشير فقط إلى القارة الإفريقية، وإنما يشير أيضاً إلى الإنسان القاسى الذى تعامل معها.

والجدير بالذكر أن الناقد الأدبى الأمريكى الفلسطينى الشهير إدوارد سعيد قد تناول أعمال جوزيف كونراد فى رسالته للدكتوراة وأشار إليها فى أعماله «الاستشراق» 1978، و«الثقافة والإمبريالية»1993، واعتبر الفكر الوارد فى «قلب الظلام» بمثابة نموذج للأفكار الاستشراقية التى تحط من شأن الشرق وتعلى من شأن الغرب المستغل، وترسم صورة مغلوطة للشرق وتجعله مؤهلاً للاستغلال.

يعتبر نهر الكونغو ثانى أطول أنهار إفريقيا حيث يبلغ طوله 4374 كيلو متراً ويمتد من شرق القارة صاعداً إلى الشمال ثم يتجه إلى الجنوب الغربى ليصب فى المحيط الأطلسى. ويتدفق من النهر حوالى 34 ألف متر مكعب/ ثانية من الماء فى مواسم ذروته. ويقع معظم النهر فى مناطق الحزام المطير الإفريقى، أحياناً يفيض النهر ويسبب فيضان بحيرة تنجانيقا فى الشرق فيغرق أجزاء من جمهورية بوروندى. وتحيط بالنهر أكبر الغابات الاستوائية المطيرة فى إفريقيا، وتمثل ربع الغابات المطيرة فى العالم.

ينقسم النهر إلى ثلاثة قطاعات متمايزة فى القطاع الأول حيث المنابع توجد عديد من الأنهار التى تأتى مياهها من شمال زامبيا وجنوب الكونغو وتتجمع فى بحيرات ومساقط مياه، ثم تتوحد كلها فى نهر الكونغو بعد أن تصب فيه ثلاثة أنهار كبيرة هى: لوالابا، لوفوا، لوكوجا. وآخر مساقط مياه هى شلالات ستانلى وتقع عندها مدينة كيسانجانى أكبر مدن جمهورية الكونغو الديمقراطية. وفى القطاع المتوسط من النهر تصب فيه أنهار كثيرة أهمها نهر أوبانجى الذى يأتى من قرب مدينة بانجى عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى ثم ينحرف جنوباً ليلتقى بنهر الكونغو جنوب خط الاستواء مباشرة، يتسع النهر ويضيق لمسافة حوالى 1600كم، وينتهى هذا الجزء بمضيق «الممر» ثم يجرى بين مدينتى كينشاسا عاصمة الكونغو الديمقراطية، والتى تقابلها على الضفة الأخرى الجنوبية مدينة برازافيل عاصمة الكونغو. ويبدأ الجزء الثالث من النهر عند بحيرة بول ماليبو ويمتد لمسافة 435كم ليصل إلى المحيط الأطلسى، وقبل وصوله إلى المحيط يوجد ميناء ماتداى وبعده مباشرة يصبح النهر هو الحدود بين جمهوريتى الكونغو. ونظراً لوجود تيارات مائية شديدة ومساقط مياه فإن هذا الجزء من النهر تصعب الملاحة فيه اللهم إلا فى سفن نهرية صغيرة لمسافات محدودة.

وهكذا يوفر النهر - الذى تصب فيه أنهار فرعية كثيرة - مجرى طوله حوالى 14500كم من الممرات المائية الصالحة للملاحة، ولذا يستخدم فى النقل بين المدن الكونغولية، كما يعتبر المصدر الرئيسى للأسماك التى تستهلك فى البلاد، وهناك أفكار كثيرة لاستغلال اندفاعات المياه ومساقطها لتوليد الطاقة الكهربائية.

ستيفين بيكو

ديفيد ليفنجستون

ومن المعروف أنه من المقرر عقد مباحثات بين مصر والكونغو الديمقراطية حول إمكانية اشتراك مصر فى تنفيذ المراحل القادمة من مشروع سد إنجا على نهر الكونغو، وتفعيل الربط الكهربائى مع هذا السد.

وجدير بالذكر هنا أن هناك فكرة قديمة منذ عام 1903 لربط مياه نهر الكونغو بنهر النيل تم إحياؤها كإحدى الوسائل لمواجهة الآثار السلبية لسد النهضة الإثيوبى على مصر.

هايتى

هى أول جمهورية للأفارقة فى العالم أعلنت عام 1804، وهى تقع فى بحر الكاريبى بأمريكا اللاتينية.

يشتق اسم هايتى من لغة السكان الأصليين الأراواك ومعناها الأرض الجبلية لأن معظم أرض هايتى على ارتفاع حوالى 500 متر فوق سطح البحر.

يخلط البعض أحياناً بين هايتى وتاهيتى، أما الأخيرة فهى جزيرة فى المحيط الهادى ضمن بولينزيا الفرنسية وعاصمتها بابيتى واشتهرت تاهيتى بعد أن أقام فيها الرسام الفرنسى التأثيرى بول جوجان (1848 - 1903) ورسم عدة لوحات شهيرة عن الجزيرة، أما جمهورية هايتى فتشغل الثلث الغربى من جزيرة هيسبانيولا أكبر جزر البحر الكاريبى وتشغل جمهورية الدومينكان باقى ثلثى الجزيرة شرق هايتى وعاصمة هايتى هى بورأوبرنس أى ميناء الأمير بالكريولية الفرنسية.

بعد اكتشاف كولمبوس للقارة الأمريكية دار صراع بين إسبانيا وفرنسا على احتلال جزيرة هيسبانيولا وفى عام 1891 ثار العبيد فى هايتى «الجزء الذى تحتله فرنسا» بسبب المعاملة السيئة من البيض حيث كان مسموحاً لملاك العبيد أن يعذبوا أو يقطعوا أطراف العبيد أو يقتلوهم ولهذا ما بين 800 ألف عبد جلبوا من إفريقيا خلال القرن 18 (بانوراما إفريقيا - مجلة الدبلوماسى) بقى حوالى 450 ألفاً فقط. فى عام 1789 كان العبيد الثائرون حديثى العهد بالعبودية أى لم يكونوا أبناء عبيد فكانت تملأ أرواحهم الحرية، كما كانوا مرتبطين بثقافتهم الإفريقية خاصة ديانة الفودو (التواصل مع الأرواح والتى حظرها الأوروبيون) مما أعطى الشجاعة ليثوروا ضد قامعيهم ومستعبديهم وانتصر الثوار بعد معارك ومناورات كثيرة ضد البيض والملونين وضد فرنسا وإنجلترا وإسبانيا، وأعلن الثوار جمهورية هايتى فى أول يناير عام 1804 وأعلن جان جاك دسالين (1758 - 1806) نفسه حاكماً مدى الحياة وهكذا وضع سابقة اتبعها حكام هايتى بعد ذلك.

أدت ثورة العبيد التى بدأت فى عام 1891 إلى مقتل البيض والقضاء على نظام المزارع، وسرت روح الثورة فى باقى دول أمريكا اللاتينية، وأدت الثورة إلى تحطيم آمال الفرنسيين فى أن تكون لهم مستعمرات فى نصف الكرة الأرضية الغربى ودفعها هذا إلى بيع أراض كبيرة فى أمريكا الشمالية إلى الولايات المتحدة فى صفقة لويزيانا عام 1803، وخوفاً من انتشار نموذج ثورة هايتى حرص مالكو العبيد فى أمريكا اللاتينية على عزل هايتى وأخبارها فاستمرت عزلة هايتى حوالى 200 عام.

تعرضت هايتى لحكم سلسلة طويلة من المستبدين من أشهرهم فرانسوا ديفاليه الذى حكمها من 1957 - 1971 ثم حكم ابنه جان كلود ديفاليه من 1971 - 1989 وكانت المظاهرات والاضطرابات والتصفيات كثيرة فى تلك الفترة. وقد شاهدت أثناء تقديمى أوراق الاعتماد سفيراً غير مقيم هناك فى عام 2007 رسوماً على جدران القصر الوطنى «الرئاسى» من الداخل تبين بشاعة هذه الفترة. وعلمت أن أجزاء من هذا القصر تهدمت بعد ذلك فى الزلزال المدمر عام 2011.

تهتم دول الجوار بمساعدة هايتى على وقف الهجرة غير القانونية وعلى القضاء على اتخاذ هايتى كمركز لتجارة المخدرات فى المنطقة، وأنشأت الأمم المتحدة قوات دولية MiNUSTAH للمحافظة على الاستقرار فى هايتى، وقد قابلت المجموعة المصرية المشاركة فى هذه القوات وهى من قوات الشرطة وشعرت بالفخر لهذا الدور الإنسانى فى هذا البلد البعيد، وهو امتداد لأدوار شجاعة أخرى يقوم بها رجال جيشنا وشرطتنا منذ شاركت مصر فى قوات الأمم المتحدة فى الكونغو فى الستينيات وفى كمبوديا فى الثمانينيات وفى البوسنة والهرسك فى التسعينيات وغيرها، إن عطاء مصر ورجالاتها للإنسانية حتى فى أقاصى الأرض هو عطاء حضارى ومستمر وفى أشكال كثيرة، حقاً إن مصر أم الخير.

تعانى هايتى من مشاكل كثيرة فسكانها البالغ عددهم حوالى ١١ مليون نسمة يعانى 65٪ منهم من الفقر ونقص الغذاء والأمراض وتنتشر الأمية، وأصيبت البلاد بضربات زلزال فى عام 2011 أدت إلى تدمير شديد فى المدن خاصة العاصمة حيث كان مركز الزلزال قريباً ويقدر عدد من هلكوا فى هذا الزلزال بحوالى 200 ألف شخص.

ومن الأخطاء الشائعة أن أهل هايتى يدينون بالفودو الذى هو ديانة السحر والحقيقة أنه إحدى الديانات الإفريقية التى تؤمن بالتواصل مع الأرواح، ويدين 80٪ من السكان بالكاثوليكية الرومانية مثل معظم أمريكا اللاتينية.

وتوجد أقلية لبنانية تستورد من مصر الفول والجبن الأبيض والمأكولات المصرية المحفوظة والتى تباع هناك فى المحلات ولها شعبية بين أهل هايتى.

ويتساءل دبلوماسيو الكاريبى عادة عن سبب عدم دعوتهم للمشاركة فى القمم العربية اللاتينية فأخبرهم بأنه مع تدرج الحوار سوف يدعون بالتأكيد.

مى زيادة

هل يمكن لشخصية مثالية رومانسية صافية أن تعيش سعيدة ناجحة فى عالم الواقع، وإن كانت نابغة؟ هل يمكن أن تكون علاقات نادرة آمنة وعميقة وهوايات محبوبة مأوى لتلك الشخصية تعوضها عن عالم رمادى بعلاقات ملتبسة بخيرها وشرها؟

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

وهل ينصف العالم ذكرى من أحب بصدق، وأخلص بحماس، وأعطى بسخاء ونقاء، إن انقلب عليه القدر، وتخلى عنه المريدون، وغدر به الأقرباء؟

مى زيادة اسم شهرة مارى إلياس، تلك الأديبة الشاعرة النابغة التى أتقنت تسع لغات، وكانت بصالونها الأدبى منذ قرن الأديبة الأشهر بالقاهرة، ومحبوبة أرفع القامات الفكرية والأدبية الذين حضروا صالونها، واحتوتهم بلطف ولباقة ورقة على تباين توجهاتهم، ودون أن ترتبط بأى منهم. هى تلك الرائدة للأدب النسوى والتنوير وتحرير المرأة، والتى عرف عنها عشق خلاب لتسعة عشر عاماً عبر مراسلات مع الأديب جبران خليل جبران الذى عاش فى نيويورك، ولم تلتق به أبداً. هى تلك التى قضت آخر سنوات عمرها فى انهيار نفسى وعزلة تعانى غدر المقربين وتخلى المحبين، ولذلك قصة وأسباب.

ولدت مى بالناصرة لأم فلسطينية مثالية محبة للثقافة وأب لبنانى ميسور مالياً ومتنفذ اجتماعياً، استقر بالقاهرة فى أوائل القرن العشرين، وكانت له صلات أثرتها ونفعتها بأعلام الفكر والثقافة باعتباره صاحب جريدة المحروسة. كانت مى قد درست فى مدرسة راهبات وعرفت التبتل فى عزلتها وسط شغف بالاطلاع على الشعر والأدب والتاريخ العربى والفرنسى وإلمام بتسع لغات وهواية للرسم والموسيقى؛ عالمها البرئ لم يعرف التصنع والنفاق، ولم يخبر المكر والدسائس. نشأتها وثقافتها علمتها الثقافة والتقاليد العربية والنزعة الغربية لحب الحياة والحرية وأناقة الأسلوب والملبس ورقة ولباقة التصرف.

بدأت مى إنتاجها الأدبى باسم مستعار، فنظمت أشعاراً بالفرنسية، ثم بكتاب باحثة البادية وعائشة تيمور ووردة اليازجى ومقالات عن أحوال المرأة، وبدت مهتمة بالتنوير والتعليم للمرأة لتنال الحرية والاستقلال من خلال أدب نسوى أثار جدلاً، كانت من أولى رائداته، وربطها بالسيدة هدى شعراوى. ولفتت النظر بتحررها ورقتها وجاذبيتها فى مجتمع محافظ، لم يعهد عتاولة مفكريه ندية المرأة، وحينما كلفت بقراءة رسالة من جبران خليل جبران لمناسبة ثقافية، وكانت تحوى مقتطفات من كتابه «الأجنحة المتكسرة» أبهرتها عاطفته المتقدة وصوره الجميلة الجذابة ذات السمة الأنثوية المطمئنة. ورغم أن صالونها الثقافى الشهير جمع شتى قامات الفكر والثقافة والأدب الذين أحبوها كامرأة جاذبة رقيقة جميلة دون أن يشغلوا وجدانها، إلا أنها لم تسلم قلبها إلا لجبران، حيث جمعهما عشق روحى غير مشروط ونزعة صوفية وإشباع فكرى إضافة للولع بالموسيقى والفن والأدب.

ورغم أنه كانت لجبران فى أمريكا أحياناً علاقات غرامية أخرى، إلا أنه أحبها، كما كان عشقها الوحيد، وتمثل مراسلاتهما مثالًا فريدًا للغزل العفيف فى الأدب العربى، يتميز بالصدق وأشواق الغربة والحكمة والرومانسية والروحانية العميقة المتجردة من المادية والسطحية، فكما قال جبران «إن من تحبه هو أنت فى مكان آخر»، فكلاهما يعيش فى الآخر، يتمثل أفكاره ومشاعره ومواقفه، وكما قالت هى ترثى وفاته عام 1931 قبل أن يفى بوعده بلقائها فى لبنان «أن قدرًا ساقه إليها، وقدرًا سرقه منها، وبين القدرين فقدت قلبها».

هو حب بلا أمل، لكنه يبغى الكمال، ويتجاوز المخاوف والألم والحنين والوحدة والحيرة، حب هو البداية والنهاية، جمعهما فكراً وقلبًا وروحًا، ولم يعد لحياتها معنى دونه وبعد أن فقدت والدها قبله بعام، ووالدتها بعده بعام. انهارت عصبيًا وعاشت عزلتها، دون أن تفلح فى إلهاء نفسها بالدراسة والسفر. وطمعًا فى ثروتها أدخلها أقاربها أعواماً مستشفى عقلية فى لبنان ليحجروا عليها، حتى أخرجها برلمانيون لبنانيون منها إلى مصحة ثم بيت آخر، وعادت إلى القاهرة بين شائعات إصابتها بالاكتئاب أو الفصام، وانفض عنها مريدوها، ولم يحضر جنازتها عام 1941 إلا ثلاثة أفراد.

قصة حزينة هى تثير التأمل، تأمل لمصير مأساوى يبدو غير مستحق أو متوقع، تأمل لشخصية ملائكية تخلى عنها من أحبوها بلا طائل، عاشت بسمو لم يشاركه ولم يعه إلا من عشقته ولم تره، سمو لم يعرفه من طمعوا فيها ومن غدروا بها، لأنها أصرت على إنسانيتها، ولم تلوث براءتها، أو تعكر صفو مشاعرها. قصة تبين أنه لا مكان فى الأرض للملائكة؛ فعاجلاً أم آجلاً يقضى عليهم من انتفعوا منهم، ومن لم يفهموهم، أو ضاقوا بصفاء يشعرهم بالعجز وفسروه بالضعف، حتى وإن أدركوا دوافعه، قصة تؤكد أننا لا نستطيع أن نفرض شروطنا على الدنيا، ولا أن نعاند القدر، ونضرب عن الحياة على أرض الواقع، بل علينا أن نرحب بالحياة بما لها وما عليها، وإلا لكنا من الخاسرين. قصة تبدد يأس من نضج من العثور على الحبيب المناسب، فهو موجود فى مكان ما وزمن ما وإن لم نعرفه، قصة تبين أنه مهما كان الحب عظيماً فالتعلق طريق الانهيار إن لم تحفظه الأقدار.

كنز القارة السمراء

تحتفل الدول الإفريقية فى الخامس والعشرين من مايو من كل عام بيوم إفريقيا والذى يعود تاريخ بدء الاحتفاء به للعام 1963. اليوم وبعد ما يقرب من الستين عاماً على هذه الاحتفالية المهمة، نقف لنلقى نظرة متفحصة على مكون رئيسى لا بل مفصلى من أركان القارة السمراء ألا وهو المرأة. ومن البديهى بادئ ذى بدء رؤية المرأة الإفريقية تشاطر نظيراتها من نساء الكون تحديات لازلن جميعاً تحاولن تذليلها والتعامل معها فى مجالات الحياة المختلفة.

ولكن هذا لا يمنع كون التحديات التى تواجهها المرأة الإفريقية تحديات ذات طبيعة خاصة نابعة ومتصلة اتصالاً عضوياً بالتحديات التى تواجهها القارة بشكل عام والدول الإفريقية كل وخصوصيتها بشكل متفاوت.

وهنا لا بد وأن نرى بوضوح ما تمثله هذه القارة السمراء من فسيفساء غاية فى التنوع الثقافى، والدينى، والاجتماعى، والتاريخى، جنباً إلى جنب وإرث ضخم من العادات والتقاليد تجعل من المجحف النظر إليها ككل وحدة واحدة لا تنوع بها ولا خصوصية لدول فيها عن أخرى، وبالتالى فإن هذا التنوع ينعكس على وضع وتحديات النساء فى هذه الدول بشكل متفاوت.

ولنبدأ بومضة مشرقة تعود بنا للميثاق الإفريقى لحقوق الإنسان والشعوب والذى ينص فى مادته الثانية على حظر كافة أشكال التمييز القائم على أساس العنصر أو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو أى رأى آخر، أو المنشأ الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو المولد

ميسا جيوسي
حرم سكرتير أول جمال عطا

أو أى وضع آخر، وما يعنينا هنا بشكل خاص أكثر هو أن المادة 18 من الميثاق الإفريقى لحقوق الإنسان والشعوب تدعو جميع الدول الأعضاء إلى القضاء على كل تمييز ضد المرأة وكفالة حقوقها على نحو ما هو منصوص عليه فى الإعلانات والاتفاقيات الدولية.

هذا الإعلان، وإن بعد عن واقع المرأة الإفريقية حالياً لظروف سنورد ذكرها لاحقاً، لكنه يشكل الإطار القانونى والقاعدة الصلبة التى من المفترض أن تستمد منها الدول فى تشريعاتها وقوانينها وكل ما يتصل بمعاملاتها فيما يتعلق والنساء بما يعمل على تحقيق حقوقها فى مجالات الصحة والتعليم وفرص العمل والتمكين الاقتصادى وغيرها من مقومات الحياة الكريمة.

ولكن هذه الحقوق حتماً لا تتساوى فى كافة دول القارة حيث إن هناك عوامل مفصلية قد تجعل أهم مقومات الحياة معدومة ليس فقط للنساء بل لكافة سكان بعض هذه الدول. فهناك دول تعانى من تحديات الأمن الغذائى ويعانى سكانها ويلات المجاعة، هذا يجعل وضع النساء فيها أشد صعوبة بسبب هذا التحدى. فيما تقع دول أخرى فى إفريقيا فريسة الحروب الأهلية والصراعات القبلية وصراعات داخلية تلقى بظلال قاتمة على وضع المرأة بشكل يجعل الاهتمام بها ينحدر إلى أسفل سلم الأولويات هذا إن حصلت على أى اهتمام فى المقام الأول. لا بل إن النساء فى هذه الدول قد يواجهن تحديات أكثر تعقيداً كالفقر والعنف الجسدى والجنسى والأمية والزواج المبكر والاتجار بالبشر على سبيل المثال لا الحصر.

لكن بشكل عام لا بد من النظر إلى

الجانب المشرق فى كون الكثير من الدول الإفريقية خطت خطى واثقة وأنجزت الكثير فيما يتعلق بتحسين أوضاع المرأة، وفى سبيل العمل المنهج على تحسين أوضاع المرأة نورد بعض المجالات التى لا بد من العمل عليها بجدية لضمان استمرار ما تم بناؤه وتحسين ما يمكن تحسينه.

التشريعات والقوانين:

تتفاوت دول إفريقيا فيما يتعلق بإنجاز إطار قانونى يحفظ للمرأة منذ ولادتها وخلال نشأتها وتطورها حقوقها الأساسية فى الصحة والتعليم والعمل وغيرها ولكن أيضاً بتفاوت. فبينما حصلت المرأة على أدوار قيادية عليا وحققت مكاسب علمية غير مسبوقة فى بعض دول إفريقيا، مازالت نظيراتها فى دول أخرى تفتقر لأبسط حقوقها فى كل ما ذكر من مجالات.

لذلك لا بد من الاهتمام والاستمرار بالبناء على ما تم إنجازه وإن لم تتوفر فى الوقت الحالى آليات إعمال القوانين فى بعض الدول التى تعانى من نزاعات وحروب إلا أن وجود إطار قانونى ينظم ويحمى حقوق المرأة يعد ضرورة ملحة وركناً من أركان استقرار وتقدم المجتمع.

ليس نص القوانين والتشريعات فحسب وإنما أيضاً نشر التوعية لدى النساء والفتيات بوجود مواد فى القوانين ونصوص تحمى لها حقوقها وتعزز مكانتها وتدعم تمكينها كركيزة مهمة فى المجتمع من شأنها المساهمة به تربوياً واقتصادياً واجتماعياً إن توفرت لها سبل التمكين.

التعليم:

قد يبدو أن التعليم فى فترة المراهقة، فى كثير من الدول الإفريقية، رفاهية لم تصل لها الفتيات والنساء بعد، فبحسب آخر الإحصائيات التى نشرها معهد اليونسكو للإحصاء فإن 9 ملايين فتاة تتراوح أعمارهن ما بين 6 - 11 عاماً لن يذهبن إلى المدرسة مطلقاً، مع التأكيد على أن الحرمان من الحق فى التعليم يبدأ فى سن مبكرة بحيث 23٪ من الفتيات لا تلتحقن بالمدارس الإبتدائية مقابل 19٪ من الأولاد. فى مرحلة المراهقة، تبلغ نسبة الاستبعاد للفتيات 36٪ مقابل 32٪ للأولاد. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مسئولية كبيرة تقع على عاتق المشرع فى كل دولة من هذه الدول وهنا يقوم معهد اليونسكو بمساعدة الدول لوضع مؤشرات التكافؤ بين الجنسين فى التعليم والعمل على خلق بيئة من شأنها تشجيع وصول الفتيات إلى مرافق التعليم. لكن هذا التحدى لا يزال ماثلاً أمام العديد من الدول الإفريقية التى تفتقر لبنية تحتية رئيسية توفر شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحى، ولم تصل بعد لقدرة تمكنها من بناء المدارس وإنشاء منظومة تعليمية تكتسب من خلالها الفتيات والنساء مهارات وخبرات تمكنهن من تحسين مستويات حياتهن وبالتالى تحسين وضع الأسرة ككل.

الصحة:

تعانى العديد من الدول الإفريقية تحديات فى مجال الرعاية الصحية بشكل عام، وبالتالى فإن المرأة الإفريقية لن تكون بمنأى عن هذه التحديات بل على العكس فإنها ستتحمل العبء الأكبر فيما يترتب على قصور المنظومة الصحية هذا إن وجدت فى كثير من الدول الإفريقية. وتتفاوت المخاطر والتحديات الصحية والأوبئة المنتشرة ما بين دول إفريقيا مما يشكل عبئاً على إحداها دون الأخرى فعلى سبيل المثال ووفقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية فى تقرير الملاريا العالمى لعام 2019، تركزت نسبة 93 فى المائة تقريباً من جميع حالات الإصابة بالملاريا ونسبة 94 فى المائة من الوفيات الناجمة عنها فى منطقة إفريقيا. وكان أكثر من ثلثى الوفيات من الأطفال دون سن الخامسة. يضاف إلى ذلك أمراض تهدد كثيراً من دول إفريقيا كالإيدز وإيبولا ناهيك عن التطرق بالتفصيل لما قد يترتب على ظهور فيروس كوفيد 19 من تبعات كارثية على القارة جعلت منظمة الصحة العالمية تقدر إصابة ووفاة ما يقارب 44 مليون إنسان فى إفريقيا، وحتى الساعة ما زالت تبعات هذه الجائحة غير محصورة حتى اللحظة. فقد ألقت بظلال ثقيلة على مجمل شعوب القارة لكنها ألقت بثقل مضاعف على النساء ففى كثير من الدول ووفقاً للتقارير الأممية كانت المرأة ضحية للعنف الأسرى المرتبط بحالات الانعزال والتباعد وفقدان كثير من أرباب الأسر لفرص العمل ومصادر الدخل.

كما فاقمت جائحة كورونا من وضع صحى متهالك فى الأساس للمرأة الإفريقية التى فى بعض من الدول تعانى معدلات وفاة عالية متعلقة بالولادة ومشاكل صحية أخرى ذات صلة ببعض العادات والمواريث التى وإن انحسرت فى بعض الدول لكنها مازالت تدق ناقوس خطر فى دول أخرى كختان البنات والزواج المبكر والتجارة بالجنس وما يترتب عليها من مخاطر صحية لا حصر لها تكون النساء ضحاياها الأولى.

النزاعات القبلية والحروب الأهلية:

من المهم الإشارة إلى أن كل ما سبق ذكره من مقومات الحياة الأساسية وأبسط حقوق المرأة فى كثير من الدول الإفريقية يبقى رهينة لنزاعات قبلية وحروب أهلية لا تهدأ نارها ولا تنطفئ فما يبدو أساسياً فى الأوضاع الطبيعية فإنه حتماً يبدو رفاهية لا وقت لها على وقع الموت والدمار، هذه الحروب تجر ويلات على مجموع الشعوب فى هذه الدول لكن آثارها الأكثر كارثية تنعكس على الفئات المهمشة وأهمها النساء والأطفال، ففى هذه النزاعات تجد المرأة نفسها سلعة يتاجر بها وعرضة للاعتداءات الجنسية وما يترتب عليها من مشاكل، وفى كثير من الأحيان تفقد الأسر معيلها فى هذه النزاعات وتتحول الفتيات والأمهات للعمل لكسب قوت الأسرة. لكن ضعف إمكانيات هؤلاء السيدات قد يدفعهن للعمل الشاق أو غير الآمن وما يترتب عليه من مخاطر تطال الأسرة بأكملها.

لكن لنختم على قول بأمل أن هذا المكون المهم وكنز القارة السمراء لا بد وأن تشرق عليه شمس أيام تنال فيها المرأة حق العيش بكرامة والإسهام الإيجابى الفاعل بكل منحى من مناحى الحياة والتى تشكل هى نصفها وتؤثر فى نصفها الآخر، فالمرأة مصنع المجتمعات وأساس رفعتها وكل عام وكنز القارة السمراء بكل خير.

هل يمكن للاقتصاد أن يغدق فقرًا ؟!

هذا التســـاؤل، مستوحى من عنوان كتاب اقتصادى بالغ العمـــق والأهمية، كتبه بالألمانية الأستاذ هـــورست أفهيلد أحـــد كبار العلماء الاقتصاديين الألمان، وترجمه للعربية بعنوان: «اقتصاد يغدق فقرًا!» الدكتور عدنان عباس على الحاصل على الدكتوراة فى الاقتصاد من جامعة فرانكفورت وجامعة دار مشتاد، وعمل أستاذاً مشاركاً فى العديد من الجامعات العربية، ونشر ضمن سلسلة عالم المعرفة الكويتية (يناير 2007).

ومـــع أن الكتـــاب معنى أساســـاً بالتجربة الألمانية وانعكاسات التحولات الاجتماعيـــة والاتجاهـــات الحديثة فى الاقتصاد الألمانـــى - وفى أوروبا الغربية - على الناتج القومـــى وتوزيعه، إلاّ أنه يستحضر بعض ما نواجهه من مشكلات اقتصادية ومنها اتســـاع وتزايد البطالة مع اتساع الفوارق بين الأغنياء والفقراء حتى صارت فالقاً ينذر بأوخم العواقب!

الســـؤال المدخل للكتاب: هل واكب ارتفـــاع الناتج القومـــى فى ألمانيا منذ عام 1970 إلى ما يزيـــد على الضعف، ارتفاع متناســـب فى رفاهية الناس؟! إن الإحصائيات تورى بارتفـــاع مديونية الحكومة الاتحادية وخواء الموازين المالية فى مناطق الحكم المحلى فى ألمانيا، فلماذا؟ ولماذا أغلقت بعض المـــدارس والكثير مـــن المكتبات العامـــة، وتزايدت أعداد المحتاجين إلى المعونات الاجتماعية وازداد الأهالى فقراً؟! فإن كان الناتج القومى قد تزايد، فأين إذن تـــسرب الفائض الذى حققه تزايد الإنتاج؟!

ما هى العلاقـــة القائمة بين رفاهية الحكومة والخـــواص من ناحية، والنمو الاقتصـــادى من ناحية أخـــرى، ولماذا يعجز النمـــو الاقتصادى عـــن الوفـــاء بمتطلبات رفاهية الناس؟! إن النظرية الليبرالية المحدثة التى تؤكد وتبشر بمبدأ حرية التجارة الخارجية، تزعم أن هدفها يكمـــن فى تحقيق الرفاهيـــة للجميع، وللـــدول النامية أو الفقـــيرة على وجه الخصوص، فهل حققت حريـــة التجارة الخارجيـــة ما تدعو إليـــه وتبشّر به؟! هـــل ارتفاع النواتج الوطنية أو الناتج العالمى أدى إلى نمو فى حصـــة الفرد، أم أن الوقائع جـــاءت تكذيباً صارخاً لهذا التبشير! إن الآثار التى أفرزتها الصيغة الجديدة تؤكد أن الفئـــات الموجودة فى أدنى السلم الاجتماعى قد ازدادت فقراً!

رجائى عطيـة

rattia2@hotmail.com

بديهى أن المؤلف ينطلق من منظور ألمانـــى، مفتشاً عما ينبغى عمله لتلافى الآثـــار الضارة لمنظـــور حرية التجارة الخارجية على الداخل الألمانى ســـواء فى ســـوق العمل أم فى غيره، ولكن اتساع معالجته وآفاق بحثه يســـتدعيان فكر العالم الثالث للخـــروج من إخلاده أو استســـلامه لعالم الكبار، ويستحضر فى ذات الوقت ما ينبغى على الدول الفقيرة اتخاذه لتلافى الآثار الســـلبية الخطيرة التى طفقت تتزايد عليها لمصلحة الكبار وما يريدونه!

وبرغم خصوصية التجربة الألمانية، وتفتيش المؤلف فيهـــا، فإن موقفه مما يســـمى الليبرالية المحدثـــة ينطلق من منظـــور عام يسرى عـــلى الجميع وإنْ بنســـب متفاوتة. يعرض فيه لما تدعيه هذه النظرية المســـتحدثة من أنها هى السبيل - بالانفتاح واقتصاد السوق - إلى رفاهية الشعوب التى تنفتح اقتصادياتها على السوق العالمية، وينكشف عبر بابى وفصول الكتاب الســـتة النتائج السلبية التى ترتبت فعلاً على تطبيق السياسات الاقتصادية المستقاة من هـــذا المنهج الليبرالى المحدث، وســـبل الخلاص من نتائجه المدمـــرة التى تزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً!!

الوهم الكبـــير أن النمو الاقتصادى الجديـــد، يخلق فرص عمـــل جديدة ورفاهية للجميـــع، بينما فرص العمل المتزايدة هى التى تخلق النمو! لقد ارتفع عدد العاطلـــين فى ألمانيا إلى ما يزيد على أربعة ملايين، وازداد عدد المحتاجين إلى المعونات الحكومية، حتى لاحظت اللجنة المنوط بها بحث أسباب الفقر فى ألمانيا!! أن ثمانية ملايين من بينهم ثلاثة ملايين طفل يعيشون تحت خط الفقر؟!

هل بحثنا ودرسنا فى واقعنا العربى المر، أســـباب تفشى الفقـــر لدينا؟! هل بحثنا ودرســـنا ما تصبـــه علينا حرية التجارة الخارجيـــة واتفاقياتها؟! نعم. إن الأســـئلة التى يطرحهـــا ويحاول الإجابـــة عنها مؤلف كتـــاب: «اقتصاد يغدق فقـــراً!» تنطلق فـــى الأساس وفى معظمهـــا من منظـــور أو واقع ألمانى، كانعكاس انطـــلاق المشروعات الكبرى إلى الخـــارج طلباً لعمالـــة أرخص على سوق العمل الداخلية، ولكنها تستحضر فى المقابـــل أثر حرية التجـــارة العالمية واتفاقياتها على الداخـــل العربى وعلى المشروعات العربية، وتستحضر مع هذا الاستحضار تساؤلات تبحث عن إجابات مستبصرة شـــافية تراعى داخلنا الذى بات يواجه تحديات وانعكاســـات بالغة الخطر وشـــديدة البعد عن الالتفات إلى واقعنا الاجتماعى فى منافســـة محمومة تدين قوانينها للكبار، وتصطبغ ألوانها بمصالـــح وأغراض وغايـــات وأهداف الكبار، ســـواء فيما تفرضـــه «منظمة التجـــارة العالمية»، أو فيمـــا لاتراعيه المشروعات الكبرى المتســـللة إلى داخلنا تحت ستار «الخصخصة» والانفتاح من إغفال تام لمصالحنا الوطنية، ســـواء فى شأن ســـوق العمـــالة أو فى شأن السوق وآلياته بعامة! لقد رأينا ولانزال نـــرى عمالة تسرَّح بالآلاف بصور وأســـاليب

مغلفة أو سافرة فى أعقاب كل خصخصة لهذا المشروع أو ذاك، فضلاً عما فى سياسات هذه المشروعات من اهتمام - بديهى ومتوقع - بواقع المشروع وجدواه الاقتصادية الذاتية دون النظر إلى الواقع الاجتماعى فى محيطه. هذا الواقع الذى كانت ترعاه الدولة قبل أن تهجر المنظور الاشتراكى، ولم يعد يدخل فى اهتمامات المشروعات التى خصخصت ولا تهتم إلاّ بحسابات المكسب والخسارة الذاتية!

ماذا على الدول النامية أن تفعله وهذه ألمانيا بإمكانياتها الهائلة، مضرورة تتشكى من المنهج الحديث؟! يلاحظ هورست أفهيلد مؤلف كتاب: «اقتصاد يغدق فقرًا» أن الدول الصناعية التقليدية باتت تعانى من المرحلة التى سبق أن مرت بها الأرجنتين ودول أمريكا الجنوبية فى مطلع العصر الصناعى، وماعانته الهند إبان الاستعمار البريطانى من «وقف حال» الصناعة فيها. هذا هو ما باتت تواجهه الآن الدول الصناعية التقليدية من التأثيرات الضارة لحرية التجارة العالمية على «صناعاتها»! فأين نحن؟! إن مضمون وفلسفة الكتاب يستحضر وجوب التأمل والنظر فيما بدأ يسود من سيطرة الكبار ورغبتهم فى تعميم منظورهم وقواعدهم على دول العالم دون نظر إلى ظروف أو خصوصية كل منها!

لا يكمن الخير، ولا تأتى الرفاهية للناس، من مجرد جذب الاستثمارات الأجنبية (أو الداخلية) بما يصاحبها من خضوع لمتطلباتها - سواء فى التخلى عن العمالة أم فيما يمنح لها من تسهيلات وتنازلات وإعفاءات ضريبية بل ومساعدات تصب فى جيوب أصحاب الثروة تحت شعار التشجيع على الاستثمار! هذه الظاهرة تفجر قضية بالغة الأهمية يثيرها الفصل الثانى من الكتاب: من يجب أن يتحمل الأعباء أو يتحملها أكثر: رأس المال أم العمل؟! إن دراسة الظاهرة توحى بأن منطق الإعفاءات والتسهيلات وما يصاحبها، قد انحاز إلى الثروة من خلال انحيازه - الظاهرى! - إلى المشروع، وجاء ذلك على حساب سهولة التتبع الضريبى لأوعية العمل، فبات ما يستقطع من ضرائب على دخول العمل والعاملين، لا يتناسب مع ما يستقطع - أو لا يستقطع! - من ضرائب على أرباح أصحاب الثروة، فطفق الخرق أو الفلق يتسع بين الأغنياء والفقراء من خلال الانحياز - الواعى أو اللا واعى! - إلى رأس المال على حساب العمل!

تكمن معظم المشكلة فى السوق العالمية المحررة من القيود وفى الانفتاح عليها دون تدبر ومعالجة سيطرة الكبار على هذه السوق، الأمر الذى يثير مدى صحة ما يبشر به النظام العالمى الجديد، ويثبت زيف الزعم بأن التجارة العالمية الحرة هى خير وسيلة لتعزيز النمو الاقتصادى. فواقع الحال فند هذا الزعم، وأدى تحرير التجارة الخارجية وإلغاء القيود على حركة أسواق المال الدولية، إلى تناقص قيمة العمل وفقدانه لأهميته التى جعلت تشكو أوروبا الغربية منها، فما بال الفقراء؟! جدير بالدول النامية أو الفقيرة أن يتأملوا أكثر فى عواقب هذه التجارة العالمية الحرة، وفيما تجره هيمنة وسيطرة ورغبة ومصالح الأغنياء من ويلات ومزيد من الفقر للفقراء!

توجد مخارج لابد منها للفقراء للحد من طغيان العولمة وتأثيراتها المدمرة على الدول النامية التى بات لزامًا عليها أن تستثمر كل ما فى جعبتها لاستعادة دور الاقتصاد الوطنى، سواء بسياسة الضرائب الجمركية، أم بقيود وضوابط الاستيراد، أم برفع معدلات التصدير للبضائع والخدمات. كسر هذا الطوق ليس مهمة سهلة أمام طغيان الكبار، ولم تعد هناك مندوحة من التكتلات الإقليمية التى تحقق للدول المتضامة فيه ما تعجز عن تحقيقه فرادى. أمثلة هذه التكتلات حاضرة تدعونا للالتفات: تكتل دول الاتحاد الأوروبى، وتكتل دول جنوب شرقى آسيا، وتكتل بعض دول أمريكا الشمالية. هذه التكتلات ساعدت وتساعد بصورة أو بأخرى فى ترويض بعض الآثار الضارة لهذه العولمة، وتستفزنا لإحياء ما أهملناه فى شأن إقامة سوق عربية مشتركة تضم الدول العربية التى يربطها من الاتصال الإقليمى ووحدة اللغة والتاريخ والمصير والمصالح، ما يجاوز بكثير ما اجتمعت عليه دول الاتحاد الأوروبى أو دول أمريكا الشمالية أو جنوب شرقى آسيا!!

ما الذى يمنع الدول النامية أو الفقيرة - فيما يسوق المؤلف - من أن تحذو حذو ما طبقته الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا فى القرن التاسع عشر، حين فرضتا حماية لصناعتهما الوطنية من طغيان المنافسة البريطانية التى كانت مسيطرة فى هذا الزمان سيطرة لا تكافؤ فيها.

ليس مرادى، ولا يتسع المقال، لاستعراض ما فى كتاب: «اقتصاد يغدق فقراً» - من موضوعات بالغة العمق والأهمية، جديرة بقراءة ودراسة وتأمل نحن إليهم أحوج من دول كبرى أرقها ويؤرقها ما نحن غافلون عن الالتفات إليه ودراسته والتمعن فيه والبحث عما يجب أن نواجهه به!

تشكيل حكومة عراقية جديدة فى ظروف صعبة

لقد استغرق تشكيل الحكومة العراقية الجديدة نحو خمسة أشهر من التنازع والاختلافات بين الكتل السياسية العراقية المختلفة وبعضها البعض من ناحية، وبين هذه الكتل السياسية والحراك الجماهيرى فى الشارع العراقى من ناحية أخرى، والاختلاف مرات على الأشخاص المرشحين سواء لرئاسة الحكومة أو المناصب الوزارية، ومرات أخرى على نظام المحاصصة والحقائب الوزارية التى تريد أن تحصل عليها كل كتلة سياسية أو طائفة من الطوائف. ووصل حد الاختلاف على مدى صلاحيات رئيس الجمهورية فى ترشيح من يتولى رئاسة الحكومة باعتبار أن المنصب يختص به البيت الشيعى وله الكلمة فى الاختيار، بل لم يسلم البيت الشيعى نفسه من الاختلاف حول الاختيار.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

مسيرة تشكيل الحكومة الجديدة

بدأت مسيرة تشكيل الحكومة الجديدة عقب استقالة رئيس الوزراء عادل عبدالمهدى تحت ضغوط مستمرة من جموع المظاهرات العارمة فى الشارع العراقى فى أواخر نوفمبر 2019، حيث تحولت الحكومة إلى حكومة تصريف أعمال وتم بعد مشاورات مكثفة بين الكتل السياسية وقوع الاختيار على محمد توفيق علاوى، بعد رفض الكتل السياسية اقتراح رئيس الجمهورية ثلاثة مرشحين كان أبرزهم مصطفى الكاظمى. وبدأ علاوى مشاورات طويلة على مدى شهرين وسط صخب الشارع بالمظاهرات الرافضة له والخلافات بين الكتل السياسية والجدل حول حدود صلاحيات رئيس الجمهورية. واضطر علاوى إلى الانسحاب وبدأ البحث عن مكلف آخر ووقع الاختيار على عدنان الزرفى ولكنه إزاء حالة الانسداد فى الأفق السياسى أمامه انسحب بدوره، وتم تكليف مصطفى الكاظمى بتشكيل الحكومة، وهو عودة إلى أحد المرشحين من رئيس الجمهورية فى الاختيار الأول بغض النظر عن مسألة الصلاحيات. وإذا كانت الأوضاع العامة قد أصبحت أكثر تعقيداً بإضافة أزمة مواجهة وباء كورونا وتداعياته إلى الأزمات القائمة، إلا أن الإجراءات الاحترازية وعمليات الإغلاق للمدارس والجامعات وفرض حظر للتجوال فى بعض المناطق وتحديد لساعات العمل لمواجهة انتشار وباء كورونا، أدى إلى توقف المظاهرات وأصبح الشارع أقل صخباً حيث اقتصرت التجاذبات على الكتل السياسية فى أماكن مغلقة.

وأعلنت الكتل السياسية أن رئيس الوزراء المكلف مصطفى الكاظمى لديه حرية فى اختيار المرشحين للمناصب الوزارية على أساس الكفاءة والقدرات والقبول العام والمقدرة على التصدى للتحديات التى يواجهها العراق، ولكن ما حدث فى الواقع العملى ومن وراء الستار أن استمر تدخل الكيانات السياسية وتشاور رئيس الوزراء المكلف معها لأنه يدرك أن الأمر فى نهاية المطاف سينتهى بعرض التشكيل الوزارى الجديد على البرلمان للحصول على الثقة ولا يريد أن يتكرر ما حدث مع سابقيه من المكلفين بتشكيل الحكومة من عدم اكتمال النصاب القانونى لانعقاد البرلمان، وبالتالى عدم التصويت بالثقة على الحكومة الجديدة.

ولم يسلم الكاظمى أثناء مشاوراته لتشكيل الحكومة من اتهامه بالتواطؤ فى العملية الأمريكية لاغتيال قائد فيلق القدس الإيرانى السابق قاسم سليمانى، ومعه نائب رئيس هيئة الحشد الشعبى العراقى السابق أبو مهدى المهندس. وهذا ما يجعل من قبوله رئيساً للحكومة الجديدة قائماً على الترقب من قبل العديد من القوى وحتى الفصائل المسلحة وخاصة طريقة تعاطيه مع الدعم الأمريكى.

منح البرلمان الثقة للحكومة الجديدة:

أمكن عقد جلسة للبرلمان العراقى يوم 6 مايو 2020 للتصويت على منح الثقة للحكومة الجديدة برئاسة مصطفى الكاظمى، حضر الجلسة 260 عضواً من إجمالى 329 عضواً ويعتبر حضوراً كبيراً بالقياس للمعدل العادى لحضور الجلسات، ورغم أن الجلسة استمرت حتى فجر اليوم التالى إلا أنها لم تتسم بالتوتر نظراً لإدراك الجميع جسامة التحديات التى يواجهها العراق، إلى جانب طول المدة التى استغرقها اختيار رئيس للحكومة والتوافق عليه.

وقد أعلن كل من ائتلاف دولة القانون بزعامة نورى المالكى وائتلاف الوحدة الوطنية بزعامة إياد علاوى أنهما لن يشاركا فى جلسة البرلمان للتصويت على الثقة بالحكومة.

وصرح المالكى بأنه سيتابع أعمال الحكومة عن كثب ثم يحكم عليها إن هى أحسنت أو لم تقم بما هو مطلوب فى الظروف الراهنة، أما علاوى فقال إنه والتكتل الذى يتزعمه سيكون فى صفوف المعارضة.

وتتكون الحكومة من 22 وزيراً ولكن تعذر الاتفاق بين الكتل السياسية على من يشغل وزارتى الدفاع والداخلية حيث أرجىء الاختيار لما بعد التصويت بالثقة على الحكومة. وقدم رئيس الوزراء 20 وزيراً ولكن البرلمان لم يوافق إلا على 15 وزيراً فقط حيث رفض 5 وزراء وكان من المهم تمرير الحكومة لأسباب عديدة منها مواجهة وباء كورونا والأزمة الاقتصادية الحادة التى تمر بها البلاد فى ظل انهيار أسعار النفط، ووجود عجز كبير فى الميزانية يهدد بعدم وجود أرصدة لدفع رواتب الموظفين فى غضون شهرين.

وقد أعلن رئيس الحكومة مصطفى الكاظمى الخطوط العريضة لبرنامج عمل حكومته فى المرحلة القادمة والتى يمكن إيجازها من أهمها ما قاله سواء فى البرلمان أو على صفحته الخاصة للتواصل الاجتماعى فيما يلى:

* العمل بكل جهد من أجل كسب ثقة الشعب والحصول على دعمه للحكومة والتطلع إلى تكاتف القوى السياسية لمواجهة التحديات الصعبة وتأمين سيادة العراق واستقراره وازدهاره.
* إن حكومته حكومة حلول ولن تكون حكومة أزمات. وأكد رفض استخدام العراق ساحة للاعتداءات وشدد على ضرورة حصر السلاح فى يد الدولة والقوات المسلحة ويكون استخدامه بأوامر القائد العام.
* نية الحكومة التحضير لإجراء انتخابات عامة مبكرة حرة ونزيهة.
* بذل كل جهد لمواجهة فيروس كورونا المستجد فى البلاد وتداعياته.
* إن من أولويات الحكومة تطوير المؤسسات الحكومية وإصلاحها، ومعالجة التحديات الاقتصادية والمالية وتناول ركائز العلاقات الخارجية ومكافحة الفساد وجعل العدل معيار الدولة الناجحة.
* العمل على إقامة علاقات الأخوة والتعاون مع الأشقاء العرب والجيران والمجتمع الدولى.

هذا وتواجه الحكومة الجديدة قضايا تتطلب حلولاً سريعة منها أزمة رواتب أكثر من ثلاثة ملايين متقاعد تأخر صرفها لعجز فى الموازنة، وقد وعد رئيس الوزراء بحلها، وكذلك الخلاف بين بغداد وأربيل بشأن النفط فى كردستان والتعامل بشأنه بين الحكومة المركزية وحكومة الإقليم، وهى أزمة ورثتها حكومة الكاظمى من الحكومات السابقة والتى ترتب عليها قطع رواتب موظفى كردستان فى أوائل مايو 2020 ووجود لجنة مشتركة من الإقليم والحكومة المركزية فى بغداد للاتفاق على آلية قانونية وآلية للشئون النفطية والمالية لتسوية الأزمة.

كما تواجه الحكومة الجديدة نفس القضية التى واجهتها حكومة عادل المهدى، وهى حصر السلاح فى يد الدولة والتى تجد مقاومة من بعض مكونات الحشد الشعبى العراقى خاصة تلك المرتبطة بالحرس الثورى الإيرانى،

كذلك بعض الميليشيات التابعة لبعض العشائر أو الأطياف السياسية. وأن موضوع حصر السلاح فى يد الدولة ليس مجرد قضية عراقية داخلية وإنما تهتم بها أيضاً الولايات المتحدة على ضوء ما تعرضت له سفارتها فى بغداد من اعتداءات أثناء المظاهرات، وما تتعرض له قواعدها العسكرية فى العراق من هجوم بين الحين والآخر. وهو أيضاً ما يفسر قول الكاظمى إن العراق لا يحب أن يكون ساحة للاعتداءات حيث إن ذلك يستدعى مباشرة عملية اغتيال قاسم السليمانى قائد فيلق القدس الإيرانى فى طريق المطار فى بغداد بصواريخ أمريكية، وهجوم إيران بالصواريخ على القواعد الأمريكية فى العراق انتقاماً لمقتل سليمانى.

ويتعين على الكاظمى اختيار 7 وزراء للحقائب الشاغرة لاستكمال تشكيل حكومته وذلك خلال الأيام المقبلة، ومن هذه الوزارات الدفاع والداخلية والعدل والمالية، وهى وزارات سيادية مهمة. وتخضع عملية الاختيار لمشاورات ومساومات حتى داخل البيت الواحد سواء كان البيت الشيعى أو السنى أو الكردى وقد تثور بعض الخلافات حول أحد المرشحين لأنه شيعى كردى، فأى الصفتين يؤخذ بها وأغلبية الأكراد سنة. وهذه إحدى معضلات دستور المحاصصة التى لعب المندوب السامى الأمريكى الأسبق بول بريمر دوراً أساسياً فى صياغته.

اعتبرت لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان العراقى أن الترحيب الإقليمى والدولى بالحكومة الجديدة، ومسارعة عدة دول بالاتصال برئيس الحكومة مصطفى الكاظمى مؤشر على إعادة التوازن فى العلاقات الخارجية العراقية وعدم الميل لدولة دون أخرى أو لمحور على حساب محور آخر. ويلاحظ أن الولايات المتحدة والسعودية والإمارات وبريطانيا وإيران بالتوازى ومصر كانت فى مقدمة المرحبين والمهنئين بالحكومة الجديدة، والإعراب عن الاستعداد للتعاون المشترك لمواجهة أزمة فيروس كورونا والأزمة الاقتصادية والمالية.

وقد دعت كتلة الفتح العراقية بزعامة هادى العامرى والقريبة من إيران، واشنطن إلى تقديم الدعم للحكومة الجديدة وإثبات جديتها فى ذلك، وألا تعد أن تمرير الحكومة الجديدة فى البرلمان انتصاراً لها وخسارة لخصومها فى العراق والمنطقة، لأن القوى السياسية العراقية غلبت مصلحة العراق على جميع الحسابات الأخرى، وأن تبرهن واشنطن على اهتمامها بالعراق بإعطائه أولوية فى ظل الظروف الحرجة، وليس انحيازها لطرف سياسى دون آخر.

وقال عضو فى البرلمان عن حركة إرادة أن الحكومة تستطيع مواجهة الأزمة المالية ووباء كورونا بالتجاوب مع استعداد بعض الدول للمساعدة، حيث إن الوضع المالى يقترب من حد الكارثة ويتطلب خطوات سليمة للنجاح فى مواجهته.

وقد تم اتخاذ إجراءين مهمين على المستوى القضائى العراقى، أولهما إطلاق سراح جميع المتظاهرين المعتقلين بناء على طلب رئيس الحكومة الجديدة مصطفى الكاظمى، وعلى أساس أن حق التظاهر مكفول للجميع فى الدستور. وهذه بادرة جديدة لتخفيف حدة الاحتقان الذى كان بين المتظاهرين وأسرهم والحكومة السابقة.

وثانيهما إصدار مجلس القضاء الأعلى مذكرات برفع الحصانة البرلمانية عن 20 نائباً فى البرلمان العراقى للتحقيق معهم فى قضايا تتعلق بالفساد المالى والإدارى.

وقال المستشار المالى لرئيس الوزراء العراقى: إن العراق سيتجه إلى الاقتراض الداخلى والخارجى من أجل تجاوز العجز المالى الذى تعانيه الخزانة وتعزيز السيولة المالية عند الضرورة.

وجاء فى تقرير أعدته بعثة الأمم المتحدة فى العراق وقدمته إلى مجلس الأمن الدولى أن على الحكومة العراقية إثبات قدرتها على إنجاز المهام الضرورية ومنها حفظ النظام والقانون وتقديم الخدمات العامة. وثمة حاجة ملحة لتحقيق العدالة والتحقيق مع المسئولين عن قتل وجرح المتظاهرين فى الأشهر الماضية فى بغداد ومحافظات أخرى.

وأشارت إلى أن الوضع الاقتصادى يتطلب عدم الاعتماد بصورة أساسية على البترول وضرورة إصلاح البنية الأساسية وتطويرها، ومحاربة المحسوبية والفساد وبناء مؤسسات دولية تحترم المواطنين وقابلة للاستمرار، وأنه يتوقع انكماش الاقتصاد العراقى بنسبة تتجاوز 9٪ خلال عام 2020 مع زيادة معدلات الفقر إلى ما يقرب من 40٪ من السكان، وأن الفساد قد يكون أكبر مصدر للخلل فى العراق وضد مصلحة الشعب ويؤدى إلى ابتعاد الجهات المانحة والمستثمرين، وأن التطورات الأمنية المحلية والإقليمية تؤثر سلبياً على العراق. وحذر التقرير من استمرار استخدام العراق وأراضيه ساحة حرب بالوكالة بين الدول، وضرورة محاربة التطرف العنيف والحيلولة دون عودة تنظيمات مثل داعش إلى زيادة أنشطتها.

حضور أمريكى داعم

لوحظ حضور أمريكى قوى فى مشهد اختيار الحكومة العراقية الجديدة. وبدأ ظهور هذا الحضور علناً فى رسالة نسبت للسفارة الأمريكية فى بغداد موجهة إلى نورى المالكى زعيم كتلة دولة القانون، حيث تدعو الرسالة إلى تمرير حكومة مصطفى الكاظمى فى البرلمان. وقال المالكى أنه إذا لم تكن الرسالة منسوبة فعلاً للسفارة الأمريكية فسيعتبرها مهملة، أما إذا كانت نسبتها صحيحة فإنه ليس من اختصاص السفارة التدخل فى الشئون الداخلية للعراق.

ومن جانبه قال إياد علاوى رئيس كتلة ائتلاف الوطنية أنه إذا لم تكذب السفارة الأمريكية الرسالة فستعد تدخلاً مرفوضاً فى الشئون العراقية، وأكد أنه مع أهمية أن تكون العلاقات جيدة مع واشنطن وبقية العالم ولكن هذا التدخل مرفوض.

ولم تعلق السفارة الأمريكية على الرسالة لا بالنفى ولا بالتأكيد، وقد تضمنت الرسالة أن السفير الأمريكى حذر العراق من مواجهة عواقب وخيمة إذا لم تتم الموافقة على حكومة الكاظمى، وأنه إذا تم تشكيل الحكومة «فسوف نبذل قصارى جهدنا لمساعدة العراق على مواجهة المشكلات المقبلة».

ويلاحظ أن الرسالة المشار إليها كان لها تأثيرها ولم تعارض كتلتا دولة القانون والوطنية حكومة الكاظمى، وإن لم تؤيداها واتخذتا موقف المراقبة والانتظار. ولا شك أن هذا الموقف من جانب الكتلتين رغم سلبيته إلا أنه ساعد على تمرير الحكومة فى البرلمان بأغلبية جيدة.

وقد استقبل رئيس الحكومة الجديدة مصطفى الكاظمى السفير الأمريكى فى بغداد يوم 9/ 5/ 2020 أى بعد نحو 48 ساعة فقط من منح البرلمان الثقة لحكومته، وكان أول سفير يستقبله الكاظمى حيث أكد للسفير أهمية التعاون والتنسيق بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والأمنية ومواجهة الإرهاب والتحضير للحوار الإستراتيجى بين البلدين والعمل على حفظ الأمن والاستقرار فى المنطقة وإبعادها عن المخاطر، وأن العراق لن يكون ساحة لتصفية الحسابات أو للاعتداء على أية دولة جارة أو صديقة.

وأكد الرئيس الأمريكى ترامب فى اتصال هاتفى مع الكاظمى دعمه للحكومة الجديدة، وأن العراق بلد قوى ومهم وله دور مركزى فى المنطقة وتحقيق الاستقرار الإقليمى والدولى. وأن واشنطن حريصة على تعزيز العلاقات بين البلدين والاستعداد لتقديم المساعدات الاقتصادية الضرورية لدعم الاقتصاد العراقى. وأكد الكاظمى من جانبه حرص العراق على إقامة أفضل العلاقات مع الولايات المتحدة.

مهام ثقيلة

تواجه الحكومة العراقية الجديدة مهاماً ثقيلة للغاية فى مناخ من الترقب والتطلعات العالية سواء من جانب جماهير الشعب أو الكتل السياسية المؤيدة والمناوئة. ومن المهام العاجلة مواجهة وباء كورونا، ومعالجة الأزمة الاقتصادية والمالية، وتخفيف حدة الاحتقان السياسى، والسعى قدر الإمكان إلى تحقيق توازن فى العلاقات الخارجية بين واشنطن وطهران، ودول الخليج العربية ودول الاتحاد الأوروبى. وستكون مسألة النأى بالعراق عن أن يكون ساحة لتصفية الحسابات بين الأطراف المتصارعة هى الأصعب.

ولعل استخدام الكاظمى خبراته القانونية والمخابراتية واستقلاليته حيث لم يسبق له الانضمام لأى حزب سياسى فى معالجة كل هذه التحديات المتشابكة فى ظل ظروف إقليمية وعالمية بالغة التعقيد، وعلى ضوء ما لقيته حكومته من تأييد إقليمى ودولى ملحوظ. وستبقى أنظار الداخل العراقى معلقة فى انتظار ما وعد به الكاظمى من إجراء انتخابات عامة مبكرة وشفافة ونزيهة والتى إن تحققت قد تحدث نقلة مهمة فى الحياة السياسية فى العراق.

كورونا والحرب الباردة الامريكية الصينية الى اين 4 ؟

اصبح النظـــام الدولى المعاصر فى مرحلة جديدة مفادها تخفيف قيود العـــزل الصحى والتعايش مع جائحة كورونا المســـتجد كوفيد -١٩، الممتدة، فى مصر وجميع دول العالم مع اتخاذ الإجراءات الوقائية والاحترازية اللازمة فى كافة ربوع العالم وفقاً لنظام منظمة الصحة العالمية والأنظمة الوطنية لمقاومة ذلك العدو الخفى الخبيث وسط جدل عن حرب جرثومية وخلافات حول منشأ وسبل تسريب ذلك العدو الخفى.

يمكن الإشـــارة فى هذا الصدد إلى بعض الأبعاد والتســـاؤلات المهمـــة لأزمة جائحة كورونا فى مصر والعالم قبل التعرض لتطور العلاقات الأمريكية الصينية ومسألة الحرب الباردة فى المرحلة الحالية والمســـتجدات فى الصين والولايات المتحدة والتأثير على مسار الحرب الإعلامية من حين لآخر بين البلدين.

فإنه من التساؤلات المهمة فى هذا الصدد الآتى :

هل مواجهـــة جائحة كورونا وســـيلة لتحقيق التضامن والعمل المشـــترك لمواجهة تلك الجائحة؟ أم أن كورونا ورقة للاستثمار الســـياسى لتحقيق أهداف محددة؟ أم ورقة تستخدم للعب بها على التناقضات الإقليمية والدولية لتطويق الخصوم وإضعافهم؟ أم وسيلة للمساهمة وحشـــد الحلفاء من أجل تشـــكيل النظام الدولى الجديد بعد كورونا؟ وما هـــى التوقعات المســـتقبلية لتطورات الاقتصاد العالمـــى 2020 و2021 والنظام الصحى اللازم للتعامل فى هذا الصدد؟

أود أن أشير فى هذا الشأن إلى الآتى :

-بالنســـبة لمصر فقـــد اتخذت مصر سياســـة متوازنـــة فى التعامـــل الخارجى والداخلى منـــذ إعلان منظمة الصحة العالمية عن ظهور فيروس كورونا المســـتجد بمدينة ووهان الصينية وانتشر فى شكل وباء خطير حتى صنفته على أنـــه جائحة عالمياً واتخاذ الإجراءات الحمائية والاحترازية اللازمة.

- وفى نفس الوقـــت فقد اتخذت مصر دبلوماسية المساعدات الطبية لتقديم العون والمساعدة للدول الصديقة بدلاً من الانكفاء عن العالـــم وفى هذا الإطـــار قدمت مصر مساعدات إلى جمهورية الصين الشعبية حيث تم تكليف السيدة وزيرة الصحة بزيارة إلى الصين لتقديم العون لها كما أضاءت مصر المعالم الأثرية المهمـــة بألوان العلم الصينى تعبيراً عن التضامن المصرى الصينى لمواجهة تداعيات فيروس كورونا المستجد.

- كان لتلك المساعدات آثار إيجابية على صعيد العلاقات المصرية الصينية حيث عبر السفير الصينى بالقاهرة لياو ليتشيانج عن ذلك بقوله: «إن الصين ومصر تشـــتركان فى السراء والضراء على مر التاريخ ودائماً تكون العلاقات المصرية – الصينية صامدة أمام أية محنة وصعوبات.

- وفى إطار توجيهات الســـيد الرئيس عبدالفتـــاح الســـيسى بالتحرك النشـــط لدبلوماســـية المســـاعدات الطبية المصرية عـــلى الصعيد الخارجى فقـــد قدمت مصر مســـاعدات طبية أخرى للعديد من الدول الصديقة والتى تربطها علاقات إستراتيجية مع مصر ومن بين تلك الدول ما يلى :

-الولايات المتحدة الأمريكية حيث أرسلت مصر مساعدات طبية لها كتب عليها عبارة من الشعب المصرى إلى الشعب الأمريكى.

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

- كما أرسلت مصر مســـاعدات طبية إلى الســـودان ودولة جنوب السودان وكينيا وإيطاليا وغيرها مما يعكس مســـعى مصر لتعزيز علاقاتها الخارجية فى ظل تلك الأزمة الصحية الخطيرة عالمياً وتعد تلك المساعدات لفتة إنسانية طيبة وقيمة معنوية على صعيد تقوية عرى الصداقة بين الدول والعمل من أجل استخدام ذلك الرصيد الجيد فى تشجيع الاستثمارات والسياحة فى مصر عقب انحسار تلك الجائحة.

-تجدر الإشـــارة إلى أن هناك اهتماماً كبيراً فى مصر على جميع المســـتويات سواء من جانب مؤسسة الرئاسة ورئاسة مجلس الـــوزراء ووزارة الخارجية وجميع الجهات المعنية بذلك.

- اتصالاً بذلك فإنـــه وفقاً لتوجيهات الســـيد الرئيس عبدالفتاح السيسى فقد ذكر وزير الخارجية ســـامح شـــكرى فى أكثر من مناسبة أن الســـلطات تعمل على عودة المصريين العالقـــين بالخارج فى أسرع وقت، الذين ينطبق عليهـــم الشروط ويعطى لهم الأولوية، وهناك فئة مـــن المصريين فى دول الخليج فى ظل أزمـــة فيروس كورونا، وأدت الحاجة إلى عودتهم وفقد وظائفهم.

وأضاف وزير الخارجية أن الدول يجب أن تراعـــى الظروف الخاصـــة والاعتبارات الطبية التى تتيح العـــودة المنتظمة وتوفير الرعاية الصحية لهم، دون التأثير على الدولة المضيفـــة أو على أجهـــزة الدولة المصرية فى توفير الرعاية الصحية.

وأوضح شـــكرى، أن الحكومة ولجنة متابعة المصريين العالقين مستمرة فى العمل، ومتابعة أوضاع المصريين فى الخارج، لحين عودتهم من الخارج.

من جهتها، قالت وزيرة الدولة للهجرة وشـــئون المصريين بالخارج، السفيرة نبيلة مكرم إن هناك جماعـــات مغرضة تحاول زعزعـــة ثقة المواطنين بالخـــارج فى الدولة المصرية، مشددة على أن مصر لا تغلق وجهها أمام مواطن يرغب فى العودة.

وأضافت وزيرة الهجرة فى مناســـبات مختلفة، أن العمل جارٍ على إعادة المصريين العالقين بالخارج.

تجدر الإشـــارة إلى أنه تم تشكيل لجنة وزارية فى جمهورية مصر العربية برئاســـة الســـيد المهندس رئيس مجلـــس الوزراء وبمشـــاركة عدد من السادة الوزراء لمتابعة هذا الملف، وإعـــادة المصريين بالخارج رغم إمكانيات الدولة المصرية فى ظل أزمة فيروس كورونا.

تجدر الإشـــارة إلى أن تلـــك الأزمة على المســـتوى الدولى لها تأثير عـــلى الاقتصاد العالمى حيث أشار صندوق النقد الدولى عدد إبريل 2020 أن هذه الأزمة منقطعة النظير لما يلى:

أولاً، هناك صدمة كبيرة، فمن المرجح أن تتضاءل الخســـائر التى أشعلت فتيل الأزمة المالية العالمية أمام خسائر الناتج المصاحبة لهذا الطارئ الصحى وإجـــراءات الاحتواء المرتبطة به.

ثانيـــاً، على غـــرار أية حـــرب أو أزمة سياســـية، هناك عدم يقين شديد ومستمر بشأن مدة الصدمة ودرجة حدتها.

ثالثاً، فى ظل الظروف الراهنة، هناك دور مختلف تماماً للسياســـة الاقتصادية – ففى الأزمات العادية، يســـعى صناع السياسات إلى تشجيع النشـــاط الاقتصادى عن طريق تحفيز الطلب الكلى بأسرع وقت ممكن – أما هذه المرة، فمعظـــم الأزمة يرجع إلى تبعات إجـــراءات الاحتواء اللازمة، ممـــا يزيد من صعوبة تحفيز النشـــاط، ويجعله أمراً غير مرغوب، على الأقل بالنسبة للقطاعات الأكثر تضرراً.

وتعكس تنبؤات الاقتصاد العالمى الواردة فى هذا التقرير مســـار الجائحة وإجراءات الصحـــة العامـــة اللازمة لإبطاء انتشـــار الفيروس وحمايـــة الأرواح وإتاحة الفرصة لنظـــم الرعاية الصحية كـــى تتعامل معها على نحو فعال. وفى هذا الصدد، استفدنا من عدة حـــوارات مع متخصصين فى الوبائيات، وخبراء فى الصحـــة العامة، ومتخصصين فى الأمراض المعدية ممـــن يعملون على إيجاد أدوية تعالج فيروس كورونا (كوفيد 19-). ولكن يظل هناك قـــدر كبير من عدم اليقين حول التنبؤات، والجائحة نفسها، وتداعياتها الاقتصادية الكلية، والضغوط المصاحبة لها فى الأسواق المالية وأسواق السلع الأولية.

ومن المرجح جـــداً أن يمـــر الاقتصاد العالمى هذا العام بأســـوأ ركـــود تَعَرَّض له منذ سنوات «الكســـاد الكبير»، متجاوزاً فى ذلك كل تداعيات الأزمـــة المالية العالمية منذ 10 سنوات. فمن المتوقع أن يتسبب «الإغلاق العام الكبـــير»، كما يجوز أن نســـميه، فى انكماش النمو العالمى بشدة.

ومن المتوقع حدوث تعافٍ جزئى فى عام

2021، حيث يصبح النمو أعلى من معدلات الاتجاه العام، ولكن مستوى إجمالى الناتج المحلى سيظل أدنى من الاتجاه العام فى فترة ما قبل الفيروس، مع قدر كبير من عدم اليقين حول مدى قوة التعافى. ومن الممكن، بل وربما من الأرجح، أن تكون نتائج النمو أسوأ بكثير. وسيحدث هذا إذا استمرت الجائحة وإجراءات الاحتواء مدة أطول، أو وقع ضرر أكثر حدة على اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية، أو استمر تشديد الأوضاع المالية، أو إذا ظهرت آثار غائرة واسعة النطاق بسبب إغلاق الشركات واستمرار البطالة.

وسيتعين التعامل مع هذه الأزمة على مرحلتين: مرحلة للاحتواء وتحقيق الاستقرار تليها مرحلة للتعافى. وفى كلا المرحلتين، هناك دور حاسم لكل من الصحة العامة والسياسات الاقتصادية. وتكتسب عمليات الحجر الصحى والإغلاق العام والتباعد الاجتماعى أهمية حاسمة فى إبطاء انتقال العدوى، مما يعطى نظام الرعاية الصحية وقتاً كافياً للتعامل مع طفرة الطلب على خدماته وإمهال الباحثين وقتاً كافياً لمحاولة إيجاد أدوية ولقاح. ويمكن أن تساعد هذه الإجراءات على تجنب ركود النشاط الاقتصادى بصورة أشد وأطول أمداً وتهيئة السبيل لتعافى الاقتصاد.

ومن الضرورى زيادة الإنفاق على الرعاية الصحية لضمان توافر القدرات والموارد اللازمة لنظم الرعاية الصحية. وينبغى النظر فى إعطاء معاملة خاصة للمشتغلين بالمهن الطبية – الذين يقفون فى الصفوف الأمامية لمكافحة الجائحة – بما فى ذلك، على سبيل المثال، إعطاؤهم منحاً لتعليم أسرهم أو تعويضات سخية للورثة فى حالة الوفاة.

إنه فيما يتعلق بتأثير تطور العلاقات الأمريكية الصينية وإدارتها وقضية كورونا فى الوقت الحالى فإنها قد تدخل فى خضم حرب باردة جديدة بسبب فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 بدلاً من أن يكون تحدى هذا الفيروس الخطير والخبيث عامل تضامن إذا به يمثل عامل خلاف متصاعد بين الجانبين.

كما يلاحظ أيضاً أن هناك عوامل أخرى تعكر صفو ومسار تطور العلاقات بين الجانبين منها ما يتعلق بقضايا خلافات إستراتيجية بين البلدين خاصة تايوان ورفض بكين بيع أسلحة عسكرية لها وهونج كونج ومسألة لجوء الصين إلى سن قوانين جديدة تتعلق بتحقيق الأمن القومى الصينى خاصة ما يتصل بالوضع فى هونج كونج بعد حادثة اعتراض قوة بحرية وجوية صينية لمدمرة أمريكية فى بحر الصين الجنوبى مؤخراً وتطورات أخرى فى منطقة شرق آسيا .

كما أن مسألة حرب العملات والحرب التجارية المتنوعة فى أساليبها بين واشنطن وبكين تؤثر على المسار الأخير.

أنه على الرغم من وجود خلافات إستراتيجية بين الجانبين إلا أنها تسير فى أطر وتحركات محكومة من الجانبين لاعتبارات اقتصادية وإستراتيجية وأمنية وعسكرية ونووية خاصة قبيل بل وحتى أثناء أزمة كورونا وتغير أساليب التعامل الإعلامى والتراشق الإعلامى المتزايد بين الجانبين فى المرحلة الحالية.

يلاحظ أن الجانب الأمريكى وخاصة الرئيس الأمريكى دونالد ترامب حريص على إدارة العلاقات مع الصين بشكل محكم وألا تؤثر تطورات العلاقات الصينية الأمريكية على مسار الانتخابات الرئاسية الأمريكية فى نوفمبر القادم وإن كانت هناك مساع فى نفس الوقت تهدف إلى التأثير على الاستثمارات الأمريكية والأوروبية ومن أستراليا فى الصين وكذا ما يتعلق بالاستثمارات الصينية المتزايدة بشكل واسع فى الولايات المتحدة وحشد حلفاء واشنطن فى هذا الاتجاه.

إن من المهم الإشارة فى هذا الشأن أيضاً إلى أن هناك مصالح إستراتيجية متنامية معقدة تربط بكين وواشنطن خاصة منذ زيارة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون للصين عام 1972 بعد نجاح ما يمكن وصفه دبلوماسية البينج بونج قبيل تلك الزيارة وما قام به السفير الأمريكى حينذاك جورج بوش الأب (ثم رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك) ونجح الجانبان فى ذلك الوقت فى تطوير علاقات إستراتيجية ممتدة فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية.

تمكن الرئيس ترامب من تطوير تلك العلاقات أيضاً رغم المشاكل التى واجهتها ومن ثمار ذلك علاقات تجارية متبادلة بين الولايات المتحدة والصين، وليس تحالفاً سياسياً أو عسكرياً، تخطى حجم التبادل التجارى بينهما الـ700 مليار دولار سنوياً كما توصل الطرفان لاتفاق تجارى إستراتيجى فى يناير 2020 يفترض أن تستورد الصين بموجبه ما يقدر بـ200 مليار دولار أمريكى من الولايات المتحدة.

يضاف إلى ذلك فى هذا السياق أن لدى الصين سلاحاً مالياً مهماً مفاده ملكية دولة الصين الشعبية فى سندات الخزانة الأمريكية حوالى 1,12 تريليون دولار.

هذا إلى جانب القدرات التكنولوجية وفى مجالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والصناعية الرخيصة التى تتمتع بها الصين بمزايا نسبية.

وبناء على ذلك فإن الجانبين يأخذان فى الاعتبار مصالحهما التجارية التى أضحت عضوية بشكل مشترك وممتد وعميق الجذور وفهم دقيق للأضرار المتبادلة المشتركة.

وهنا تبرز بعض التساؤلات المهمة منها:

ما مدى نجاح واشنطن أو بكين فى إيجاد أسواق بديلة لها فى آسيا وأوروبا والدول العربية؟

ما مدى نجاح مسعى الهند الحثيث إلى الإحلال محل الصين بقدرات تنافسية وبناء مناطق صناعية بشروط تحفيزية؟

ما هو تأثير التوازنات الإقليمية والدولية السائدة على ذلك؟

وسوف يطرح ذلك سؤالا مهماً وهو أن إضعاف الصين يعنى تعزيز قوة روسيا والهند فهل تقبل واشنطن ذلك؟ وما تأثير ذلك على الوضع فى آسيا والعالم والتوازن الدولى والنظام الدولى الجديد فى هذا الشأن.

– تجدر الإشارة إلى أن الصين شهدت تطورات داخلية كبيرة فى عدة مجالات اقتصادية وعسكرية وتكنولوجيا المعلومات وفى هذا الإطار فقد ذكر الأدميرال فيليب دافيدسون الذى يشرف على القوات الأمريكية فى آسيا أن الصين هى أكبر تهديد إستراتيجى للولايات المتحدة. واعتبر أن الصين قادرة على تخطى التقدم العسكرى الأمريكى فى غضون خمس سنوات. وفى إطار إعلان واشنطن رسائل القوة المفتوحة لها فقد كثفت واشنطن حضور سفنها الحربية فى بحر الصين الجنوبى كما شهدت المنطقة مناورات تحت عنوان حرية الملاحة فى تلك المنطقة انضمت إليها فرنسا وبريطانيا.

– يثار ذلك وسط ما أسميه بالجدل حول مفهوم جديد مفاده مسألة الردع الجرثومى بين بكين وواشنطن المرتبط عملياً وتاريخياً بإستراتيجية الردع النووى الذى كان سائداً بين القوى النووية فى العالم منذ الحرب الباردة فى خمسينيات القرن الماضى ولكن بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى سابقاً.

–تجدر الإشارة إلى أنه مما أدى إلى صرف الأنظار مؤقتاً عن التوتر فى العلاقات الصينية الأمريكية هو قضية مقتل المواطن الأمريكى الأسود جورج فلويد 46 عاماً فى مينابوليس بولاية مينسوتا بالولايات المتحدة مؤخراً والذى أدى إلى اندلاع احتجاجات عنصرية مكثفة فى عموم الولايات المتحدة كما امتدت تلك الاحتجاجات إلى فرنسا وبلجيكا وبريطانيا وغيرها بهدف إبراز التضامن مع المدافعين عن مناهضى العنصرية وإزالة رموز العنصرية والإرث الاستعمارى وضرورة تصحيح المسار التاريخى وأهمية الاعتذار عن الإرث الاستعمارى وتصفية رموزه وتركته وإزالة تماثيلهم ونصبهم التذكارية والعمل من أجل إصلاح جهاز وأداء الشرطة وأهمية وقف استخدام القبضة الخانقة choke hold وممارسات أخرى.

وفى ضوء ما تقدم وعلى الرغم من مسار التراشق الإعلامى المتزايد فى المرحلة الحالية بين الجانبين الأمريكى والصينى حول منشأ وتصنيع وتسرب فيروس كورونا المستجد كوفيد 19 من مركز أبحاث الصين فى ووهان والدعوة إلى تحقيقات حول مسئولية الصين فى نشر الوباء والاستثمار السياسى لذلك إلا أن الطرفين فى رأيى حريصان على إدارة العلاقات والمصالح الإستراتيجية لهما والتعايش معاً فى المرحلة الحالية وعدم تأثير ذلك على تشكيل النظام الدولى الجديد رغم زيادة معدلات التطورات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وأن محاولة استخدام الصين كورقة انتخابية وكذا ورقة منظمة الصحة العالمية وفيروس كورونا السياسى والصين والعمل المشترك من أجل رسم التوازنات الدولية سياسياً واقتصادياً بعد نهاية مرحلة كوفيد 19.

وسوف تظل جائحة كورونا ورقة تستخدمها وتستثمرها الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين الشعبية وغيرهما فى الاتجاه الذى يحقق المصالح القومية العليا لواشنطن وبكين فى إطار سلوك عسكرى وأمنى منضبط .

روسيا من منظور التاريخ والجغرافيا والسياسة الدولية

روسيا القيصرية والاتحادية بين الماضى والحاضر:

يبدأ تاريخ بلاد الروســـيا Russ والتى تضم حالياً 85 كياناً اتحادياً، اثنان منها محدود الاعتراف دولياً وهى جمهورية القرم crimea وميناء ومدينة سيفاســـتوبول التى تم استقطاعها من دولة أوكرانيا عام 2014. يبدأ تاريخ هذه الدولة الإمبراطورية مترامية الأطراف فى مساحة تقدر حالياً بـ17 مليون كم2، وخط سكة حديد ســـيبريا الذى يبلغ طوله من موسكو العاصمة حتى ميناء فلاديفوستوك فى أقصى الشرق الآسيوى على المحيط الهادى فى مواجهة اليابان مسافة 9260 كيلو متراً، يبدأ هذا التاريخ منذ ظهور العناصر والعرق السلافى الشرقى منذ القرون الثالث والرابع وحتى القرن التاسع الميلادى.

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

حيث تأسست إمارة كييف روس kiev Russ على يـــد المحاربين الذين يعتقد أنهم جاءوا من شمال إســـكندنافيا واستوطنوا هـــذه الأراضى واعتنقوا الديانة المســـيحية الأرثوذكســـية على المذهب البيزنطى على يد القديس سيريل عام 988 والذى قام أيضاً بتعليمهم الأبجدية الســـيريالية التى تكتب بها اللغة الروسية الحالية حيث تم إرساله من قبل أسقف مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وكان ذلك بداية تمازج الثقافتين السلافية والبيزنطية المســـيحية الشرقية ما شـــكلا معاً ملامح الثقافة الروسية مع بداية الألفية الثانية بعد الميلاد.

وقد تفتتت إمارة كييف روس بعد ذلك على أيدى الغزوات المغولية التتارية فى القرن الثالث عشر، وأصبحت تابعة للقبيلة الذهبية للمغول الغـــزاة. فيما اســـتطاعت دوقية موســـكو نظير بعدها فى الجانب الأوروبى الاستقلال عن حكم المغول، مع وراثة الفكر والأدب والثقافة الأوكرانية البيزنطية التى كانـــت كييف تمثل القلـــب منها، وبحلول القرن الثامن عشر أدت غزوات مع القازاق والاستكشافات شرقاً إلى توسع روسيا نحو أقصى سيبريا حتى المحيط الهادى.

لقد قامت إمـــارة روس Russفى كييف على نهر الدنيبر. كما برزت إلى جانبها إمارات أخرى أهمهـــا نوفوجـــورود وفيلاديمير، ويعتبر أحد زعماء الفايكنج ويسمى روريك من الســـويد أهم من حكم نوفوجرود عام 862 بناء على رغبة ســـكانها، واســـتمرت هذه الســـلالة تحكم لمدة سبعة قرون حتى تم نقل عاصمة ملكـــه إلى كييف، وفى عهد حفيده فيلاديمير الأول دخلت المسيحية بلاد Russعلى المذهـــب الأرثوذكسى، وقد أصبح فيما بعد قديســـاً للكنيســـة الأرثوذكسية الروسية، ثم أصبحت مركز الثقل السياسى بسبب وقوعها على مفترق الطرق التجارية والممرات المائية بين البلطيق والبحر الأسود والإمبراطورية البيزنطية.

دوقية موسكو:

أما دوقية موسكو فقد استطاع حكامها طرد التتار وذلك لوقوعها فى مكان حصين بين الأنهـــار المركزية لروســـيا والغابات والمستنقعات التى تشكل درعاً طبيعياً لها.

وقد بـــدأ تصاعد قوة دوقية موســـكو عن طريق تعاون حكامها مع أمراء المغول، حيث تزوج أمير موسكو يورى أخت خان القبيلة الذهبيـــة فى مطلع القرن الثالث عشر، الأمر الذى أدى إلى موافقـــة خان القبيلة الذهبية التتارية عـــلى تعيين يورى فى منصب الأمير الكبير عام 1318 ميلادية، وساعدته القوات المغولية على سحق مناوئيه، ثم أوكلت لأمراء موسكو عمليات جمع الضرائب من الإمارات الروســـية المتناثرة، ومثلـــت عملية جمع الضرائب للأمير إيفـــان الأول عام 1330 ميلادية مصدراً له لشراء العديد من الأراضى، كما أقنع ملاك الأراضى بالخدمة فى الجيش المغولى، ثم بدأ فى إقناع بطريرك الكنيســـة الروسية الأرثوذكســـية بالبقاء فى موسكو، ومن ثم قام إيفان الثالث عن طريق توسعة الأراضى بوضع الأســـس لقيام دولة قومية روسية، ثم أعلن ســـيادته المطلقة على كل الأمراء بعد التغلب على أمير نوفوجرود، الأمر الذى جعله يرفـــض الوصاية التتارية على دوقية موسكو ثم قام بسلسلة من الهجمات مهـــدت له الطريق لهزيمـــة كاملة للقبيلة الذهبية، ثم انفصـــل نهائياً عن المغول عام 1480 ميلادية برفض دفع الضرائب لهم. وبعد ذلك برز الحاكم الروسى كحاكم قوى اســـتبدادى وقيصر وكان أول حاكم روسى توج نفســـه بلقب القيصر هو إيفان الرابع عـــام 1547 ميلادية حيث تســـمت البلاد بعد ذلك بروســـيا القيصريـــة ثم بدأ حكم أسرة الرومانـــوف منذ 1613 حتى 1917 تاريخ الثورة البلشـــفية على آخر القياصرة وهو نيقولا الثانى الذى تم إعدامه فى يوليو 1918 وأسرته (وأسرة الرومانوف تعود إلى اعتلاء ميخائيل رومانـــوف ابن البطريرك فيلاريه عرش الإمبراطورية عام 1613).

بطرس الأكبر والتوسع نحو البلطيق والكنيسة الأرثوذكسية:

يعتبر بطرس الأكـــبر 1689 - 1725 المؤســـس الحقيقـــى لروســـيا القيصرية والإمبراطورية الروســـية فهو الذى أوجد لها هذا الاسم الإمبراطورى اعتباراً من عام 1721 بعد هزيمته لملكة السويد وتوقيع معاهدة نيســـتاد عام 1721 حيث كانت طموحات بطرس الأكبر دائماً تتمحور حول أهمية وجود مجال حيوى بحرى لروســـيا نحو منطقة البلطيـــق أى إطلالة على هذا البحر والخروج من مستنقع الدولة الحبيسة المحاطـــة بالأنهـــار والبحـــيرات والبحار المتجمدة معظم شهور السنة، وكانت رغبته هذه فى محـــاولات الامتداد نحـــو البلطيق مصدودة دائماً من قبل مملكة السويد التى تحيط أراضيها وممتلكاتها بالبحر البلطى. ولشدة رغبته فى الحصول على هذه النافذة على البحر قام عام 1699 بإنشـــاء تحالف سرى مع الكومنولث البولنـــدى الليتوانى ضد الســـويد والدنمارك، ما أدى إلى نشوب الحـــرب التى انتهت عـــام 1721 بهزيمة السويد واكتســـابه أربع مقاطعات صغيرة تقع جنوب وشرق خليج فنلندا وهو الشريط الســـاحلى من خليج فنلندا الذى كان واقعاً تحت سيطرة مملكة الســـويد وأقام عليه ميناء ومدينة بطرســـبرج ونقل العاصمة إلى هناك وســـميت ســـانت بطرسبرج على خط عرض 60 درجة شمال خط الاستواء، وبالتالى أمّن لروسيا منفذاً بحرياً على بحر البلطيق، فيما أبقيت دوقية موسكو الكبرى كمركـــز وعاصمة ثقافيـــة للإمبراطورية الروسية.

هذا وقد أعـــاد بطرس الأكبر قبل وفاته عـــام 1725 تنظيم أمـــور الإمبراطورية الجديدة التـــى كان يحلم بها إلا أنه حولها خلال تلك الســـنوات الأربـــع منذ 1721 وحتى وفاته إلى دولة استبدادية كبرى حيث ضاعف الضرائب لتعويض خسائر حروبه فى البلطيق مع مملكتى السويد والدنمارك، وضاعف طبقة أقنان الأرض إلى ما يزيد عن

بطرس الأكبر قيصر روسيا

إمبراطورة روسيا الأسبق كاترين الثانية

24 مليون فلاح أو قن إرضاء لطبقة ملاك الأراضى والنبلاء والحاشية الإمبراطورية ما أدى إلى تزايد النظام القمعى الاجتماعى الذى كان يفرض على الأقنان قضاء حياتهم رهناً لطبقة النبلاء وملاك الأراضى، فضلاً عن تردى علاقاته الخارجية بالدول الأوروبية الرئيسية مثل بريطانيا وفرنسا وبروسيا الألمانية، كما أنه دمج الكنيسة الروسية الأرثوذكسية فى الهيكل الإدارى للدولة عن طريق إنشاء ما يسمى بالمجمع المقدس عام 1721 وعلى رأسه المدعى العام الذى يمثل القيصر ويتكون من كبار كرادلة وأساقفة المدن والإبرشيات الرئيسية، وهو ما يشير إلى أن القيصر أصبح فى وضع رئيس الكنيسة الأرثوذكسية، ويحمل لقب المدافع الأعلى عنها، مع عدم الحق فى البت فى مسائل العقيدة أو التعاليم والطقوس الكنسية، وأصبح يخضع له أكبر ثلاثة أساقفة لثلاث مدن وإبرشيات رئيسية كبرى هى سانت بطرسبرج وموسكو وكييف.

ونقل أحد الرحالة عن القيصر إيفان الرهيب Ivan The Terrible أن حلق الذقن خطيئة لا تقوى على محوها دماء جميع الشهداء، فهى عملية فى نظره يشوه بها الإنسان خلقة الخالق، ويصف المؤرخ والعلامة الإنجليزى هربرت فيشر فى كتابه «أصول التاريخ الأوروبى الحديث من فترة عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية الذى كتبه عام 1936» أن روسيا حينئذ كانت تمثل الشرق بعينه. وقد بلغ من إنكار اعتبار الشعب الروسى جزءاً لا يتجزأ من الجماعة الأوروبية أن من بين الاقتراحات التى بحثت فى بلاط هنرى الرابع ملك فرنسا مشروعاً لقيام الغرب بحركة صليبية واسعة النطاق لطرد أهل ورعايا موسكو الأتراك من الأراضى الأوروبية.

ويقول عن بطرس الأكبر بأنه لولا تجاربه الغربية التى اكتسبها فى شبابه أثناء اختلاطه بأصدقائه من السويسريين والهولنديين والإسكتلنديين فى حى الأجانب بموسكو لما أدرك على الإطلاق مطامعه وطموحاته التى حققها فيما بعد. ولأصبح عاجزاً عن تحقيق تلك المطامع إذا لم يقدر له عون الخبراء الغربيين والمدافع والأسلحة الغربية فى حينه. وأضاف بأن الطبيعة الوحشية والهمجية جعلته عندما قبض على السلطة عام 1689 يزيح فى عنف أخته صوفيا الوصية عليه عندما بلغ سن السابعة عشرة، حيث كانت شراسته عنيفة متقلبة الأهواء كثيرة الاندفاع، ولم يردعه أى وازع دينى أو اجتماعى حيث حبس شقيقته وطرد زوجته الأولى ونبش قبر عمه ودنسه، بل إن زوجته الثانية كانت خادمة عادية من ليفونيا. وعندما مات عام 1725 فى سن الثالثة والخمسين كان الشعور العام بالارتياح كما صوره الأدباء مثل الفئران التى تنتظر فى سرور جنازة القط.

عندما توفى بطرس الأكبر عام 1725 لم تكن هناك موارد للدولة حيث تم استنفادها فى حروب البلطيق مع السويد والدنمارك، ومحاولات التوسع شرقاً فى سيبريا، فيما عانت روسيا من حالة عدم الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى بسبب قلة الموارد والاضطرابات وسوء أحوال المعيشة لمدة أربعين عاماً تقريباً تخللها حكام ضعاف وموارد هزيلة حتى بدأت تستقر الأمور لكاترين الثانية العظمى 1762 - 1796 بعد سلسلة مؤامرات فى البلاط الإمبراطورى وصراعات دفينة للاستحواذ على السلطة بدأت بالتخلص من زوجها بطرس الثالث بمؤامرة من عملاء القصر، حيث أتاح لها موت إليزابيث ابنة بطرس الأكبر عام 1762 القيام بهذا العمل مع حلفاء القصر والتخلص من زوجها. وفى الواقع لم يتربع على عرش الإمبراطورية الروسية بعد وفاة بطرس الأكبر أحد القياصرة الذين عرفوا بالطموح حتى جاءت كاترين الثانية والتى هى أميرة صغيرة من أصل ألمانى جئ بها فى سن خمسة عشر عاماً حتى تسنح لها الفرصة من الاقتران بالقيصر بطرس الثالث أحد خلفاء بطرس الأول الأكبر وكان ضعيفاً وغير مستقر نفسياً.

وقد بدأت بتوسيع نطاق التدخل الروسى فى شئون الكومنولث البولندى الليتوانى بالعديد من الإجراءات بالرغم من التكاليف الباهظة فى شكل تجهيز الحملات واستمالة البولنديين إلى جانبها، مع زيادة النظام القمعى الاجتماعى الذى كان يفرض على الأقنان قضاء حياتهم فى أراضى الملاك، ما جعل الفلاحين الروس يقومون عام 1773 بانتفاضة كبرى خصوصاً بعد إصدارها مرسوماً ينص على بيع العبيد منفصلين عن الأرض، وهو ما أدى بالمتمردين إلى تهديد موسكو والمدن الأخرى والقرى والمطالبة بالموت لجميع النبلاء وملاك الأراضى، الأمر الذى جعلها تقتاد زعيم هذا التمرد بعد عام من الفوضى والقتل لملاك الأراضى إلى الساحة الحمراء وتقطع رأسه، ثم إصدارها عفواً عاماً عن أنصاره ومؤيديه من الفلاحين الأقنان تهدئة للأوضاع الاجتماعية.

فى نفس الوقت جعلت طموحات كاترين تخوض حروباً ناجحة ضد الدولة العثمانية وأملاكها خاصة فى البحر الأسود، فكانت حروب عامى 1777/ 1778 التى استطاعت بها التوسع فى أملاك الدولة العثمانية فى معظم مدن البحر الأسود، ودفعت بحدود روسيا غرباً إلى أوروبا الوسطى، فيما أصبحت روسيا فى أواخر عهدها قوة عظمى فى أوروبا وقت وفاتها عام 1796 ومعاصرتها لأحداث الثورة الفرنسية عام 1789 وحكومة الإدارة التى انبثقت عن مخاض الثورة الفرنسية.

حروب نابليون على أرض القياصرة عام 1812:

أخطأ نابليون بونابرت بشن هجوم واسع على الأراضى الروسية عام 1812 بعد خلاف مع القيصر إسكندر الأول الذى تولى الحكم عقب وفاة كاترين الثانية العظمى عام 1796، حيث قام هذا القيصر بانتزاع فنلندا من مملكة السويد عام 1809، ثم إقليم بيساربيا من الدولة العثمانية عام 1812، الأمر الذى جعل حملة نابليون تعجل بانهيار الإمبراطورية الفرنسية التى قامت بوضع قواعدها الثورة الفرنسية وحكومة الإدارة وحملات نابليون بونابرت على المجتمعات الأوروبية المجاورة.

وبالرغم من وصول القوات الفرنسية قلب موسكو، إلا أن الروس اعتمدوا سياسة الأرض المحروقة التى منعت الغزاة من الاستحواذ على غنائم الإمبراطورية الروسية، فضلاً عن الطقس شديد البرودة، وحرب العصابات وقتل الآلاف من الجنود الفرنسيين خلال مراحل الانسحاب، فيما أصبح القيصر إسكندر الأول منقذ أوروبا، وترأس جلسة إعادة رسم خريطة أوروبا فى مؤتمر فيينا 1814 - 1815 وعودة الملكيات

إلى عروشها. وبالرغم من لعب الإمبراطورية الروسية دوراً ملموساً فى السياسة الأوروبية بفعل هزيمة فرنسا والقضاء على طموحات نابليون، إلا أن الإبقاء على نظام الاستعباد والرق حال دون تقدم روسيا اقتصادياً، فى نفس الفترة التى أخذت فيها أوروبا الغربية بمقومات الثورة الصناعية، والتى كانت قد بدأت فعلياً انطلاقها من بريطانيا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ما جعل روسيا تظهر تخلفاً وتراجعاً أكثر من أى وقت مضى، وخلق لها مشكلات اجتماعية واقتصادية أثرت سلباً على دورها السياسى كقوة فى النظام الدولى الذى كان يتكون ويتشكل فى ذلك الوقت بعد مؤتمر فيينا 1815 من خمس قوى رئيسية هى: بريطانيا - فرنسا - النمسا - الروسيا - بروسيا (الألمانية).

ويصف بعض المؤرخين السياسيين نظرة الدول الأوروبية إلى روسيا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بأنها تختلف من حين لآخر، فإذا كانت العلاقة وطيدة بينها وبين دول أوروبا اعتبروها دولة أوروبية، أما إذا كانت العلاقة هامشية يسودها الشك والريبة اعتبروها دولة شرقية همجية وزعماؤها من القياصرة استبداديون متخلفون عكس ما كانت عليه الأسر الحاكمة فى فرنسا والنمسا وبروسيا من البوربون والهابسبرج والهوهنزلرن على التوالى. فيما اعتبروا أسرة الرومانوف من مخلفات العصور الوسطى الرجعية لا شاغل لها إلا محاولات الاستيلاء على أملاك الدولة العثمانية فى البحر الأسود والتوسع فى القوقاز وآسيا شرقاً حتى شمال الهند والصين، فيما كانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تعانى فى نظر الأوروبيين من التعصب الدينى وظلمات العصور الوسطى، ولم تعرف التطور والمدنية والتنوير ومبادىء فصل الدين عن الدولة.

القيصر إسكندر الثانى وتحرير الأقنان وحرب القرم واستقلال بلغاريا:

لقد جاء تولى القيصر إسكندر الثانى عام 1855 أى خلال حرب القرم 1853 - 1856 خلفاً لوالده فى ظل ظروف صعبة روسية بسبب تداعيات الحرب وأيضاً إنسانية وأوروبية تحررية تدعو إلى إلغاء الرق والعبودية فى الولايات المتحدة قبيل نشوب الحرب الأهلية الأمريكية 1860 - 1865. فيما كان يعيش فى روسيا القيصرية ما يقرب من 24 مليوناً من الفلاحين الأقنان عبيد الأرض فى ظروف أكثر سوءًا وشراسة من فلاحى أوروبا العصور الوسطى. ما أدى بالقيصر إسكندر الثانى إلى إلغاء نظام الرق من تلقاء نفسه قبل أن تجبره الأحداث والثورات وأعمال الشغب على القيام بذلك مكرهاً.

والحق أن إسكندر الثانى ورث تركة ثقيلة من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن نظام الرق الذى بدأ فى روسيا عام 1649 بصورة شرعية قانونية حتى قبل بدايات عصر القيصر بطرس الأكبر وكاترين الثانية العظمى وذلك نتيجة محاولات حكام روسيا استرضاء طبقة النبلاء وملاك الأراضى بسبب سياسات توسع الإمبراطورية الروسية نحو الغرب تجاه أوروبا الوسطى والبلطيق وبالمثل خلال عمليات التوسع شرقاً نحو سيبريا والمحيط الهادى.

ولقد كان تحرير الأقنان عام 1861 أهم حدث فى القرن التاسع عشر بالنسبة لروسيا القيصرية حيث مثل ذلك بداية النهاية لاحتكار الطبقة الأرستقراطية لمقدرات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وقد أدى إجراء التحرير إلى نزوح العمالة من الريف إلى المدن الرئيسية وهو ما نتج عنه نمو القطاع الصناعى، وزيادة حجم الطبقة الوسطى من المجتمع الروسى، كما حصل عبيد المنازل على حريتهم بموجب الإصلاحات، فى حين حصل أقنان الأرض على منازلهم ومخصصاتهم من الأراضى الزراعية إلى جانب حريتهم فى حدود ٣ أفدنة لكل قن أو فلاح.

وقد بدأت الحرب الروسية العثمانية 1877 - 1878 كصراع آخر ممتد ضد الإمبراطورية العثمانية رجل أوروبا المريض بعد حرب القرم 1853 - 1856 وتسويات معاهدة باريس 1856 وذلك بالتحالف مع قوات التحالف الأرثوذكس الشرقى المكون من عناصر السلاف فى دول البلقان مثل صربيا والجبل الأسود وفويفودينا وسلوفينيا وبلغاريا ورومانيا واليونان فيما عرف بالعصبة السلافية pan -slaw- isn وذلك بقيادة القيصر الروسى إسكندر الثانى، وهو نفسه الذى تنازل عام 1867 للولايات المتحدة الأمريكية عن شبه جزيرة ألاسكا ومجموعة جزر الوشيان بمساحة حوالى 1.5 مليون كم٢ بمبلغ ٧ ملايين دولار أمريكى بسبب الضائقة الاقتصادية التى حلت بروسيا فى أعقاب حرب القرم وخسائر واستنزاف أمام الدولة العثمانية والدول الأوروبية خاصة بريطانيا وفرنسا اللتين حاولتا منع روسيا من الاقتراب من القرن الذهبى مدخل مضيقى البسفور والدردنيل وبحر إيجه فى اتجاه المياه الدافئة للبحر الأبيض المتوسط.

لقد خسرت الدولة العثمانية هذه المرة الحرب عام 1878 ولم تقف معها الدول الأوروبية بصلابة حيث تم توقيع معاهدة سان استيفانو مارس 1878 أقر فيها العثمانيون باستقلال بلغاريا وبامتداد حدودها إلى جنوب غرب البلقان، ثم كان نتيجة تدخل بريطانيا وألمانيا الموحدة فى

ألكسندر الثاني

عهد بسمارك أن عقد مؤتمر فى برلين فى يوليو نفس العام 1878 تم فيه تضييق حدود بلغاريا التى كانت أصلاً إمارة، مع تقليص العناصر السلافية فى البلقان خشية امتداد النفوذ الروسى بحجة حماية المسيحيين الأرثوذكس فى منطقة البلقان.

- لم تتخل روسيا عن هدفها الدائم وهو تقسيم أملاك الدولة العثمانية فطالبت الدولة العثمانية بمنح الرهبان الأرثوذكس بعض الامتيازات فى الأماكن المقدسة من القدس وبيت لحم، خاصة بعد الامتيازات التى منحتها روسيا لنابليون الثالث للرهبان الكاثوليك فى الأراضى المقدسة بفلسطين. ولما رفضت الدولة العثمانية قامت القوات الروسية فى 1853 باحتلال الأفلاق والبغدان (رومانيا الحالية) وكانت تتبع السلطان العثمانى، ولما رفض القيصر نيقولا الأول الانسحاب بادر السلطان العثمانى بإعلان الحرب على روسيا فى أكتوبر 1853 وفى مارس 1854 أعلنت بريطانيا وفرنسا دخول الحرب بجانب الدولة العثمانية حيث كانت روسيا قد دمرت الأسطول العثمانى فى ميناء سينوب على البحر الأسود. وبالرغم من أن النمسا قد التزمت الحياد إلا أنها كانت تريد تأمين حرية الملاحة فى نهر الدانوب الذى يمر بهاتين الولايتين، وكان مؤتمر فيينا 1815 قد نص على حرية الملاحة فى نهر الدانوب وشكل لجنة لذلك. إلا أنها اتفقت مع بريطانيا وفرنسا فى 1854 على مشروع للتسوية مع روسيا يتمثل فى تنازل روسيا عن الأفلاق والبغدان وتخليها عن حماية الرعايا الأرثوذكس فى الدولة العثمانية، وأن يكون هناك ضمان جماعى تمنحه الدولة العثمانية للدول الكبرى فضلاً عن حرية الملاحة فى مصب نهر الدانوب.

-وقد دارت الحرب سجالاً فى شبه جزيرة القرم فى البحر الأسود وميناء ومدينة سيفاستوبول واستعانت الدولة العثمانية بالجيش المصرى. وفى يناير 1856 قبلت روسيا مشروع التسوية فتم

بيتر العظيم

عقد مؤتمر سلام فى باريس انتهى بمعاهدة باريس 1856 تعهدت فيه روسيا بإعادة جميع أملاك الدولة العثمانية وإعادة ميناء سيفاستوبول إلى روسيا، وتتمتع الأفلاق والبغدان بالاستقلال الذاتى فى إطار الدولة العثمانية، كما تظل صربيا تحت السيادة العثمانية مع تمتعها بالاستقلال الذاتى وحياد البحر الأسود وفتحه أمام التجارة الدولية لكل الدول دون استثناء مع ضرورة تحسين معاملة السلطة العثمانية لرعاياها بصرف النظر عن اختلافهم فى الدين والجنس.

- لعل أهم نتائج حرب القرم هو مبدأ تسوية المنازعات بالطرق السلمية وعدم اللجوء إلى القوة العسكرية كذلك التأكيد على اتفاقية فيينا 1815 لحرية الملاحة فى الأنهار الدولية وسريان تلك القاعدة على نهر الدانوب ومصابه دون تمييز، وأيضاً فتح المجال السياسى للوحدة الإيطالية والاتحاد الألمانى عام 1870.

الحرب الروسية اليابانية وثورة 1905، 1917:

وقعت الحرب الروسية - اليابانية (1904 - 1905) بسبب الخلاف الناجم عن امتياز روسيا فى غابات كوريا واحتلالها لمنشوريا إلى تفاقم العلاقات بين الدولتين. وأن القيصر الروسى نيقولا الثانى لم يتنازل عن حقوقه. بدأت اليابان الحرب على روسيا وهاجمت الأسطول الروسى فى ميناء بورت آرثر فى فبراير 1904، ثم بدأت فى إنزال قواتها إلى كوريا ومنشوريا دون مقاومة. وبدأ اليابانيون فى محاصرة قلعة بورت آرثر حتى استسلمت، ثم تم تدمير ما تبقى من الأسطول الروسى الذى كان قد عبر من بحر البلطيق حتى بحر اليابان مروراً بآسيا وبحر الصين الجنوبى ومضيق ملقا هذا الأسطول الذى تم نقله إلى الشرق الأقصى من ميناء مورمانسك على بحر البلطيق تم تدميره خلال معركة تسوشيما فى 15 مايو 1905 بالكامل، وانتهت الحرب بهزيمة مفجعة للجيش الروسى أمام القوة الناشئة فى الشرق الأقصى ما قلب موازين القوى السياسية فى هذه المنطقة من العالم وأدى إلى استنزاف الموارد الروسية وكشف الفساد فى مؤسسات روسيا القيصرية.

وبقدر ما كان فشل القوات الروسية أمام اليابان، أن أدى إلى حدوث قلاقل واضطرابات فيما يعرف بالأحد الدامى فى يناير 1905 حيث قاد أحد آباء الكنيسة الأرثوذكسية حشوداً من الناس إلى قصر الشتاء فى سان بطرسبورج لتقديم عريضة إصلاحات إلى القيصر نيقولا الثانى إلا أن الحرس الإمبراطورى من القوزاق فتحوا النار على المتظاهرين وأسفر عن قتل المئات من المتظاهرين ورجال الكنيسة، وأدت المجزرة إلى هياج الجماهير والمطالبة بالجمهورية، وكان ذلك بدايات الثورة الروسية عام 1905، وظهور ما يسمى بالسوفيتات أى مجالس العمال فى معظم المدن لمباشرة النشاط الثورى، الأمر الذى جعل القيصر يصدر فى أكتوبر بياناً أعلن فيه إنشاء مجلس الدوما أى البرلمان ودعوته للانعقاد وشمل الحق فى التصويت.

دخل القيصر ورعاياه فى أغسطس 1914 والجيش الروسى الحرب العالمية الأولى يدفعهم الإحساس القومى فى الدفاع عن أخوة الروس السلافيين slavs الأرثوذكس الصرب ضد دول المحور. إلا أن عدم كفاءة جيوش القيصر أدت إلى هزائم كبيرة وخسائر بسبب سيطرة البحرية الألمانية على بحر البلطيق، والسيطرة الألمانية العثمانية على البحر الأسود الذى قطع الطريق على الإمدادات الروسية لحلفائها وهذا الأمر أدى إلى حدوث اضطرابات فى المصانع ومطالبة الفلاحين بالإصلاح الزراعى وإبعاد المتصوف جريجورى راسبوتين عن السياسة والحكومة حتى اغتياله فى 1916. ثم قيام عمال المصانع فى سان بطرسبورج بتنظيم إضراب فى مارس 1917 أدى إلى تفجير الثورة وحل القيصر لمجلس الدوما ثم تنازل القيصر عن الحكم فى مارس 1917 ثم قتله فى يوليو 1918 وأسرته.

تقدير الموقف السياسى والجيوإستراتيجى:

1 - يعتبر نهر الأورال هو النهر الذى يفصل بين قارتى آسيا وأوروبا ويمر بأراضى روسيا وقيرغيزستان وينبع من جنوب جبال الأورال ويصب فى بحر الخزر حيث يبلغ طوله حوالى 2428 كيلو متراً وتبلغ مساحة حوضه 220 ألف كم2 حيث تشكل السفوح الجنوبية لنهر الأورال المنابع الرئيسية، وهو ما يمثل فى الواقع الجغرافيا السياسية والطبيعية بين روسيا الأوروبية وروسيا الآسيوية، الأمر الذى جعل حدود روسيا الطبيعية وجغرافيتها وتضاريسها من هضاب وأنهار وبحيرات ووديان وسهول تنحصر بين دائرتى عرض 40 - 82 شمال خط الاستواء أى الامتداد شمال الدائرة القطبية الشمالية الملاصقة للبحار القطبية الشمالية حيث تنقطع الحياة النباتية والحيوانية للإنسان لمدة حوالى عشرة أشهر فى العام فيما عدا بعض الحيوانات البرية والثدييات التى تعيش فى هذه المنطقة، فبالرغم من بلوغ تلك الإمبراطورية لمساحة فى عهد الاتحاد السوفيتى وقبله فى نهاية القرن التاسع عشر لما يقرب من 22 مليون كم2 أو سدس مساحة الكرة الأرضية إلا أنها للأسف يقع أكثر من 80٪ من تلك المساحة من العروض الشمالية دائمة الصقيع والبرودة والتجمد وانعدام مظاهر الحياة الطبيعية معظم شهور العام.

2 - أما بالنسبة لتوسع روسيا نحو الشرق من سيبريا وحتى المحيط الهادى حتى فلاديفوستوك وسخالين فقد بدأ هذا التوسع اعتباراً من القرن السادس عشر وتحديداً بدايات 1580 بغزو سيبريا عن طريق قوزاق روسيا المحاربين حيث تم الاستيلاء على قشليق Qashliq أو سيبير عاصمة سيبريا المغولية التتارية وترحيل العائلات التتارية إلى موسكو كرهائن وكانوا من مسلمى المغول الذين اعتنقوا الإسلام فى القرون الثالث عشر والرابع عشر وأسسوا إمبراطورية المغول الإسلامية إلا أن أحد زعماء المغول ويسمى كوشوق والذى هزم أمام القوزاق عام 1598 على ضفاف نهر أوبى فضّل الذهاب إلى بخارى وأسرته لدى أولاد عمومتهم حتى توفى عام 1605 وتقدم الروس بعد ذلك إلى بحيرة بيكال ثم بحر أوخوتسك ونهر أمور ثم اصطدمت فتوحاتهم بالحدود والعناصر الصينية التتارية ما جعلهم يكملون التوجه شرقاً نحو المحيط الهادى فى 1639 بعد غزو خانات سيبريا فى شمال آسيا فيما أصبحت هذه المنطقة اعتباراً من عام 1640 تعرف باسم سيبريا siberiea وقد مثلت تلك الحدود الإضافية لروسيا القيصرية وأسرة الرومانوف التى بدأت تحكم منذ 1613 ميلادية عدة ملايين من الكيلو مترات المربعة وهو ما أدى بروسيا حالياً إلى وجود 25٪ من احتياطيات الغاز فى العالم وسدس احتياطى الذهب وأول منتج للماس فى العالم وعدد سكانه حوالى 146 مليون نسمة ومساحة لروسيا الاتحادية تبلغ حوالى 17 مليون كم2 بعد 25 ديسمبر 1991 وخط سكة حديد سيبريا ويبلغ طوله من موسكو حتى فلاديفوستوك على المحيط الهادى 9260 كيلو متراً.

3 - هذا ويمثل كل من عصرى بطرس الأكبر 1689 - 1721 وكاترين الثانية العظمى 1762 - 1796 والاعتقاد السائد فى الأدبيات الغربية والشرقية لدى المؤرخين والسياسيين والدبلوماسيين عبر التاريخ والعصور والأزمنة الاعتقاد الذى كان ومازال سائداً لديهم وأؤيد هذا الرأى وأعضده بصفتى من دارسى

روسيا من منظور التاريخ والجغرافيا والسياسة الدولية

التاريخ السياسى والحضارات القديمة ومن خلال عملى الأكاديمى وبالدبلوماسية أن الفرد الحاكم وعبر العصور والأزمنة منذ الحضارات القديمة والوسطى والحديثة هو العامل والمحرك والمؤثر والفاعل الرئيسى فى أحداث التاريخ السياسى للأمم والشعوب والدول بل وحتى فى ظلال وهوامش التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لتلك المجتمعات، فامتداد روسيا لسانت بطرسبرج ومورمانسك وفلاديفوستوك لم يكن إلا نتيجة طموحات قادة استوعبوا درس التاريخ والحضارات القديمة، فقد عمل بطرس الأكبر بحاراً متخفياً فى موانئ هولندا فى روتردام قبل اكتشاف أمره عن طريق أحد الرعايا الروس ما جعله يطلع على نظم الغرب العسكرية ويطرح أهمية فكرة وجود نافذة على البحر البلطى لروسيا القيصرية وهو ما يحدو الآن بقادة روسيا الاتحادية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى فى 25 ديسمبر 1991 من أهمية إيجاد مخرج نحو المياه الدافئة عن طريق الدخول فى حرب مع أوكرانيا وإعادة ضم جزيرة القرم وميناء سيفاستوبول عام 2014 إلى الكيان الروسى ثم عبور القرن الذهبى والبسفور والدردنيل نحو بحر إيجه والبحر المتوسط وإقامة قواعد عسكرية فى طرطوس السورية وجوية فى حميميم السورية أيضاً، مع مساعى موطيء قدم جديد فى سواحل ليبيا جنوب البحر المتوسط فى مواجهة جنوب أوروبا ودول حلف شمال الأطلسى فى محاولة لإعادة التوازن الدولى لما كان عليه فى النصف الثانى من القرن العشرين.

4 - أن الوصول إلى إمبراطورية روسيا فى قلب آسيا لم يكن يتطلب منها ارتياد البحار، وإنما كانت الأراضى والامتداد شرقاً ماثلة أمامها، فانجذاب السياسة الروسية نحو آسيا لم يتضح ولم يكن قوياً منذ البداية. ولم يظهر ذلك جلياً إلا مع القرن التاسع عشر عندما أصبحت الروسيا وجهاً لوجه أمام بريطانيا واليابان، عندئذ أصبحت جاذبية آسيا عاملاً عظيم الأهمية فى السياسة الروسية أى قلب الأرض الآسيوى Asia -Hinterland كما لم يكن الشرق فى القرن الثامن عشر عصر بطرس الأكبر وكاترين الثانية العظمى بقدر ما كان الجنوب والغرب عامل اجتذاب الموجهين والمنظرين للسياسة الروسية. فالغرب قدم لروسيا خبراءه وفلسفته فى الحكم القائمة آنذاك على الاستبداد المستنير، وقدم الجنوب لروسيا الفتوحات المغرية واحدة تلو أخرى.

فلا يمكن إنكار بعض الشخوص الألمانية القديرة أمثال أوسترمان الذى ظل وزيراً لمدة 17 سنة وميونخ الذى كان قائداً للجيش الروسى فى عهد القيصرة آن Ann خليفة بطرس الأكبر، كما كان التحالف الوثيق مع النمسا حجر الزاوية فى السياسة الروسية حتى موت إليزابيث ابنة بطرس الأكبر عام 1762.

5 - إن سهول القوقاز وشبه جزيرة القرم بساحلها المشمس، ومضيقى البسفور والدردنيل معبر مياه البحر الأسود وبحر أزوف الباردة والولوج إلى مياه القسطنطينية الدافئة ومنها إلى جزر بحر إيجه والبحر المتوسط والأراضى المقدسة، فإنه من السهل إدراك قوة تأثير مثل تلك المطامح فى الشعب الروسى الذى يعانى أكثر من تسعة أشهر فى العام من صقيع وبرودة العروض الشمالية وجبالها الثلجية المقفرة عديمة الحياة قارسة البرودة وتربتها المتجمدة، فالاعتقاد فى هذا المخرج والسيطرة حتى على المدينة الإغريقية القديمة بيزنطة المسماة بالقسطنطينية فى مطلع القرن الرابع الميلادى، ووراثة الإمبراطورية البيزنطية بمذهبها الأرثوذكسى الشرقى فى العقيدة كان دائماً حلم القياصرة فى تقسيم تركة الرجل المريض، ما اضطرهم إلى النظر إلى الأتراك على أنهم الدولة التى تحول بين روسيا والشمس، وأن يسووا كافة علاقاتهم السياسية بما يتمشى وتلك الحقيقة. فأصدقاء الأتراك أعداء لروسيا، وأعداء الأتراك أصدقاء للروس. وقد أدركت ذلك كاترين العظمى، أعظم خلفاء بطرس الأكبر بالرغم من أصولها الألمانية. وفى عهدها وكخطوة لتحقيق سياسة الجنوب قسمت بولندا، وضمت شبه جزيرة القرم لروسيا عام 1783 وثبتت علم روسيا القيصرية على سواحل البحر الأسود على مشارف القرن الذهبى والمضايق والقسطنطينية.

لقد عاشت الدولة العثمانية كإحدى الدول المؤثرة فى السياسة الدولية من العصور الوسطى بدءاً من 1299 حتى سقوطها عام 1923 أى حوالى ستة قرون، وكانت أهم مراحلها الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو الدولة الإمبراطورية البيزنطية عام 1453 ميلادية فى عهد محمد الفاتح، ثم امتد نفوذها على معظم شبه جزيرة البلقان بما فى ذلك اليونان وألبانيا والبوسنة وصربيا والجبل الأسود وأراضى بلغاريا ورومانيا حالياً، فضلاً عن كل سواحل ومدن البحر الأسود وشبه جزيرة القرم وميناء ومدينة سيفاستوبول، ما جعلها تصطدم بصفة دائمة مع طموحات روسيا القيصرية فى التوسع فى هذه الأراضى والموانئ، حيث كانت روسيا القيصرية تعتبر نفسها الوريث الشرعى للإمبراطورية البيزنطية وكنيستها الأرثوذكسية، بالإضافة إلى أنها حامية للشعوب السلافية الخاضعة للدولة العثمانية بحكم روابط الدين والمذهب والسلالة الصقلبية السلافية Pan Slavism - ، وأن الدولة العثمانية تقف

نيقولا الثانى إمبراطور روسيا

دائمًا عائقًا فى الوصول إلى مدن وموانئ البحر الأسود ما يشكل عائقاً فى عبور مضايق البسفور والدردنيل وبحر إيجة والبحر المتوسط حيث المياة الدافئة حلم روسيا القيصرية والسوفيتية والاتحادية هروباً من صقيع وتجمد الحياة والموانئ فى عروض الدائرة القطبية الشمالية، الأمر الذى جعل كاترين الثانية العظمى تدخل معارك مع الدولة العثمانية تحتل بها معظم مدن البحر الأسود وشبه جزيرة القرم وميناء ومدينة سيفاستوبول وتقع معاهدة كوتشك كينارجى فى 1 يوليو 1774 وتحصل بها على امتيازات هائلة فى البحر الأسود والقرم، فضلاً عن حقها فى حماية الأرثوذكس من رعايا الدولة العثمانية، وأن يستمع السلطان العثمانى لمطالب روسيا فيما يتعلق بالكنيسة الأرثوذكسية فى القسطنطينية.

ومثلت هذه الاتفاقية فى الواقع بداية ضعف الدولة العثمانية فيما أصبح يعرف بعد حرب القرم فى منتصف القرن التاسع عشر بالمسألة الشرقية Eastern Ques- tion أى كيفية التعامل مع أملاك الدولة العثمانية رجل أوروبا المريض.

أهم المراجع:

Arnold to ynbee: A Study al - History، London، 1934

Rawbaud: Histoir edela - Russie,paris، 1884

- هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبى الحديث، لندن، 1936، ترجمة د. زينب عصمت راشد وآخرون.

- د. محمد السروجى: تاريخ أوروبا السياسى والاقتصادى فى القرن التاسع عشر، مطبعة المصرى، الإسكندرية، دار المعارف 1965، محطة الرمل، 1970.

- سبيير رنوفان: تاريخ العلاقات الدولية، ترجمة جلال يحيى، دار المعارف 1980.

جنازات ومقابر رؤساء مصر قديماً وحديثاً

اهتم حكام مصر منذ قديم الأزل بتجهيز جنائزهم ومقابرهم وتزويدها بما قد يحتاجونه فى رحلتهم الأخيرة، وأحياناً كانوا يضعون فى مقابرهم مشغولات ذهبية وتماثيل للآلهة نظراً لإيمان المصرى القديم بالبعث بعد الموت، لذلك اهتم الفرعون القديم وتفنن فى بناء المقابر واختاروا لها شكل الأهرامات، لتحفظ الجثة والمؤن الموجودة فى الداخل، وأشهر المقابر الفرعونية هى أهرام خوفو وخفرع ومنقرع وزوسر بالإضافة إلى مقابر رمسيس وتوت عنخ آمون.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

ولم يتوقف الاهتمام بالجنازات والمقابر حتى وقتنا الحديث لذلك أردت أن أقارن بين كيفية وفاة حكام مصر فى العصر الحديث وجنازاتهم ومدافنهم، وهذا تسجيل أمين للتاريخ دون تحيز لأى منهم ولكن فقط لكى لا ننسى أننا جميعاً زائلون.

متعكم الله بالعمر الطويل.

1 - محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة وبانى نهضتها توفى عام 1849 فى قصر رأس التين بالإسكندرية فى عهد حفيده عباس الذى كان لا يحبه، وبالتالى فقد كانت جنازته بسيطة ولا تليق بكل الإنجازات التى حققها، وتم دفنه فى مسجده بالقلعة فى مقبرة فاخرة بالرخام.

2 - مات الملك فاروق عام 1965 أثناء تناوله الطعام فى أحد مطاعم مدينة كابرى الإيطالية (وقد ذكر ضابط المخابرات إبراهيم بغدادى الذى عين محافظاً للقاهرة فيما بعد أنه قد عمل كجرسون فى هذا المطعم الذى يتردد عليه الملك ودس له السم فى عصير الجوافة)، وكانت وصيته أن يدفن مع أبيه فى مسجد الرفاعى إلا أن طلبه رفض وتم دفنه فى كنيسة صغيرة (الفيرانو) فى روما، حتى أمكن لإسماعيل شيرين وزير الحربية السابق وزوج شقيقة الملك إقناع عبدالناصر بالسماح بدفن فاروق فى مصر ولكن بتكتم شديد، ووصل الجثمان ودفن فى الثانية صباحاً فى مقبرة الباشا بشارع الليث ودفن فى حفرة تحت أقدام جده إبراهيم باشا، ولم يحضر الجنازة إلا شقيقتاه فوزية وفايقة وزوجاهما واستغرقت المراسم دقائق قليلة ولم يسمح لهم بوضع شاهد على القبر وانصرف الجميع مباشرة.

وفى عام 1975 وبناء على رجاء الملك فيصل للرئيس السادات تم نقل جثمان الملك الراحل إلى مسجد الرفاعى ليدفن بجوار والده الملك فؤاد فى مقبرة رخامية بسيطة خالية من النقوش والزخارف عكس كل مقابر أجداده.

3 - مصطفى النحاس توفى عام 1965 رئيس وزراء مصر 7 مرات وزعيم حزب الوفد، وتكتمت الحكومة على الخبر لتجعل الجنازة عائلية فقط إلا أن الخبر تسرب وامتلأ ميدان التحرير بالمشيعين، حيث انطلقت الجنازة التى اقتربت من مليون مشيع من ميدان التحرير وكان المفروض أن تتوجه لجامع الكخيا لدفنه هناك إلا أن المشيعين أصروا على الصلاة عليه فى الحسين وكان لهم ما أرادوا ثم عادوا ودفنوه فى الكخيا.

وقد أدت كثافة المشاركين فى الجنازة إلى انزعاج الحكومة وقاموا بحملة اعتقالات كبيرة لأغلب الوفديين الذين شاركوا فى الجنازة.

4 - محمد نجيب توفى عام 1984 بمستشفى المعادى العسكرى بعد عزله من الرئاسة وتحديد إقامته فى فيلا زينب الوكيل، وتم تدبير اغتيالات لأولاده فى حياته ولم يسمح له بالمشاركة فى جنازاتهم حتى أطلق سراحه الرئيس الراحل السادات عام 1971، ولم يكن له مسكن فمنحه الرئيس الأسبق مبارك فيلا بحى القبة عام 1983، وفى عام 2013 وبعد وفاته بـ30 عاماً منح الرئيس المستشار عدلى منصور لاسمه قلادة النيل تسلمها حفيده محمد يوسف محمد نجيب، وكان اللواء نجيب قد طلب أن يدفن فى السودان بجوار والده إلا أنه تم دفنه فى ضريح الجندى المجهول بالأوتوستراد.

5 - جمال عبد الناصر توفى عام 1970 بعد وداعه لأمير الكويت آخر المغادرين للقاهرة بعد مؤتمر القمة العربية، وتعددت الأقاويل حول وفاته حيث ذكر البيان الرسمى مرض القلب بينما ذكر - عاطف أبوبكر مدير الدائرة السياسية فى حركة فتح فى لقاء أذاعته قناة العربية - أن عبدالناصر قد سممه أبونضال فى الخرطوم فى يناير من نفس عام الوفاة حينما كان يتفقد ما سمى وقتها معرض الغنائم الخاصة بحركة أبونضال فى الخرطوم وهذا السم لا يظهر إلا بعد عشرة أشهر.

وقد كانت جنازة عبدالناصر أكبر جنازة شهدتها مصر حتى تاريخها، وكانت رسمية وشعبية انطلقت رسمية من مجلس قيادة الثورة وبعد عبور كوبرى قصر النيل فقد المسئولون السيطرة عليها بعد تدافع المشيعين ومحاولتهم حمل الجثمان، وشارك فى الجنازة كل الملوك والرؤساء العرب ماعدا الملك فيصل وتم دفنه فى مسجده (وهناك روايتان حول اختيار هذا المكان الأولى لأن هذا هو المسجد الذى بناه، والثانية لأنه انتظر عبدالحكيم عامر بسيارته فى هذا المكان يوم الثورة).

6 - أنور السادات استشهد فى 6 أكتوبر 1981 حيث تم اغتياله أثناء احتفاله بنصر أكتوبر العظيم وفى مكانه على المنصة بطلقة أولى قاتلة أطلقها القناص حسين عباس من أعلى السيارة التى مرت أمام المنصة وأصابته فى منطقة رابطة العنق (الكرافت) فى الرقبة وأية ضربات أخرى لم تكن هى القاتلة حتى القنابل التى أطلقها خالد الإسلامبولى، وأقيمت له جنازة رسمية وشعبية شارك فيها ٤ رؤساء سابقين للولايات المتحدة وبيجن رئيس وزراء إسرائيل وعدد كبير آخر من المسئولين الأجانب. وتم إعداد قبر له بجوار الجندى المجهول مواجه للمنصة موقع الاغتيال.

7 - صوفى أبو طالب رئيس مصر المؤقت ورئيس مجلس الشعب توفى عام 2008، وقد تولى الرئاسة لمدة 8 أيام ولحين تولى مبارك من بعده، وقد توفى بأزمة قلبية فى مطار ماليزيا فى طريق عودته لأرض الوطن بعد مشاركته فى الملتقى العالمى لخريجى كليات الأزهر فى كوالالمبور.

8 - محمد مرسى العياط توفى 2019 داخل قفص المحكمة التى كان يحاكم فيها بتهمة التجسس على بلاده لصالح حماس وقطر، وجاء موته بأزمة قلبية وهبوط فى الدورة الدموية بعد أن أنكر التهم الموجهة إليه فواجهه القاضى بالتسجيلات التى تخابر فيها مع أيمن الظواهرى وخاطبه بلقب أمير المؤمنين ومكالمات كثيرة أخرى بل وتسجيلات بالصوت والصورة لبعض إرهابيى حماس داخل قصر الاتحادية، ودفن فى مقبرة مرشدى الإخوان بمدينة نصر.

9 - محمد حسنى مبارك توفى عام 2020 بعد أن حكم مصر 30 عاماً وحوالى 10 سنوات من المحاكمات والسجن والمستشفى، وقد حُكم عليه هو وولديه حكم نهائى بـ٣ سنوات سجن فى قضية القصور الرئاسية وتم تنفيذه، ونظراً لأن هذا الحكم مخل بالشرف فإنه يفقده الحق فى إقامة جنازة عسكريه له إلا أنه نظراً لضغوط محاميه فريد الديب لدى عدد كبير من محبيه فى الداخل والخارج فقد تم إصدار عفو عن اسمه وأمكن أن تكون له جنازة عسكرية، وقد أدارت الدولة هذا الموضوع بميزان الذهب فقد كرمته كفريق طيار وأحد قادة حرب أكتوبر المجيدة وليس كرئيس سابق. وحضر الرئيس الجنازة لدقائق ولم يشارك فى العزاء وقرينته قدمت العزاء فى دقائق ولم تشارك فى الجنازة. وكانت الجنازة عسكرية فقط وحضور بسيط من بعض المواطنين المختارين وسارت دقائق بسيطة داخل مسجد المشير ثم حمل الجثمان فى طائرة هليكوبتر حتى مدافن عائلة ثابت ليدفن إلى جوار حفيده فى مقبرة فاخرة جداً تنافست الأقوال فى وصف فخامتها.

القوة الناعمة الإيرانية فى الشرق الأوسط

تعد القوة الناعمة من أهم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدول وتحديد أولوياتها ليس فقط السياسية وإنما أيضاً العقائدية والثقافية، وفيما يخص الجمهورية الإسلامية الإيرانية فقد استثمرت إستراتيجيتها هذه الأداة فى خدمة سياستها الخارجية ووظفت إمكانياتها ومصادر قوتها الناعمة فى تحقيق أهدافها ومصالحها فى دول الجوار، بحيث أضحت إيران أحد أهم الأطراف الدوليين المؤثرين فى توازنات القوة فى المنطقة الشرق أوسطية. وفى هذا السياق تحاول إيران أن تستغل ما لديها من أوراق تؤهلها لبسط نفوذها داخل محيطها الإقليمى بهدف لعب دور قيادى بما يعكس قدراتها وإمكانياتها الحقيقية وثقلها الحضارى والتاريخى، وقد وضع النظام الإيرانى هذا التصور فى وثيقة تعرف باسم الإستراتيجية الإيرانية العشرينية (2005 - 2025) أو الخطة العشرينية: إيران 20252025 .

سكرتير ثان هند منذر ابورية

وهى تعتبر «أهم وثيقة قومية وطنية بعد الدستور الإيرانى، تضع التصورات المستقبلية للدور الإيرانى خلال عشرين عاماً وتهدف إلى تحويل إيران إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية فى منطقة جنوب غرب آسيا(أى المنطقة العربية تحديداً التى تشمل شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسيناء)، وتنص الوثيقة على أن طهران سوف تحظى بخصوصية على المستوى الدولى، وتتحول إلى قوة دولية ومصدر إلهام للعالم الإسلامى على أن يعكس ذلك إقليمياً فى العام 2025 لتحتل إيران المرتبة الأولى فى منطقة جنوب غرب آسيا اقتصادياً، وعلمياً وتكنولوجياً وتصبح نموذجاً ملهماً ولاعباً فاعلاً ومؤثراً فى العالم الإسلامى استناداً إلى تعاليم الخومينى وأفكاره وبما يعكس هويتها الثورية الإسلامية.

حيث تمنح هذه الوثيقة أهمية قصوى للمنطقة المحيطة بطهران والتى تضم خمسة نظم تحتية هى شبه القارة، والشرق الأوسط العربى، والخليج العربى، والقوقاز، وآسيا الوسطى، وهى مناطق تستهدفها القوة الناعمة الإيرانية بالدرجة الأولى وفق عدد من الوسائل والأدوات السياسية والثقافية وفيما يلى سنتناول أولاً: مصادر القوة الناعمة الإيرانية، ثانياً: نماذج للقوة الناعمة الإيرانية فى الشرق الأوسط.

أولاً: مصادر القوة الناعمة الإيرانية:

تمتلك إيران ترسانة هائلة من الأدوات التى تساعدها على توجيه مصادر القوة الناعمة والتى اشتملت الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية للبلاد فى الاتجاه المراد والذى يحقق فى نهاية المطاف مصالح البلاد وأهدافها الإستراتيجية وتتوزع هذه الأدوات على مستويات متعددة داخل البناء الثقافى والسياسى والاقتصادى كما يلى:

1 - جيو - سياسية (الموقع - الحجم - الجوار):

لإيران موقع جغرافى مهم يمكنها من استغلال كافة مصادر القوة الناعمة وفى مقدمتها الثقافية والتاريخية هذا فضلاً عن الثروات والمقومات التى يحتويها النطاق الجغرافى الذى تقع فيه والتى تستغلها فى التأثير على دول الإقليم، يقع فى الجنوب الغربى من قارة آسيا بمساحة قدرها 1648000 كم2، وبإطلالة بحرية على أهم ثلاثة منافذ بحرية بالمنطقة وهى الخليج العربى فى الجنوب الغربى والبحر العربى والمحيط الهندى فى الجنوب، وبحر قزوين فى الشمال. يبلغ مجموع هذه السواحل البحرية 2524كم (تتوزع هذه السواحل على الخليج العربى بـ1180كم؛ وعلى خليج عمان وبحر العرب بـ700كم؛ وعلى بحر قزوين بـ644كم). تشترك فيه إيران بحدود ساحلية من خلال ارتباطها بالخليج العربى وبخليج عمان، عبر مضيق هرمز الذى يعطى موقعاً إستراتيجياً مفتوح المجال للتمدد والتوسع. بالإضافة للحدود البرية الإيرانية البالغ طولها5204 كم. يحدها من الشمال الغربى تركيا (470كم)، ومن الغرب العراق (1280كم)، أما من الشرق يحدها أفغانستان(837كم)، وباكستان (877كم). كلها عوامل أعطت قوة عسكرية واقتصادية، لا تقل أهمية على بحر قزوين (644كم) كمورد للقوة الإيرانية، باعتباره كأحد أهم الأقاليم الغنية بالموارد الطبيعية خاصة النفط والغاز.

2 - الجانب الثقافى:

تعد الثقافة مصدراً ورافداً مهماً فى السياسة الخارجية الإيرانية وتأتى اللغة كأحد مصادر هذه القوة الناعمة حيث إن اللغة الفارسية عنصر أساسى فى اجتذاب الثقافات الأخرى فى العالم كاللغة التركية والهندية والأوردية والعربية والأرمينية والجورجية والسواحيلية وغيرها، وتعد من اللغات المعروفة عالمياً والمستخدمة على نطاق واسع فى العالم بسبب المهاجرين الإيرانيين. كما يعد البعد الحضارى للإمبراطورية الفارسية والتى تعد من أقدم الحضارات حيث تعود إلى ثلاثة آلاف عام وقد تفوقت على الإمبراطورية البيزنطية وبالتالى فإن إيران تستمد قوتها من الإرث الحضارى للإمبراطورية الفارسية.

ويعد الفن الإيرانى أيضاً من أهم وأبرز مصادر القوة الناعمة الإيرانية إذ أن إيران تتميز بالتقدم فى مجال الفنون، فإيران تستقطب الفنانين والعلماء من مختلف دول العالم الباحثين عن أصول الفن الراقى (شعر، خطابة، موسيقى، نحت، تصوير، عمارة، رقص) إذ أن الفن الفارسى يعد نموذجاً للرقى والتقدم الحضارى.

3 - أيديولوجية الثورة الإيرانية:

تمكنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ الثورة 1979 من استثمار قوتها الناعمة باعتبارها مصدراً أساسياً تسعى من خلالها لتحقيق مصالحها، خاصة وأنها تمتلك ترسانة كبيرة من هذه المقومات الثقافية والقيم السياسية والإستراتيجيات السياسية الخارجية حملها نظامها السياسى الثيوقراطى الحاكم، الذى تأسس على المبادئ والمعتقدات الدينية، فجاءت الأيديولوجية إحدى أهم الأسس التى قامت عليها القوة الناعمة لإيران فى الشرق الأوسط حيث سعت إيران إلى توظيف قيمها ذات الطابع الدينى الإسلامى فى سياستها الخارجية، فقد استخدم النظام السياسى الدينى الحاكم لإيران أدوات الأيديولوجيا الدينية للتأثير والتغلغل فى سوريا والعراق واليمن ودول الخليج العربى لأنها قامت على أسس ومعتقدات دينية شيعية يؤمن بها مكون واسع من شعوب المنطقة، وبناء حواضن اجتماعية فى الخليج العربى والشرق الأوسط خاصة وأن الأيديولوجيا هى تعبير عن الأفكار والاتجاهات العامة التى حملتها الثورة الإسلامية وقد تضمنت منظومة من القيم التى سعت أجهزة الحكم الإيرانية إلى تصديرها وتوسيع قاعدة انتشارها مما أكسبها تأثيراً كبيراً فى السياسة الخارجية الإيرانية كنموذج يقتدى على كافة دول العالم خاصة الإسلامى منها.

4 - هوية المجتمع الإيرانى:

تشكل هوية المجتمع الإيرانى ركناً أساسياً من الأسس التى قامت عليها القوة

الناعمة الإيرانية فى الشرق الأوسط، فقد تميزت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بإرث حضارى فارسى ممتد لآف السنين امتزج بالثقافة الإسلامية، كما استطاعت طهران استغلال التعدد الإثنى والعرقى بها لجعله من أهم مقومات التأثير فى سياستها الخارجية من خلال خلق عملية اتصالية مع القوميات الأخرى فى الدول المجاورة سواء بتواجد الجاليات الإيرانية الفارسية أو مع الأفراد الذين تربطهم علاقات تاريخية وأيديولوجية وسياسية وثقافية ودينية وذلك لخدمة المشروع الإيرانى فى تلك الدول.

5 - المنظومة الإعلامية الإيرانية:

تعتبر منظومة إيران الإعلامية هى الأولى من نوعها فى الشرق الأوسط، تحت إشراف المرشد الأعلى للسياسات الإعلامية عبر وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية التى تتبع مبادىء الثورة الإسلامية للخارج وتدعم الدبلوماسية الشعبية فى تحقيق أهداف التأثير التى تخدم مشروعها الإقليمى، وتتوافر المنظومة على محتوى 30 لغة، 30 تليفوناً محلياً، و8 محطات تليفزيون وطنية، 6 محطات تليفزيون خارجية، و40 محطة إخبارية ودولية.

6 - السياسة الخارجية:

يمكن للسياسة الخارجية الإيرانية أن تكون مصدراً من مصادر تشكيل القوة الناعمة، المرتبطة بالشعارات التى تروج لها، والأطروحات المنصوص عليها فى الدستور الإيرانى. وتنص المادة الثالثة (من الفصل الأول المخصص للأصول العامة) فى البند الأول الذى يشير إلى أن السياسة الخارجية تنظم على الأسس الإسلامية، المدافعة عن المسلمين وحتى المستضعفين فى كافة أنحاء العالم.

ثانياً: دور القوة الناعمة الإيرانية فى الشرق الأوسط من خلال محور (اليمن - سوريا - العراق):

مثلت إيران واحدة من القوى الإقليمية الكبرى فى منطقة الشرق الأوسط التى لديها مجموعة متنوعة من عناصر القوة الناعمة، فضلاً عن ميزات إيران نفسها والتى سعت دائماً لاستغلالها لتسويق سياستها إقليمياً ودولياً، فالأيديولوجية الإسلامية والمذهب الشيعى والحضارة الفارسية القديمة تعد بمثابة عناصر تفوق فى الدبلوماسية الشعبية الإيرانية، فضلاً عن خطابها السياسى الخارجى الموجه ضد الأنظمة الديكتاتورية وقوى الاستكبار العالمى ومناصرة القضية الفلسطينية ومعاداة إسرائيل مثلت فى مجملها مرتكزات السياسة الخارجية الإيرانية لتحقيق الغزو الناعم لدول الجوار والمنطقة والتى مثلت بدورها أيضاً عناصر جذب للعديد من التنظيمات العسكرية والسياسية والتى تبنت بدورها نفس المفاهيم والمصطلحات.

إلا أنه بالمقابل فإنه بالرغم من النجاحات التى حققتها إيران فى مجال توظيف القوة الناعمة، واجهت هذه الأخيرة مشكلة استيعاب التناقضات الناشئة بين خطابها السياسى وممارستها الناعمة، وفى الوقت الذى تسخر فيه إيران كل قواتها لإقناع العالم بنموذجها السياسى تمارس سياسات صلبة على أرض الواقع تهدف إلى طمس الحدود وإلغاء سيادة الدول من خلال تدخلها فى شئون الآخرين ويمكن لمس هذه السياسات بوضوح فى منطقة الشرق الأوسط:

أ - اليمن:

إن وجود الفرس فى اليمن يعود إلى سنة 575م حين أرسل كسرى جيشاً من سجنائه لنصرة اليمن ضد الأحباش، أما اليوم فإن التنافس على باب المندب وطريق الملاحة إضافة إلى الأطماع التوسعية كان الدافع للتدخل فى شئون اليمن، ويرتكز التدخل الإيرانى فى اليمن على عدد من الركائز الناعمة:

1 - الدعم السياسى والإعلامى للحوثيين وإنشاء الحوزات العلمية الحوثية وإنشاء الأحزاب السياسية المرتبطة بالمشروع الإيرانى.

2 - إرسال الطلاب اليمنيين إلى إيران لغرس عقيدة الروافض، وكذلك رفع الشعارات الدينية المخادعة (نصرة المستضعفين، والطقوس الشيعية الأخرى).

3 - الدعم المادى والعسكرى للانفصاليين فى الجنوب بالمال والسلاح لفصل الجنوب عن الشمال وذلك بإرسال الأسلحة وإنشاء معسكرات التدريب داخل وخارج اليمن.

4 - استطاعت إيران عن طريق المال والتضليل تحويل كثير من اليمنيين عن دينهم لعقيدة الرفض ليكون ركيزة تخدم التوسع الإيرانى ومبرراً لتدخلها فى اليمن.

ب - سوريا:

يوجد العديد من مظاهر التغلغل الإيرانى فى سوريا عبر استخدام القوة الناعمة ومن ذلك:

1 - احتلال المساجد السنية وتجديد أضرحة أهل البيت الشيعية لإقامة شعائرهم وإقامة تجمعات لسكنى الشيعة حولها.

2 - إنشاء الحوزات العلمية والحسينيات فى المدن السورية وإرسال البعثات للدارسين من العلويين وغيرهم ليكونوا دعاة للمذهب الشيعى.

3 - تأسيس المراكز البحثية والملتقيات الفكرية وتوزيع المنشورات الشيعية.

4 - تنشيط جمعيات الدعوة الشيعية وإنشاء المراكز الخيرية لاجتذاب الفقراء.

ج - العراق:

وعلى غرار اليمن وسوريا تأتى العراق كأكبر مناطق النفوذ الإيرانى فى الشرق الأوسط لما تحتويه الأخيرة من مقومات وإمكانيات اقتصادية وكذلك نفوذ شيعى مثل مدخلاً مناسباً لطهران للتغلغل فى هذا البلد الكبير:

1 - استطاعت إيران التغلغل فى الهيكل الرسمى للسلطة فى العراق من خلال مجموعات أو وكلاء تابعين لها بواسطة أداة التشييع السياسى والدعم المالى والإعلانى لهذه الفصائل والمجموعات.

2 - تشكيل ميلشيات موالية للحرس الثورى الإيرانى فى الدول المستهدفة كفيلق القدس وبدر، ودعمها بالمال والسلاح وحتى الدعم الاستشارى.

3 - كما تولى إيران أهمية كبيرة لقطاع الإعلام فى دعم نفوذها فى العراق، لذلك نجد على سبيل المثال تقوم باختراق الداخل العراقى وتضليل الرأى العام العراقى من خلال قنوات تابعة لها مثل قنوات العالم الإخبارية، وسحر العامة الإيرانية، والميادين).

خاتمة:

كما اتضح من العرض السابق أن طهران استطاعت تجاوز مفهوم القوة التقليدى من مجرد موارد وإمكانيات سواء اقتصادية أو عسكرية إلى توظيف كافة مقومات ومصادر قوتها الناعمة فى تحقيق أهداف مشروعها الإقليمى، من خلال تبنيها سياسات توسعية وتوظيف وكلاء لها لخدمة مشروعها التوسعى كما اتضح فى سوريا والعراق واليمن.

خبايا وأسرار تأميم قناة السويس

فى مذكرات الدكتور مصطفى الحفناوى ودور وزارة الخارجية فيها

المثـــير فى هذه المذكرات، ذلك القدر من الخفايا والخبايا التى كشـــفها الدكتور الحفناوى ولا ندرى عنها طيلة عشرات السنوات الماضية عن خلفيات وأسرار تأميم قناة السويس.

عمرو كمال حموده

amrkhamouda@yahoo.com

وتبدأ المذكرات بخلفية عن صاحبها نفســـه فقد نشـــأ الدكتور مصطفى الحفناوى فى أسرة ميسورة فى محافظة الشرقية، ولكن تعرضت حياتها للشقاء بسبب الانهيارات التى حدثت فى بورصة القطن مع الكساد العالمى الذى صاحب سنوات الحرب العالمية الأولى وما بعدها، فكان أن تدهورت أحوال الأسرة لمستوى الفقر ولـــم يتمكن أهله مـــن إدخاله التعليم، وعمل فلاحـــاً بالأجرة اليومية حاملاً الفأس تحت وهج الشـــمس، ثم بالمصادفة اكتشف صديقاً لوالده نجابته فصمم عـــلى إلحاقه بالمدارس وذهب إلى المدينة وتحمـــل صعاباً جمة من نقص المال والعيش على حـــد الكفاف وظلم الزملاء لنبوغـــه، حتى تفوق بإرادة من فولاذ ودخل كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ولكنه اضطر للانقطاع عن التعليم الجامعى، بســـبب تعثر ظروفه المالية وعمل موظفاً بسيطاً فى وزارة الزراعة، وبعـــد عامـــين انتقل وعمـــل فى مهنة الصحافة تحت رعاية عبدالقادر باشـــا حمزة صاحب جريدة البلاغ.. وتحسنت أحواله المعيشـــية فعاد إلى كلية الحقوق مرة أخرى.

فى الفترة مـــن 1930 حتى 1935 كانت الحركة الوطنية ملتهبة وفى أوجها، وتأثر بها مصطفـــى الحفناوى والذى اتخذ من الزعيم مصطفى كامل نموذجاً للوطنية المخلصة النقية وأصبح شـــديد الوفاء لمبادئ الحزب الوطنى.

ومن هذه الزاوية .. هاجم المفاوضات التى خاضها حزب الوفد وقادة الأحزاب الأخرى توطئة لعقد معاهدة مع الإنجليز.

ثم تحـــول بعد ذلـــك إلى التظاهر والتصدى بالخطب فى المنتديات المختلفة ضد المفاوضـــات وبعدها ضد المعاهدة عند توقيعهـــا عام 1936، حتى قبضت عليه الحكومة الوفدية وقدمته إلى النيابة العامة وســـجنته تمهيداً لمحاكمته إلى أن أنقذه ســـقوط الحكومة الوفدية عام 1937 وإفـــراج حكومة محمد محمود باشا عنه.

وما أن خرج للحرية استأنف جهاده الوطنى ضد المعاهدة بالكتابة والخطب وتأليب الرأى العام.

*****

كيف بدأ اهتمام الحفناوى بقضية قناة السويس

بعد إلغاء الامتيازات الأجنبية ســـنة 1937، اضطـــر المحامـــون الأجانب للتعـــاون مع محامـــين مصريين وكان بينهـــم الحفناوى، وعـــن طريق ذلك تكونت علاقات عمل مع الخارج، وكان أن سافر لإنجلترا لأول مرة فى رحلة عمل عام 1944.

ولأنـــه مشـــغول دومـــاً بالقضية الوطنية، فقد أدرك مـــن حادثة مقتل بطرس غالى رئيس الوزراء سنة 1910 وارتباطها بتمديد امتيـــاز شركة قناة السويس واقتنع تماماً بأن «القناة» هى لب الاحتلال البريطانى، وقرر أن تكون قضيته هى «القناة» واعتبر زيارته للندن فرصة للبحث عن الوثائق والأسانيد التى تدعم دفاعه عن تحرير القناة.

وضعت له الشركة الإنجليزية مرافقاً أرشـــده لكتاب عن ماضى وحاضر قناة الســـويس لمؤلفه «أرنولد ويلسون».. إلا أنه أرشده لما هو أهم وأخطر.. وهو دار المحفوظات لوزارة الخارجية البريطانية، فوجد الحفناوى ثـــروة من الملفات عن الموضوع.

** ومن أول ملف اكتشـــف صورة لوثيقة باللغة الفرنســـية رفعها قسيس من رجال الحـــروب الصليبية .. تاريخ الوثيقة ســـنة 1244 مرفوعة إلى ملك فرنســـا آنذاك يدعوه فيهـــا إلى احتلال مصر بواسطة دولة مسيحية تقوم بشق قنـــاة فى برزخ الســـويس وتصبح أداة لتشتيت شمل المسلمين الكفار والاستيلاء على بلادهم.

** ومن هنا بـــدأ اهتمام كل ملوك فرنسا بإنشـــاء القناة، وعندما استطاع الدخـــول لدار المحفوظـــات التاريخية لوزارة الخارجية الفرنســـية وجد من الســـجلات والوثائق الخاصـــة بحملة بونابرت لمصر أن هدفها الأســـاسى كان انتزاع طريق الهند مـــن إنجلترا، وقام المهندس «ليبير» وفريقه بدراســـة على الطبيعة لشـــق قناة بين البحر الأحمر والمتوسط.

إلا أن نابليون عند رحيل الحملة أبقى الدبلوماسى الداهية «ماتيو ديلســـبس» قنصلاً فرنسياً ليمهد السبيل مرة أخرى لعودة الحكم الفرنسى لمصر.

وقد فضل القنصل حل الاضطرابات الداخلية أولاً باختيار الضابط الألبانى القوى (محمد على) لســـدة الحكم، وقد أثبتت الوثائق التى اكتشفها الحفناوى، بذل فرنســـا مبالغ طائلة فى الآســـتانة لإصدار فرمان توليـــة محمد على حكم مصر.

ويقول المؤلف: لقد اتفقت فرنســـا مع محمد على على شـــق قناة السويس وأرســـلت بعثة السان سيمونيين، والتى درســـت المشروع ولكن وقعت فى خطأ حسابى هندسى، أوقف الفكرة.

** فى عـــام 1949 زار الحفناوى دور المحفوظـــات والوثائق فى النمســـا والفاتيكان وحصل على مجموعة مهمة إضافية من وثائق قناة الســـويس وكان

مصطفى الحفناوي

قد بدأ فى إعداد رسالته عن القناة لدى جامعة السوربون، إلا أن ما أقلقه هو إحساسه أن كل ما جمعه ليس كافياً، فهناك أسرار مخفية لدى إدارة الشركة نفسها.. فكيف السبيل إلى النفاذ والاختراق والوصول إليها؟

** فى يناير 1950، عاد حزب الوفد إلى الحكم باكتساح وبعد انتخابات نزيهة وفوجئ د.الحفناوى باتصال هاتفى من رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يدعوه لمقابلته.

وكانت المفاجأة الأكثر شدة ما قاله النحاس فى المقابلة:

«إنت يا حفناوى أكثر من هاجم معاهدة 1936 ودرس تفاصيلها القانونية، لذلك أريد أن أستعين بك لإلغاء هذه المعاهدة من طرف واحد. فهل تعاوننا رغم عدم وفديتك؟

قبل الحفناوى طلب النحاس على الفور ووجد الفرصة مناسبة ليطلب بدوره مساندة الحكومة له فى مهمته الوطنية لاختراق سجلات وأرشيف شركة قناة السويس فى باريس.

أحاله النحاس إلى الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية.

استمع له وزير الخارجية بإمعان وتجاوب مع مطلبه وأوفده إلى باريس بصفته نائباً للمستشار الإعلامى ضمن طاقم السفارة المصرية، ليسمح للحفناوى بصفته الدبلوماسية ترقب الفرصة المناسبة لاختراق شركة قناة السويس.

** حانت الفرصة عندما زار باريس وزير التجارة والصناعة سليمان غنام، وكان صديقاً للحفناوى، وقد دعاه «شارل رو» رئيس شركة القناة لحفل شاى فصحبه الحفناوى.

كان حفل الشاى فاتراً لعدم معرفة الوزير بالفرنسية ولوقوعه فى لبس فى الحديث، أدى لتدخل الحفناوى وتغيير دفة النقاش ناحية مشروعات الشركة فى مصر، وأبدى علماً واسعاً ودقيقاً بتفاصيلها. عندما انتهى حفل الشاى، استبقى شارل رو الحفناوى ودعاه لمكتبه.

ويصف الحفناوى المقابلة الخاطفة كما يلى:

«ما إن دخلت مكتب الرجل إلا وسلط علىّ نظرات حادة غاضبة ولم يأذن لى بالجلوس ثم قال:

لماذا هذا الاهتمام بقناة السويس؟

إنك تعرف معلومات لم يحاول كائن من كان من مواطنيك بمن فيهم الحكام والوزراء أن يعرفوها فماذا تخفى يا سيادة المستشار الصحفى؟»

لم يهتز الحفناوى واحتفظ ببرودة أعصابه، ورد بثقة قائلاً:

«أريد أن أكتب كتاباً باللغة العربية عن قناة السويس وذلك بعدما قرأت مجلدين لوالدك عن تاريخ القناة».

انطلت الحيلة على شارل رو بعدما داعبت الأنا الذاتية عنده.. وأفصح عن رغبة لدى إدارة الشركة بإعداد كتاب عن شركة قناة السويس باللغة العربية، ومن الصدف الحسنة توافق الرغبة عند الطرفين، واتفق مع د.الحفناوى على هذا الكتاب وسيفتح أمامه الملفات السرية للشركة ليغترف منها ما يريد.

وخصصت له الشركة حجرة خاصة وبعض المساعدين.. وتمكن الحفناوى من الحصول على وثائق سرية لم يكن يحلم بها.

ما هى الأسرار الخطيرة التى اكتشفها؟

(1) الشركة ستار فى باريس يخفى السلطة الحقيقية التى تدير قناة السويس وهى الحكومة البريطانية.

(2) وزارة الحرب البريطانية تهيمن على قسم الأشغال بشركة القناة، وهى التى تشرف على المشروعات الجديدة وتراقبها.

(3) سلاح البحرية البريطانى يهيمن هيمنة تامة على قسم الملاحة بقناة السويس.

(4) الإدارة العامة للقناة كانت تخضع للإشراف الأعلى للجنة فى لندن تضم الأعضاء الإنجليز فى مجلس إدارة الشركة مثل لورد هانكى وسير كادوجان.

(5) لقد أسست الحكومة البريطانية اقتصادها على أساس المزايا المستترة التى تحصل عليها بفضل سيطرتها على القناة.

مثل الغش (لاحظ ذلك) فى قياس السفن التى تحمل بضائع إنجليزية. فتحصل بذلك على تكلفة نقل بسعر أقل بكثير من مثيلتها من سفن الدول الأخرى.

كذلك الأمر فى إعطاء الأولوية عند إعداد القوافل التى تعبر القناة، للسفن الإنجليزية فتصل دائماً قبل أية سفينة لدولة أخرى حتى ولو لنفس الميناء ولولا هذه المزايا الخفية المستترة لانهار الاقتصاد البريطانى فى ظل منافسة مشروعة.

(6) ثم لعلّ أهم سر من الأسرار، ما اكتشفه الحفناوى من أن العقد الموجود لدى الحكومة المصرية وتتعامل به مع شركة قناة السويس.. هو عقد مزيف مزور بينما العقد الحقيقى الأصلى والذى صدر بفرمان من الدولة العثمانية ينص على أن شركة قناة السويس شركة مصرية وتخضع للقانون المصرى.

هذا العقد سرق وتوجد منه نسخة واحدة فى ملف بمحفوظات الشركة السرية فى باريس.

ولقد انتزعه الحفناوى من الملف وأعاده لوزارة الخارجية المصرية والتى بدورها أودعته ملفات مجلس الوزراء المصرى.

** ويحكى د.الحفناوى أن «شارل رو» طلب فى خريف 1950 أن يرتكب المؤلف جريمة بشعة ضد وطنه، بأن يتضمن الكتاب على لسان الحفناوى الدعوة لإنشاء تحالف دولى عسكرى للدفاع عن قناة السويس كبديل للقاعدة البريطانية الموجودة وأن عند انتهاء امتياز القناة تتولى الأمم المتحدة إدارتها بواسطة لجنة دولية!

وعرض «شارل رو» تعيين الدكتور الحفناوى فى أحد المناصب الكبرى بالشركة وبراتب سخى!

** أنهى المؤلف رسالة الدكتوراة

وتحدد لها يوم 5 يونيو 1951 ونوقشت الرسالة فى جامعة باريس وقد فجرت كل خبايا وحقيقة قناة السويس ودور الشركة وذلك على مسمع من العالم كله.

فى اليوم التالى أرسل مصطفى النحاس رئيس الحكومة برقية تهنئة باسمه للحفناوى وأيضاً الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية وكذلك برقية جماعية لوزراء الحكومة.

ونشرت جريدة «الفيجارو» كبرى الصحف الفرنسية تقريراً مطولاً عن الرسالة وما فجرته من أسرار فتجلى الكابوس كاملاً أمام مجلس إدارة شركة القناة.

اتصل به «شارل رو» وقابله الحفناوى فى لقاء عاصف وحاول معرفة المطبعة التى ستطبع الرسالة على هيئة كتاب لتشترى الشركة كل النسخ قبل نزوله إلى السوق.

وحاول رشوة الحفناوى بما يؤمن مستقبله ولما رفض ما سبق، هدده «شارل رو» بالتعقب فى كل مكان وتدمير مستقبله.

وعلى جانب آخر أبرق وزير الخارجية د.محمد صلاح الدين آمراً سفارتنا فى باريس بشراء خمسمائة نسخة من الكتاب وأرسلها إلى بابا روما وكبار السياسيين فى الغرب ودور الصحف الكبرى.

ونتيجة لهذا الفعل، تنبأت جريدة «لوموند» الفرنسية فى مقال مطول بقرب تصفية الشركة.

** أرسل الملك فاروق تهنئة ملكية حارة للحفناوى على رسالة الدكتوراة، ووضع تحت تصرفه أوراقاً خلفها جده الخديو إسماعيل فى ملف قناة السويس.

وتقول المذكرات:

«ومن هذه الأوراق عرفت الدور الذى لعبه إسماعيل ضد ديلسبس وشركة قناة السويس والمعركة التى خاضها ضدهم. وقد كلفته عرشه فى النهاية وقد دافعت عن إسماعيل دفاعاً مازلت أؤمن به أشد الإيمان وقلته علانية لقادة يوليو».

حريق القاهرة.. سر من أسرار القناة

يشرح المؤلف أن حريق القاهرة كان الهدف منه الإطاحة بحكومة الوفد بعدما ألغت معاهدة 1936، ودفعت بالكفاح المسلح فى مدن القناة وأخيراً دعمها لعملية فضح الشركة بهدف تصفيتها فى الوقت المناسب.

إلا أن القشة التى قصمت ظهر البعير.. قيام الحكومة الوفدية باعتقال سفينة تجارية وهى تحمل أسلحة مهربة لإسرائيل (السفينة إمباير روش) فى صيف عام 1951، وذلك بخليج العقبة، وتمت مصادرة حمولة السفينة.

كل هذه العوامل أهاجت بريطانيا وإسرائيل وقد علم الحفناوى من صديق صحفى أمريكى يمثل جريدة «الهيرالد تريبون» فى القاهرة وكان متواجداً لفترة فى الإسماعيلية مع قيادة الجيش البريطانى، أن هناك تدبيراً سرياً لإثارة اضطراب عنيف وغوغائى ضد الأجانب والمنشآت العامة فى القاهرة لإثبات أن الحكومة الوفدية عاجزة عن حماية الأمن.

أبلغ الحفناوى وزير الخارجية د.محمد صلاح الدين بهذه المعلومات وأسانيدها، وبدوره تقابل مع زميله وزير الداخلية فؤاد باشا سراج الدين، الذى لم ينزعج ولم يتحقق إنما اعتبر أن الحالة الأمنية هادئة.

بعد يومين فقط من هذه المقابلة، احترقت القاهرة وأقال الملك فاروق حكومة الوفد.

** عندما خلف على باشا ماهر حكومة الوفد، أبدى اهتماماً باستكمال ملف «قناة السويس» وكانت علاقته متينة بالدكتور الحفناوى، وأبلغه أنه سينشئ وكالة وزارة يتولاها الحفناوى لإدارة ملف القناة، وتكون ملحقة بمجلس الوزراء.

بورسعيد عام 1920

ثم أقيلت حكومة على ماهر وتوقف العمل وجاءت حكومة نجيب باشا الهلالى، والذى أبلغ الحفناوى تخوفه من إثارة شركة قناة السويس وتأليبها للدول الكبرى على مصر.. فتوقفت المتابعة.

** سقطت حكومة الهلالى باشا وبدأ الانهيار السياسى فى الساحة وفى يوم 23 يوليو 1952 قامت ثورة الضباط، وتشكلت حكومة جديدة برئاسة على باشا ماهر.

فى الأيام الأولى طلب رئيس الحكومة من د.الحفناوى العودة لمتابعة ملف قناة السويس وعرض عليه الانضمام إلى تشكيلة الحكومة كوزير دولة متفرغ لهذا الملف.

وفى نهاية شهر أغسطس 1952 (أى بعد قيام الثورة بثلاثة أسابيع) طلب جمال عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة مقابلة د.الحفناوى ليحدثهم عن تفاصيل ملف قناة السويس.

فقابلهم لعدة ليال متتالية فى هذا الشأن.

عند انتهاء اللقاءات، قال جمال عبدالناصر للدكتور الحفناوى:

«سنركز كل جهودنا لإجلاء البريطانيين أولاً عن قاعدة قناة السويس، وبعدها أعدك بتأميم القناة».

وبالفعل خرج آخر جندى بريطانى فى 18 يونيو 1956، وفى 26 يوليو 1956 (لاحظ التاريخ) أعلن جمال عبد الناصر من ميدان المنشية بالإسكندرية تأميم شركة قناة السويس واسترداد مصر لها للأبد.

من ذكريات حرب الاستنزاف

قليلون هم من كتبوا عن حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل والتى بدأت بعد هزيمة يونيو 67 بفترة وجيزة واستمرت حتى يوليو ٧٠ بقبول مصر مبادرة وزير الخارجية الأمريكى الأسبق ويليام روجرز وتم بمقتضاها وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل.

سفير محمد عباس

ولقد كان طبيعياً أن تستحوذ حرب أكتوبر 73 على اهتمام المحللين والمراقبين على ضوء ما أحدثته من تحول إستراتيجى ضخم عسكرياً وسياسياً وخارجياً على الصعيدين العربى والإقليمى، فى الوقت الذى لم تنل فيه حرب الاستنزاف ما تستحقه من اهتمام ودراسة وتحليل باعتبارها الحرب التى مهدت لحرب أكتوبر وهيأت الظروف المناسبة لنجاحها، حيث شهدت حرب الاستنزاف العديد من بطولات رجال قواتنا المسلحة فى أصعب الظروف التى مرت بها مصر وقواتها المسلحة.

ولذلك أجد من واجبى إلقاء الضوء على بعض جوانب حرب الاستنزاف التى عشتها كضابط صف بإحدى وحدات الجيش الثالث الميدانى والتى كانت متمركزة بمنطقة الشط وجنوب البحيرات المرة شمال مدينة السويس.

ولا بد من التنويه بتوجه مصر بعد هزيمة 67 إلى ضرورة الارتقاء بمستوى المقاتل المصرى من خلال تجنيد حملة المؤهلات العليا على نطاق واسع ابتداء من يناير عام 68 حيث كنت واحداً ممن تم تجنيدهم آنذاك، بعد مرور أقل من عام ونصف على التخرج من كلية الاقتصاد، حيث التقيت فى القوات المسلحة بالعشرات وربما أكثر من زملاء الدراسة بالجامعة، كما تم تجنيد أعداد من حملة الماجستير والدكتوراة فى إشارة واضحة إلى أن الدولة تعتبر تطوير كفاءة مقاتليها على رأس أولوياتها ضمن خطة التحضير لحرب تحرير سيناء.

ولقد شهدت حرب الاستنزاف العديد من بطولات رجال قواتنا المسلحة والمعارك المهمة منها معركة رأس العش فى يوليو 67 ثم تمكن لنش صواريخ مصرى من إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات فى أكتوبر من نفس العام.

ولا أنسى يوم 9 مارس 1969 الذى اشتعلت فيه جبهة القتال عبر قناة السويس بالمدفعية والدبابات، واستشهد فيه الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية خلال وجوده بأحد المواقع المقدمة على الجبهة. وقررت مصر بحق اعتبار هذا اليوم يوم الشهيد والذى يتم الاحتفال به سنوياً.

ومن الذكريات التاريخية خلال حرب الاستنزاف قيام الجيش الإسرائيلى بوضع شبكة من خراطيم توصيل النابالم على الجانب الشرقى لقناة السويس فوق سطح المياه وتم تجريب هذه الشبكة بالفعل أمام أعيننا بهدف إرهاب المقاتل المصرى، ولكن ذكاء وحسن تصرف المصريين أبطل مفعول هذه الخطوة الجهنمية من خلال إتلاف هذه الشبكة قبل عبور قواتنا المسلحة على النحو الذى يعرفه كل من تابع ودرس ملحمة العبور المصرية العظيمة لقناة السويس.

لقد كان المقاتل المصرى يحارب فى حرب الاستنزاف وسط ظروف بالغة الصعوبة ويكفى أن أشير كمثال إلى تسليح فصيلة المدفعية المضادة للطائرات والتى كنت مسئولاً عنها حيث لاحظت أن المدافع صناعة عام 1940 أو 1941 للتعامل مع الطائرات المعادية التى لا تزيد سرعتها عن 500 كم فى الساعة بينما كانت الطائرات الإسرائيلية من نوع فانتوم أو سكاى هوك وغيرها والتى تتجاوز سرعتها سرعة الصوت !!!

ولم تكن حرب الاستنزاف هى الأولوية الوحيدة أمام المقاتل المصرى آنذاك، بل كان التدريب وبصفة خاصة على عبور ممر مائى مماثل لقناة السويس فى مقدمة اهتمامات مصر للتحضير لعبور القناة. وقد أتيحت لى المشاركة عام 1969 فى إحدى المناورات التدريبية لعبور الرياح الناصرى المتفرع من نهر النيل فى منطقه برقاش شمال الجيزة ورأيت الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وبصحبته عدداً من كبار الضباط خلال هذه المناورة وهم يتنقلون بين الوحدات المشاركة فيها للوقوف على مدى جاهزيتها القتالية وتحقيق المشروع التدريبى لأهدافه.

وأخيراً وليس آخراً لا تفوتنى الإشادة بكل الإعجاب بما قامت به قوات الدفاع الجوى المصرية بإسقاط عدد من الطائرات الإسرائيلية خلال أسبوع واحد قبل دخول مبادرة روجرز لوقف إطلاق النار حيز التنفيذ فيما أصبح معروفاً إعلامياً آنذاك بأسبوع تساقط الطائرات.

تحية لرجال قواتنا المسلحة على الدور البطولى الذى قاموا به لتحرير سيناء فى أصعب الظروف وأدقها وخاصة نقص الإمكانيات، وتحية أخرى على الدور الذى تقوم به قواتنا المسلحة حالياً فى دحر الإرهاب وتحرير سيناء منه لتكون جزءاً عزيزاً من التراب الوطنى ضمن منظومة التنمية الشاملة فى البلاد.

قناة السويس... الزعيم وملحمة التأميم

«تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية»

كلمات رنت فى أذن التاريخ، وجهها الزعيم جمال عبدالناصر من ميدان المنشية بالإسكندرية إلى جموع شعبه وهو يخطب وسطهم بكل عزة وقوة، كلمات هزت كل العالم من حوله .

د.هشام عبدالملك

Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

أعلن من خلال مفرداتها المتوهجة تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية كشركة مساهمة مصرية، متحملاً مسئولية القرار فى شجاعة، وهو القرار الذى سجله التاريخ كواحد من أهم قرارات السيادة والاستقلال الوطنى فى تاريخ مصر، وكان بمثابة نقطة تحول فى تاريخ العالم وعلى مستوى الوطن العربى، فهو كان بمثابة الشرارة الأولى فى تحدى ثورة الثالث والعشرين من يوليو للإمبراطوريات الاستعمارية، خاصة البريطانية والفرنسية، فى وقت كانت تسيطر فيه هذه الإمبراطوريات على معظم الدول الإفريقية والآسيوية.

يُمسك المفكر جمال حمدان بهذه اللقطة التاريخية، ويشير إلى قناة السويس باعتبارها نبض مصر، مضيفاً بأن قناة السويس غيّرت خريطة العالم اقتصادياً وسياسياً، وأثرت فى مجريات الحياة الاجتماعية والثقافية فى أرض الكنانة معبرة عن مصطلح «جغرافيا الحياة» الذى عرّفه جمال حمدان، وكما جاء على لسان كتابه «شخصية مصر: عبقرية الزمان والمكان»، بأنه «علم بمادتها، وفن بمعالجتها، وفلسفة بنظراتها، وهذه الرؤية ثلاثية الأبعاد فى التعاطى مع الظاهرة الجغرافية تنقل عالم الجغرافيا من مرحلة المعرفة إلى مرحلة التفكير، ومن جغرافية الحقائق المرصوصة إلى جغرافية الأفكار الرفيعة».

وقد ساهم الموقع الجغرافى المميز لمصر بتأكيد هذا المصطلح فى مراحل عديدة من تاريخها، ويبرز ذلك جلياً فى تدشين قناة السويس التى سهلت حركة التجارة العالمية وانعكاس ذلك على تطورات أخرى فى مجال المعرفة والصناعة وزيادة الأطماع الاستعمارية بالمنطقة فى العديد من الأوقات، وكان العدوان الثلاثى عام 1956 خير شاهد على ذلك.

وترجع فكرة تدشين قناة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر إلى أقدم العصور، هذه الفكرة التى كانت تراود الجميع، فتقفز تارة إلى السطح، وتارة أخرى تعود إلى قاع النسيان بسبب الأحداث أو عجز الإمكانيات أو سوء التقديرات والدراسات، وظلت أوراق وأفكار مشروع القناة تتقلب مع تقلب السنين، ورغم انتشار الفكرة لدى جهات عديدة حول إمكانية شق القناة إلا أن المهندس فرديناند ديليسبس هو الذى نجح فى إقناع الحكومة المصرية بفكرة إنشاء القناة، وأشار على الخديو سعيد بأن القناة سوف تعود على مصر بالخير.

ها هى أول ضربة فأس فى عام 1859 يحطم بها المصريون صخور السويس لحفر القناة، واستمر عملهم الشاق حتى عام 1869، وعلى مدى عشر سنوات اقترن عملهم تحت سطوة السُخرة بأغانى العمل ومواويل الصبر، «هيلا هيلا... صلى على النبي»، «هيلا هيلا... الهمة يا رجالة»، إنهم لا يتوقفون عن الغناء وقت الانتصار أو الانكسار، وبعد هذه السنوات الطويلة يتحقق حلمهم بحفر القناة وقد بلغ عددهم خلال هذه السنوات ما يقرب من مليون مصرى، ويلتفتون إلى الوراء بعد هذه السنوات وهم يشاهدون أكثر من مائة وعشرين ألفاً منهم وقد طواهم الموت بعد أن أنهكهم الجوع والعطش والأوبئة والمعاملة السيئة.

ولكن لم يكتمل الحلم لأن الأطماع الاستعمارية كانت تحت رماد الاستغلال، فقد احتكرت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية امتياز القناة وسيطرت على مواردها منذ حفرها، وظلت الحقوق المصرية مسلوبة منذ فرمانى الامتياز الأول والثانى مروراً بفقدان مصر لأسهمها بعد أن قام رئيس الوزراء البريطانى بنيامين دزرائيلى فى الخامس عشر من فبراير من عام 1875 بشرائها بثمن بخس يقدر بأربعة ملايين جنيه إسترلينى، كما لم يكن لمصر دور يذكر فى الإدارة، ولم تحصل إلا على مبالغ ضئيلة من إيرادات القناة التى بلغت أربعة وثلاثين مليون جنيه إسترلينى عام 1955، فقد كانت حصة مصر آنذاك مليوناً واحداً، وقد حرصت مصر، وهى تسترد هذا الحق فيما بعد على يد الزعيم جمال عبدالناصر، على المحافظة على المواثيق الدولية وكل الاتفاقيات الخاصة بحرية الملاحة فى القناة متشحة برقيها الحضارى والإنسانى.

كان من الصعب أن يقبل التاريخ بهذا الظلم الواقع على مصر والمصريين، ولذلك عندما تحرك التاريخ باتجاه ثورة

يوليو واحتضنها ودعمها، سعت الثورة منذ خطواتها الأولى إلى وضع أهداف أمام عينيها تدور جميعها فى فلك التغيير، وكان بناء السد العالى هو أحد أوجه هذا التغيير، ذلك المشروع الذى أنقذ مصر ومازال، من موجات عطش كبرى، وساهم فى توفير الطاقة اللازمة لتشغيل آلاف المصانع، وإنارة القرى وتنظيم مناوبات الرى، لذلك كانت الدراسات التى انتهت إليها حكومة الثورة تقدر تكلفة بناء السد العالى بنحو أربعمائة وستين مليون جنيه، وكانت مصر بحاجة ماسة إلى تدبير نحو مائة وستة وثلاثين مليون جنيه، يمكن سدادها على فترات تتراوح بين اثنى عشر وستة عشر عاماً، وهو ما دفع الحكومة لإجراء اتصالات بالبنك الدولى وطلبت منه الإسهام فى تنفيذ المشروع، لكن الأخير اشترط لتقديم المعونة شروطاً اعتبرتها مصر ماسة بسيادتها وتمثل تدخلاً سافراً فى شئونها المالية، منها أن تخضع المصروفات العامة للدولة المصرية لإشراف البنك، فلا تعقد الحكومة ديوناً خارجية ولا تبرم اتفاقات ما لم تحصل أولاً على موافقة البنك الدولى، وأن تخضع إدارة مشروع السد لإشراف البنك الدولى والحكومة المصرية مناصفة، وكانت هذه الشروط تمثل فى نظر كثير من الخبراء عودة لنظام المراقبة المالية الثنائية الذى عانته مصر قبل الثورة، وبعثاً جديداً لما كان يعرف وقتها بصندوق الدين.

ولم تكن شروط الولايات المتحدة وبريطانيا أفضل حالاً من شروط البنك الدولى التى كانت تسعى هى الأخرى إلى فرض شروط سياسية واقتصادية تأنفها الروح المصرية، حيث اشترطت ألا ترتبط مصر بأى قروض أجنبية أخرى طوال فترة تنفيذ المشروع، ويبدو أن الولايات المتحدة عندما وافقت على الاشتراك فى تمويل السد العالى كان فى ذهنها أن يؤدى ذلك إلى تسوية بين مصر وإسرائيل، وإلى تغيير مصر لسياستها تجاه الكتلة الاشتراكية بحيث توقف استيراد السلاح منها، ولذلك عندما اصطدمت الكرامة المصرية بالأطماع الاستعمارية، وكلاهما لا يجتمعان على أرض مصر الطيبة الطاهرة، بدأت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، من خلال وجوههم الاستعمارية القبيحة، تتراجعان عن تمويل مشروع السد العالى، وهكذا، وفى التاسع عشر من يوليو من عام 1956 صدر بيان عن الخارجية الأمريكية يعلن سحب الولايات المتحدة عرضها لتمويل السد العالى بدعوى أنه مشروع بالغ الضخامة، وأنه لا يرتبط بحقوق مصر ومصالحها وحدها فى مياه النيل، بل يؤثر كذلك فى حقوق ومصالح بلاد أخرى تساهم فى مياه النيل، وأمعن البيان فى إهانة مصر بالتشكيك فى اقتصادها وفى قدرتها على تنفيذ هذا المشروع الإنشائى الضخم، وفى اليوم التالى تحرك التابع البريطانى، وكما يخبرنا التاريخ فى مواقف دولية متعددة، بسحب عرض التمويل متذرعاً بالأسباب ذاتها، وفى الثالث والعشرين من يوليو سحب البنك الدولى بدوره العرض المقدم منه للمساهمة فى بناء السد العالى، وبمقتضى سياق الحوادث كان رفض التمويل نقطة فاصلة لكنه يأخذ معناه من مشروع التحرر الوطنى نفسه، ومن الشعور بالكبرياء الوطنى والقدرة على الدفاع عن الحقوق الوطنية بلا وجل، فقد كانت هذه القوى الاستعمارية تسعى لإفشال النموذج التحررى المصرى الذى بدأ يؤثر فى محيطه العربى، ولمحاولات تقييد سيادة مصر الوطنية وحقها فى بناء سياسة خارجية متوازنة بين الكتلتين الغربية والشرقية، ولرفض مصر التسوية السياسية المنفردة مع إسرائيل، وبالتالى كان سحب تمويل مشروع السد العالى هو الظرف الذى هيأ للزعيم جمال عبدالناصر اتخاذ قرار تأميم قناة السويس الذى كان يفكر فيه، ويزن تبعاته، ويُعد له الدراسات المستفيضة منذ عام 1954، وبمعنى آخر فإن السياسة الوطنية المستقلة التى رسمها الزعيم جمال عبدالناصر كانت ستنتهى حتماً إلى استرداد مصر لامتياز قناة السويس، كما كان سحب عرض تمويل مشروع السد العالى ضمن تداعياتها الطبيعية، لما للمشروع من آثار كبرى على مستقبل الاقتصاد المصرى.

وإذا كانت صفحات التاريخ تبوح بأن الزعيم محمد فريد هو أول من نادى بتأميم قناة السويس فى أثناء نظر مد فترة امتيازات القناة فى الجمعية العمومية «البرلمان» عام 1910، وكتب عدة مقالات فند فيها أضرار المد المالية والسياسية، وطالب فيها باسترداد الشركة فى مقابل تعويض مالى يتم دفعه للشركة، فإن صفحات التاريخ أيضاً تسجل بأن قضية استعادة السيطرة المصرية على قناة السويس بعد قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو كانت من ضمن أولويات قادتها، ولأن نبض الوطنية المصرية تتوارثه الأجيال فقد تأثر الضباط الأحرار بفكر الحركة الوطنية المصرية الذى يربط بين استقلال مصر وسيطرتها على قناة السويس، كما ارتبطت القناة فى تفكير الضباط الأحرار بالاحتلال الأجنبى، ولذلك نشروا عام 1953 مذكرة إستراتيجية يعلنون فيها أن مصر على أتم استعداد للدفاع عن القناة، وفى عام 1954 أنشأ جمال عبدالناصر إدارة التعبئة العامة، وطلب منها أن تقوم بدراسة حول قناة السويس وإدارتها والعاملين فيها، كما أنشأ جمال عبدالناصر مكتب قناة السويس كجهاز تابع لمجلس الوزراء مهمته إعداد الدراسات عن قناة السويس، وفى السابع عشر من نوفمبر من عام 1954، الذى وافق الذكرى الخامسة والثمانين لافتتاح القناة، عبّر جمال عبدالناصر عن رؤيته لدور قناة السويس فى التاريخ المصرى من خلال رسالة وجهها إلى الشعب، أوضح فيها أن حفر القناة أدى إلى احتلال مصر، وربط بوضوح بين استكمال استقلال مصر واستعادة مصر للقناة، قائلاً «إن من يستعرض الأحداث التى عاصرت إنشاء قناة السويس، وتلك التى تلت هذا الإنشاء، لايفوته أن يدرك ما كان للقناة من أثر خطير فى تاريخ بلادنا جعلت منه تأريخاً حافلاً بالعبر مليئاً بالذكريات، ألم تدفع مصر فى هذه الطريق العالمية للملاحة ثمناً غالياً؟ ألم تُهدر حقوقها فى تلك الفترة من تاريخها؟ ألم تكن القناة من الأسباب الرئيسية التى دفعت بالاستعمار إلى احتلال بلادنا بعد أن بيعت أسهم مصر فيها بأبخس الأثمان؟ ألم يتخذ الاستعمار من القناة ذريعة يسوغ بها بقاء الاحتلال، ومن الدفاع عنها سبباً لربط مصر بعجلته؟ ذلك عهد سجلنا نهايته وانقضاءه بحمد الله باتفاق الجلاء، لقد كانت مصر للقناة، وذلك هو الماضى، ولم تعد مصر للقناة، وذلك هو الحاضر، وسوف تكون القناة لمصر، وذلك هو المستقبل».

ولم تكن سرقة أموال المصريين ونهبها على بشاعتها هى وحدها الجريمة التى اقترفتها شركة القناة ضد مصر وشعبها، ففى البداية كانت الشركة ورئيسها الأول فرديناند ديليسبس هى من قدمت العون للحملة الإنجليزية، ومكّنت بالخديعة القوات البريطانية من القضاء على ثورة الزعيم أحمد عرابى وجيشه لتحتل بذلك الوطن بأكمله، بل وامتدت جرائم شركة القناة من خلال ممارساتها الثابتة أيضاً ضد المصريين على أرض القناة والتى كانت بالغة السوء، إذ عمدت الشركة إلى عدم توظيف المصريين إلا فى أضيق الحدود، وغالباً ما كان يتم استخدامهم فى أدنى الوظائف، وحتى القلة القليلة من القباطنة والمتعلمين الذين قبلت الشركة تعيينهم كانت تفرّق فى تعاملاتها بينهم وبين نظرائهم من الأجانب، وكذلك فى مدن القناة الثلاث عزلت الشركة نفسها عن المصريين، وتمثّل ذلك فى مظاهر متعددة.

وبالطبع لم تكن الصورة السابقة غائبة أبداً عن ذهن الزعيم جمال عبدالناصر، وما يتجاوزها أيضاً أن كل التقارير التى كانت تصله عبر استطلاعات أجهزة الأمن الوليدة التى تشكلت فى أعقاب قيام الثورة وما كان يصلها من معلومات من داخل الشركة نفسها كانت تؤكد أن الشركة تحولت إلى محفل للجواسيس الغربيين على مصر وثورتها، وأنها عمدت ومنذ اليوم الأول للثورة إلى إهمال المرفق الملاحى ووحدات القطر والإنقاذ التى كانت قد بدأت فعلياً فى التلف، كما قلصت من الميزانيات الخاصة بتطوير وتحديث المجرى بما يواكب التطور الحادث فى أساطيل النقل البحرى العالمى، وكان غرضها ألا تجد الحكومة المصرية مفراً عند حلول تاريخ انتهاء عقد امتياز

قناة السويس...الزعيم وملحمة التأميم

قناة السويس فى عام 1968 من تمديد فترة الامتياز مع الشركة، وهو الهدف الذى طالما سعت إليه بريطانيا وحلفاؤها منذ استيلائها على القناة، والذى عجزت عن تحقيقه فى عام 1910 فى أثناء نظر مد فترة امتيازات القناة فى الجمعية العمومية.

هكذا علم الزعيم جمال عبدالناصر بخطة تعجيز الدولة المصرية عن استلام وإدارة القناة التى ستكون قد خربت تماماً إذا هو انتظر حلول نهاية فترة الامتياز الرسمية، فضلاً عن أن وجود هذه الشركة وممارساتها ضد مصر وشعبها يعد انتقاصاً من استقلال البلاد واستمراراً لنهب ثرواتها فأضمر النية على استعادة القناة، ومنذ اليوم الأول لنجاح الثورة كان ينتظر الوقت المناسب الذى حان عند جلاء القوات البريطانية فى الثامن عشر من يونيو من عام 1956 لأن المنطق كان يقول إن تنفيذ التأميم فى وجود هذه القوات البريطانية سينتهى إلى فشل محتّم، كما تهيأت الظروف بسحب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى تمويل مشروع السد العالى.

وإذا كان التاريخ المصرى ووجدان هذه الأمة يحتفظ ليوم الثالث والعشرين من يوليو من عام 1952 بذكرى الثورة المجيدة التى غيرت مع نهار هذا اليوم البعيد وجه الحياة على أرضنا المباركة، فإن النجاح الحقيقى والتتمة الفعلية لهذه الثورة والتأسيس العملى لجمهوريتنا الأولى كان من نصيب يوم آخر تلى هذا التاريخ بأربع سنوات كاملة وأيام ثلاثة، فها هى اللحظة التاريخية، وها هو المشهد قبل خطاب الزعيم جمال عبدالناصر فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية، الآلاف يحتشدون لسماع خطابه، ولم يكن هؤلاء المجتمعون فى الميدان ولا حتى ملايين المصريين الملتفين لسماع الخطاب عبر الإذاعات فى أنحاء الجمهورية هم وحدهم من يشخصون الأسماع انتظاراً لما سيقوله الزعيم جمال عبدالناصر، وإنما كان هناك المئات أيضاً من قادة الغرب وأجهزة مخابراتهم يرهفون السمع انتظاراً لما سيعلنه ناصر، والعالم كله يترقب ماذا يعنى بكلمته «موتوا بغيظكم» التى وجهها قبل يومين إلى الولايات المتحدة رداً على قرارها بسحب تمويلها لمشروع السد العالى، ومتوعداً إياها بسبب بيانها التحريضى.

ها هى الساعة تشير إلى الثامنة والنصف من مساء يوم السادس والعشرين من يوليو ليبدأ الزعيم جمال عبدالناصر خطابه التاريخى الذى استغرق ثلاث ساعات، وتحدث فيه عن العديد من القضايا والأمور، وشمل شرحاً وافياً لقصة مصر مع القناة منذ أن جاء ديليسبس إلى مصر وعرض فكرة حفر القناة على الخديو سعيد، مروراً بحفرها بسواعد المصريين الفقراء، مكرراً فى خطابه الحديث عن المائة والعشرين ألف مصرى الذين ماتوا فى أثناء حفر القناة، كما تضمن تفاصيل لكيفية سيطرة فرنسا وبريطانيا عليها، واحتوى خطابه التأكيد على بناء السد العالى، قائلاً «التاريخ لن يعيد نفسه، بل بالعكس هنبنى السد العالى، وسنحصل على حقوقنا المغتصبة، هنبنى السد العالى زى ما إحنا عايزين، هنصمم على ده»، وأخذ الزعيم جمال عبدالناصر يركز فى خطابه على كلمة ديليسبس التى كررها سبع عشرة مرة، وبلا ضرورة فى بعض الأحيان، ولم ينتبه الجميع لهذا التكرار، لكنها كانت تعنى الكثير عند البعض، فقد كانت كلمة السر المتفق عليها لبدء تنفيذ رجال مصر الأوفياء عملية التأميم فور نطق الزعيم جمال عبدالناصر بها، والذى خشى من أن تفلت كلمة السر من أسماع المجموعة المكلفة بعملية التأميم، فأخذ يكرر اسم «ديليسبس» أكثر من مرة ليتأكد من أن فريق التأميم قد تلقى الإشارة المتفق عليها.

وما زالت العيون والآذان تتعانق مع صوت الزعيم خلال خطابه ليأتى إعلان التأميم الذى مازال التاريخ يسجله بأحرف من نور، وخفقت له قلوب المصريين والعرب وجميع الأحرار فى العالم:

مادة ١: تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية، وينتقل إلى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات.

مادة ٢: يتولى إدارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية، وتلحق بوزارة التجارة، ويكون للهيئة ميزانية مستقلة، ويمثل الهيئة رئيسها أمام الهيئات القضائية والحكومية وغيرها، وينوب عنها فى معاملاتها مع الغير.

مادة ٣: تجمد أموال الشركة المؤممة وحقوقها فى جمهورية مصر وفى الخارج، ويحظر على البنوك والهيئات والأفراد التصرف فى تلك الأموال بأى وجه من الوجوه.

مادة ٤: تحتفظ الهيئة بجميع موظفى الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين، ولا يجوز لأى منهم ترك عمله أو التخلى عنه بأى وجه من الوجوه، أو لأى سبب من الأسباب.

مادة ٥: كل مخالفة لأحكام المادة الثالثة يعاقب مرتكبها بالسجن والغرامة، وكل مخالفة لأحكام المادة الرابعة يعاقب مرتكبها بالسجن.

مادة ٦: ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية، ويكون له قوة القانون، ويعمل به من تاريخ نشره، ولوزير التجارة إصدار القرارات اللازمة لتنفيذه.

ولا شك أن التحرك الميدانى لتأميم قناة السويس له قصة تستحق أن تُروى، إنها قصة للنجاح سطرها رجال مصر، وعكست عظمة الإنسان المصرى، حيث بدأت التحركات لتأميم قناة السويس قبل إعلان قرار التأميم بيومين، عندما كلف الزعيم جمال عبدالناصر المهندس محمود يونس رئيس الهيئة العامة للبترول والمهندس محمد عزت عادل والمهندس مشهور أحمد مشهور والمهندس عبدالحميد أبوبكر بإعداد خطة التأميم فى غضون ثمان وأربعين ساعة فقط، وعهد الزعيم جمال عبدالناصر إلى محمود يونس بالبدء فوراً فى مهمة اختيار المجموعة التى ستتولى تنفيذ المهمة تحت قيادته، على أن يكون الاختيار من بين الأفراد الموثوق فيهم، ومن ذوى الخبرة والكفاءة، وكلفه أيضاً بإعداد خطة عملية لتنفيذ التأميم والمحافظة على السرية التامة.

ويقول المهندس مشهور أحمد مشهور أحد أوائل رجال مصر فى القناة المؤممة، وثالث من تولى رئاستها مسجلاً شهادته للتاريخ «إن عملية التأميم كانت بالغة السرية، فلم يعرف بها قبل إعلان القرار سوى الرئيس جمال عبدالناصر وعدد محدود ممن تم تكليفهم بدراسة الأمر والإعداد لإدارة القناة بعد تأميمها حتى إن بعض من شاركوا فى العملية ممن أُسندت لهم مهام استلام مقار الشركة فى مدن القناة الثلاث لم يعلموا شيئاً عن حقيقة المهمة التى كلفوا بها، وإنما توجهوا لمواقع التمركزات التى تجمعوا فيها لسماع خطاب الرئيس من دون معرفة مسبقة بأنهم سيشاركون فى التحفظ على مقار الشركة التى كان الرئيس سيعلن تأميمها فى خطابه، وأكد أنه فقط عقب ترديد الرئيس فى خطابه اسم ديليسبس علم الجميع بما هم مقدمون عليه وتوجهت الفرق المكلفة بالعملية للسيطرة على مكاتب شركة قناة السويس فى بورسعيد والسويس والإسماعيلية ومكتبها الإدارى فى جاردن سيتى فى عملية خاطفة اتسمت بالهدوء»، إنهم رجال قاموا بإعلاء صالح الوطن فوق كل شيء.

لقد كان العالم كله يعرف سلامة موقف مصر من الناحية القانونية، وأن أية محاولة لعرض الأمر على المحاكم ستؤيد حق مصر فى اتخاذ ما تراه من قرارات بشأن شركة مساهمة مصرية، وهو التوصيف القانونى لشركة قناة السويس منذ تأسيسها، فلم تكن شركة عالمية، وإنما أطلقت عليها تلك الصفة نظراً لتعدد جنسيات المساهمين فيها، وهذه التسمية ما هى إلا علامة تجارية لا علاقة للقانون الدولى بها، إضافة إلى أن الزعيم جمال عبدالناصر ألزم مصر بكل ما على الشركة من واجبات تجاه مساهميها، وبالتالى تمكن من سحب البساط من تحت أرجل القوى الاستعمارية، ولذا كان الاتجاه الأصيل لدى هذه القوى الاستعمارية، ومنذ اللحظة الأولى لإعلان التأميم، هو ضرب

مصر وتجربتها التحررية التى إن تُركت ستصير نموذجاً للدول التى كانت تحت الاستعمار آنذاك.

ولقد أثبتت يوميات أزمة تأميم قناة السويس أن مصر دائماً ما تبهر التاريخ وتأتى بحلول للأزمات، وتجعله يسطر بفخر مظاهر عبقريتها وعبقرية أبنائها، الذين لم يخلصوا يوماً لأحد سوى الله ثم وطنهم مصر، فقد كانت كل الحسابات والتقديرات وجميع المعايير تقول إن مصر لن تفشل فقط، وإنما سيعاد احتلالها مرة أخرى وإن أمامها عشرات السنين، إن لم تكن المئات ليعاد بناؤها مرة أخرى من جراء إقدامها على تلك المخاطرة، وأيضاً بمقاييس إدارة الأزمات كان التفكير فى الإقدام على خوض هذه المعركة شيئاً من الجنون، يُسقط أقوى الإمبراطوريات، وليست دولة حديثة الاستقلال مثل مصر التى خرج من أراضيها آخر جندى بريطانى فى الثامن عشر من يونيو من عام 1956، ثم تقوم حكومتها بعد أسابيع قليلة بتأميم أهم مرفق بحرى عالمى وتجعل إدارته وطنية خالصة، فقد كان التحدى والمخاطرة فى أقصى درجاتهما، ويزج بصاحب الفكرة فى أظلم مكان على وجه الأرض، وفى أسوأ صفحات التاريخ أيضاً إذا فشل فى المعركة، كما تعود بعض أسباب شبه الاستحالة إلى الذاكرة القريبة من مطلع الخمسينيات فيما جرى للزعيم الإيرانى محمد مصدق بعد تأميم البترول فى بلاده، وقد كان الزعيم جمال عبدالناصر مدركاً للمخاطر التى تعترض مستقبله وحياته، لكنه قبل خوضها لاكتساب الاستقلال الوطنى الذى هو عنده شرعية حكمه ومعنى يوليو نفسها، ودعمها بكل قوة الشعب المصرى الذى تجلت عبقريته خلال هذه الأزمة، ولذلك لم تنبع خطورة قرار التأميم من توقيت اتخاذه فقط، وإنما من الصمود فى تحمل ومواجهة ردود أفعاله.

وإذا كان هناك من يعتقد أن استقلال القرار الوطنى يُمنح ولا يُنتزع فهو واهم، فلكل استقلال تكاليفه وتضحياته ومعاركه، كما أن الكلام عن استعادة قناة السويس دون تأميم أو قتال هو أقرب إلى الخيال، وإذا كان هناك من يعتقد أن مصر كان يمكنها تجنب العدوان إن لم يقدم الزعيم جمال عبدالناصر على قرار التأميم، فإن الرد الذى تعلمناه من التاريخ أن مصر لم يكن مسموحاً لها بأن تتطلع لاكتساب قرارها الوطنى بالتأميم أو بغير التأميم، ولذلك قالها الزعيم جمال عبدالناصر مدوية خلال خطاب التأميم «إن مصر اليوم تعرف معنى الاستقلال، إن مصر اليوم تعرف معنى السيادة ولن تسمح لأية دولة أو عصابة بأن تبدد سيادتها، لقد عرفنا معنى الاستقلال، ومعنى السيادة، وسوف نمارس استقلالنا، وسوف نمارس سيادتنا بالكامل، وهناك فارق كبير بين الأمس واليوم، وإننى أطالب كل من سببوا الكوارث فى كل مكان أن يدركوا ذلك»، ولكن هيهات هيهات، فشهوة الاستعمار لم تستوعب هذا الكلام، وأبت إلا أن تستمر فى غيها، وبدأت المؤامرة الغربية تتفاعل، ونذر العدوان الثلاثى تتصاعد من خلال سلسلة من الإجراءات التى اتخذتها إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، ففى السابع والعشرين من يوليو أعلنت بريطانيا وفرنسا أنهما ترفضان الاعتراف بقرار التأميم، وأنهما ستتخذان التدابير اللازمة لسلامة رعاياهما وحماية مصالحهما، كما قررت الدول الثلاث تجميد أرصدة مصر من الإسترليني،التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت نحو مائة وعشرين مليون جنيه، ورفضت الولايات المتحدة الأمريكية الطلبات المصرية لتغطية احتياجاتها من القمح، والتى كانت تقدر بنحو ستمائة ألف طن سنوياً.

واستمرت حلقات المؤامرة، حيث اجتمع وزراء خارجية الدول الثلاث فى لندن فى أغسطس من عام 1956، وأصدروا بياناً عارضوا فيه قرار التأميم، وقالوا إن القناة كانت لها دائماً صفة دولية، وأنه يجب لهذا الغرض ضمان صفتها الدولية بصفة مستديمة، واقترحوا عقد مؤتمر دولى للدول الموقعة على معاهدة القسطنطينية والدول الأخرى، وفى الوقت ذاته قامت حكومتا بريطانيا وفرنسا بعدد من الإجراءات العسكرية، مثل دعوة الاحتياط، وتحركت قواتهما إلى شرقى البحر المتوسط، وبالطبع رفضت مصر حضور مؤتمر لندن، واعتبرته القاهرة تدخلاً فى شئونها الداخلية، وأبدى الاتحاد السوفيتى تأييداً كاملاً للموقف المصرى خاصة بعد تعهد مصر باحترام حرية الملاحة فى القناة، وبدفع تعويض لحملة الأسهم.

ولم تتوقف المحاولات الاستعمارية لإحراج مصر أمام العالم، ففى الثالث عشر من سبتمبر قررت بريطانيا وفرنسا سحب مرشديها من العمل فى شركة القناة لكى يتعطل سير الملاحة ويكون ذلك مبرراً لبداية الغزو العسكرى، فكانت المفاجأة أن سير الملاحة فى القناة لم يتوقف، فبحلول ليلة الرابع عشر من سبتمبر أعلن ثلاثمائة وستة وستون موظفاً فنياً ومائة وخمسة وخمسون مرشداً امتناعهم عن العمل ورغبتهم فى الاستقالة، وكانت المفاجأة من نصيبهم عندما قبلت مصر استقالاتهم جميعاً، وهكذا لم يتبقّ من المرشدين القدامى سوى اثنين وخمسين مرشداً، ومن الفنيين والعمال نحو أربعمائة وستين، وكان هؤلاء جميعهم من المصريين واليونانيين الذين رفضوا الاشتراك فى المؤامرة على مصر، ومع الساعات الأولى لليوم التالى الخامس عشر من سبتمبر كانت الإدارة المصرية للمرفق على موعد مع أول اختبار حقيقى لقدرتها، إذ توافد على مدخل القناة خمسون سفينة، وهو عدد لم يكن مسبوقاً لعبور السفن فى يوم واحد، وكانت أغلبها ترفع أعلام فرنسا وبريطانيا، وخذلهم الله وخذلتهم نوايا الرجال، حيث تمكن العدد القليل من المرشدين المصريين واليونانيين من إرشاد كل السفن وفى توقيتات قياسية أذهلت خبراء الملاحة حول العالم، وهكذا اجتازت الإدارة المصرية للقناة المؤامرة وأحالتها إلى نجاح.

لقد كانت مصر تتحسب لهذه المؤامرة، فمنذ إعلان قرار التأميم كان الزعيم جمال عبدالناصر يعلم تماماً بإمكانية انسحاب العاملين الأجانب من العمل بالقناة لتوريط مصر ورجال التأميم فيما اعتقدوا أنه لا قبل لهم به متمثلاً فى إدارة حركة الملاحة بالقناة، ولهذا كان التكليف الرئيسى للمهندس محمود يونس والمهندس محمد عزت عادل بالتفرغ تماماً لدراسة نظام العمل وطبيعة حركة الملاحة ومعدلات عبور السفن ومواقيت الإبحار والجداول الزمنية المحددة لقوافل عبور السفن، واتساقاً مع الدراسة السابقة تم إلحاق ثمانية وستين مرشداً مصرياً للعمل بهيئة القناة فى الأيام الأولى للتأميم، وجرت عملية تدريب مكثف لهم على إرشاد السفن لقطاعات جزئية من القناة بدلاً من النظام القديم وهو إرشاد لكامل رحلة عبور السفن فى القناة، وبهذا اكتسب كل واحد من الجدد خبرة سريعة بالإبحار فى القطاع الذى تدرب عليه من القناة، وهو مجرى ملاحى ضيق يتطلب الإبحار فيه بالنظر إلى أحجام السفن وأبعاده ومناطق المنحنيات فيه دقة ومهارة وخبرة ليست متوافرة بالنسبة للإبحار فى البحار المفتوحة، وفى هذا يقول المهندس محمد عزت عادل رئيس هيئة القناة السابق وصاحب ملحمة تطوير المجرى الملاحى فى شهادته للتاريخ «لقد بات واضحاً، ومع نهاية شهر أغسطس، أن ما ذهب إليه تفكير الرئيس جمال عبدالناصر وما توقعناه وعملنا على تلافيه منذ البداية كان صحيحاً، إذ انقطع عن العمل ومن دون أسباب ما يزيد عن خمسين مرشداً، جميعهم من الإنجليز والفرنسيين، وسرعان ما بدأت رائحة المؤامرة فى الانتشار، إذ كانت تصلنا معلومات عن اجتماعات سرية لمجموعات من المرشدين والعاملين الأجانب تدور فيها الأحاديث عن الإضراب أو الانسحاب من العمل، ولكن ما لم يكن هؤلاء يعرفونه أننا بتنا جاهزين تماماً للتعامل مع موقف ندرك كل أبعاده مسبقاً، ولم يكن أى منهم يدرى أن هذه كانت فرصة ننتظرها لنتخلص من الأجانب ولنمصر المرفق، وبذلك فشلت خطة سحب المرشدين الأجانب»، وغنى الشعب:

محلاك يا مصرى وأنت ع الدفة
والنصرة عاملة فى القنال زفة
يا أولاد بلدنا تعالوا ع الضفة
شاوروا لهم غنولهم وقولولهم
ريسنا قال ما فيش محال
راح الدخيل ... وابن البلد كفى

قناة السويس...الزعيم وملحمة التأميم

حيوا الرجال السمر فوق السفينة
حيوا اللى جاهدوا عشـــان ما يفرح وادينا
بصت لنا الدنيا وشافت عملهم
غنت بكل لسان على كل مينا
أنا قلبى فاكر لسه مين اللى جرحه
ولولا يوم النصر ما اتلم جرحه
شـــفت القنال فى أيديـــن رجال من بلادي
رفرف عليهم قلبى من كتر فرحه
حبايبنا شرق وغرب جايين بلادنا
يشاهدوا نور الحق فوق كل مادنة
ونسيمنا بالأحضان مقابل راياتهم
وقنالنا يحكى لهم حكاية جهادنا.

وارتفعـــت وتيرة المؤامـــرة من جانب القوى الاستعمارية، ففى التاسع عشر من ســـبتمبر انعقد مؤتمر لندن الثانى وقرر عرض الأزمة على الأمم المتحدة لأن الاتصال المباشر مع مصر لم ينجح، وتطورت الأحداث سريعاً وزادت شراسة المعركة الدبلوماسية التى تكتـــل فيها الغرب بقيـــادة الولايات المتحدة لمشـــاركة مصر فى حقها المشروع فى إدارة القنـــاة، وفى هـــذه المرحلة تلاقت وافترقت كثير من خطـــط ونوايا الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، وكانت المعركة فى حقيقتها معركة إرادات سياسية يحاول كل طرف فيها إمـــلاء إرادته على الطرف الآخر، إلا أن قدرة مصر على الصمود أعطى لها ثقلاً فى العملية التفاوضية، ففى الوقت الذى تقدمت فيه بريطانيا وفرنسا بشكوى إلى مجلس الأمن تقوم على أساس أن مصر استولت تعسفاً على قناة السويس وخرقت الاتفاقيات الدولية، الأمر الذى يعرض حرية الملاحة فى هذا الممر الحيوى لأخطار جسيمة، فإن مـــصر تقدمت هى الأخرى بشـــكوى مقابلـــة ضد بريطانيا وفرنســـا على أنهما يهددانها بالعدوان المســـلح لأنها مارست حقوق ســـيادتها وأممت شركـــة تجارية، وجرت المناقشات داخل مجلس الأمن عقيمة دون أن تؤدى إلى أية نتيجة، وعندما أصدر مجلس الأمن قراراً بإنشـــاء هيئة المنتفعين استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو ضد المشروع، وتمخضت الجلسات عن الاتفاق على بعض النقاط بشـــأن تسوية موضوع القناة، وهى حرية الملاحة وأن تكون القناة مفتوحة لجميع سفن الدول دون أى تمييز، واحترام سيادة مصر، وانفصال إدارة القناة عن سياســـة أية دولـــة، وأن يكون تحديد الرسوم والمصروفات وفقاً لاتفاق بين مصر والدول المنتفعة بالقناة، وتخصيص جانب عادل من الرسوم لتحسين القناة، والالتجاء إلى التحكيم فى حـــال الخلاف بين الحكومة المصرية وشركة القناة الســـابقة، ولكن فى الوقت نفسه كانت مؤامرة العدوان الثلاثى قائمة على قدم وســـاق بينما يبحث مجلس الأمن فى هذه الشـــكوى، فبريطانيا وفرنسا كانتا قد عقدتا العزم على اللجوء إلى العمل العسكرى بصرف النظر عن القرار الصادر عن مجلس الأمـــن، ورفضت مصر الكرامة والعزة الإنذار وبدأ العدوان الثلاثى رسمياً بمشاركة إسرائيل فى الحادى والثلاثين من أكتوبر من عـــام 1956، وكادت مصر أن تفقد بوصلتها فى طريقها إلى الاســـتقلال، تحطمها غارات العدوان حتى تقع راكعة فى قبضة ثلاثى الشر آنذاك، لكنها استحضرت عظمة تاريخها المجيد، وها هو الزعيم جمال عبدالناصر يتوجه إلى الجامع الأزهر لينال شرعية القائد المقاتـــل التى لم تمنح لقائد مصرى عبر التاريخ إلا من الجامع نفســـه، ويخطـــب الزعيم فى جموع الشـــعب «لقد أعلنت باســـمكم بالأمس أننا سنقاتل، ولن نستسلم، ولن نعيش عيشة ذليلة مهما كلفنا الأمر، ومهما استمروا فى خطتهم العدوانية».

ووقف الشـــعب المصرى على قلب رجل واحد يصد العدوان، هذا الشعب الذى وجه إليه الزعيـــم جمال عبدالناصر كلامه خلال خطـــاب التأميم بالقول «إن شـــعب مصر اليوم يد واحدة، وقلـــب واحد، وأمل واحد، وهدف واحد، شـــعب مـــصر اليوم يعرف معنى الحرية ومعنى الاســـتقلال ومعنى الســـيادة، إن شـــعب مصر اليوم سيحمى مكتســـباته بآخر قطرة فى دمائه»، نعم فى الحرب اكتشفت مصر نفسها من جديد من خلال فواتير الدم المبذولة وشجاعة الأجيال الجديدة التى حملت السلاح لمواجهة العدوان الثلاثى، وبدت أمام «الباب المفتوح» بتعبير رواية الدكتورة لطيفة الزيات عن تلك الفترة والروح التى بثتها، فالتحقت المرأة بقوافل المتطوعين للمقاومة فى بورسعيد، واستمرت أعمال القتـــال حتى بعد صدور قرار وقف إطلاق النـــار من الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة يوم الثانى من نوفمبر، والذى توقف بالفعل صباح يوم الثامن من نوفمبر، وتحت الضغط الدولى، وفى ظل اشـــتداد المقاومة المسلحة على الأرض ضد العدوان انسحبت قوات الدول الثلاث من منطقة قناة السويس فى الثانـــى والعشريـــن من ديســـمبر من عام1956، وبقيت القوات الإسرائيلية تحتل أجزاء من سيناء حتى أجبرت على الانسحاب منها نهائياً يوم السابع من مارس من عام 1957، وإذا كان العدوان الثلاثى قد تسبب فى غلق القنـــاة إلا أن ضفاف القناة ومصر كلها خاضـــت فى ذلك الوقت معركة مجيدة تكللت ليس فقط بانتصار الثالث والعشرين من ديســـمبر من عام 1956، لكن معركة الســـويس المجيدة، كما يسميها المؤرخون، دفنت الاستعمار وعصر الاستعمار ودشنت بلا جدال عصر التحرير فى العالم وافتتحت موجة الاســـتقلال فى العالم الثالث بأسره، وهكذا اندحر العدوان، وبانتصارنا اكتووا، وفى مجاهل التاريخ وعلى أطراف الجغرافيا انزووا، وبدت مصر قـــوة إقليمية عظمى، وعاصمتها القاهـــرة، لا يمكن تجاهلها فى الحســـابات الدولية، ثم بنينا السد العالى، وانتصر الشعب:

كانت الصرخـــة القوية م الميدان فى اسكندرية
صرخة أطلقها جمـــال إحنا أممنا القنال
ضربـــة كانـــت من معلـــم خلى الاستعمار يسلم
والحصار الاقتصادى برضه ماذلش بلادى
جاب ســـلاحه وطياراته وغواصاته ودباباته واعتدى علشان نسلم
هو مين لأ ده بُعده هو ده اللى اتلقى وعده
كنا نار أكلت جيوشـــهم نار تقول هل من مزيد
انتصرنا ولســـه عارهـــم ذكرى فى تراب بورسعيد

وبنفس روح التحدى استؤنفت الملاحة فى قناة الســـويس فى التاســـع والعشرين من مـــارس من عام 1957 بعد انتشـــال الســـفن الغارقة فيها وتطهيرها لتبدأ بعد ذلك ملاحم تطويـــر المجرى الملاحى للقناة التى توالت بعد ذلك على أســـس من العلم والدراسات الدقيقة، وتم تنفيذها من خلال الخبرات المكتســـبة لأبنائها المصريين الذين يعود الفضل فى وجودهم لقرار التأميم.

وإذا كان قائد التأميـــم الزعيم جمال عبدالناصر قد رحل، فإن مصر اليوم بقناتها مســـتقلة حرة، أمرها بيدها، وقد نفضت عنها غبار المـــاضى البغيض، وليعلم الجيل الحالى كم كان قرار التأميم صعباً ومكلفاً، لكنه كان قراراً صائباً وشجاعاً وقوياً يحقق العزة والفخـــر لأبناء مصر، وإذا كان هناك تعبير للشاعر الكبير محمود درويش يضع حداً لخشـــية الانزلاق إلى فقـــدان الذاكرة بالقول «إن النيـــل لا ينسى كما كنا نظن»، فإن قراءة يوميات التأميم بكل ســـطورها تســـاعد على إنعاش الذاكـــرة التاريخية لشـــعبنا ولإضاءة الطريق أمـــام أجيالنا الجديدة والمســـتقبلية فى معرفة تاريخهم والاعتزاز بأيامهم الجديدة، ومن ثم الثقة فى قدرات شعبهم وفى أنفسهم والانطلاق نحو المســـتقبل بخطى ثابتة وقادرة على صنع الآمال وتحقيق الانتصارات، وهو ما تحقق على أرض الواقع عندما امتد الإنجاز المصرى الآن من خلال القناة الثانية، أى التوســـعة التى قدمها الرئيس عبدالفتاح السيسى لهذا الصرح العظيم لتقدم مـــصر وبرجالاتها الأكفاء خدمة للبشرية جمعاء، ودائماً تحيا مصر.

جيرمى كوربين وإحياء اليسار العمالى البريطانى

فى الرابع من شهر إبريل 2020 انتهت تجربة عميقة الدلالة والمعانى وثرية المحتوى وشديدة الأهمية وتستحق الكثير من التأمل والدراسة فى التطور التاريخى لليسار بشكل عام، ولليسار الأوروبى بشكل أكثر خصوصية، ولليسار البريطانى على وجه التحديد. وأعنى هنا تجربة قيادة «جيرمى كوربين» لحزب العمال البريطانى، والتى استمرت لحوالى خمس سنوات تقريباً.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وكان «كوربين» قد أعلن بعد الخسارة الملفتة، وغير المتوقعة، التى حققها حزب العمال فى الانتخابات الأخيرة لمجلس العموم البريطانى، والتى جرت فى عام 2019، أنه سوف يترك رئاسة الحزب فى المؤتمر العام للحزب الذى ينعقد فى إبريل 2020، وهو التعهد الذى أوفى به بالفعل. وكانت تلك الانتخابات، التى رآها عديدون من قيادات حزب العمال ومناصروه، مثلها فى ذلك مثل انتخابات 2017 السابقة عليها، فرصة غير مسبوقة وربما لا تتكرر كثيراً ولا قريباً لتحقيق انتصار، بل وانتصار تاريخى وساحق، على حزب المحافظين وعودة حزب العمال لمقاعد السلطة من جديد، وذلك فى ضوء الأزمة التى كانت تعانى منها حكومة حزب المحافظين، ومجمل الحزب من ورائها، فى حالتى الانتخابات المشار إليهما، سواء كان حزب المحافظين تحت قيادة رئيسة الوزراء السابقة «تيريزا ماي» أو رئيس الوزراء الحالى «بوريس جونسون».

ولا شك أن هناك العديد من الجوانب والأبعاد التى تستحق التأمل والدراسة فى تجربة «جيرمى كوربين»، ولكننى سأقصر تناولى هنا على جانب واحد وبعد واحد لهذه التجربة وهو كيفية وضعها فى السياق التاريخى لمحاولات إحياء حزب العمال البريطانى فكرياً وعقائدياً باعتباره حزباً يسارى الهوية والتوجه وباعتباره معبراً عن العمال، كما يوحى اسمه، ومع الأخذ فى الاعتبار التغييرات المتتالية والمتسارعة التى لحقت عالمياً بتعريف تعبير «العمال» وبيان معالمه وحدوده، خاصة فى ظل التطورات المتلاحقة للثورة العلمية والتكنولوجية وما أفضت إليه من تغييرات اقتصادية واجتماعية، خاصة فى أوروبا، وفى الحالة البريطانية بالذات، حتى وصلنا إلى ما نحن فيه حالياً من المرحلة التاريخية التى جرى على تسميتها بـ«الثورة الصناعية الرابعة»، وذلك بحسب تعريف «كلاوس شواب»، رئيس المنتدى الاقتصادى العالمى المعروف على المستوى الإعلامى بـ«منتدى دافوس».

ولليسار البريطانى، ولحزب العمال بالذات، خصوصية تاريخية لأكثر من سبب، أما أولها فهو ممتد تاريخياً لقرون سابقة، حيث إن نشأة الاشتراكية فى بريطانيا كانت شديدة الارتباط بنشأة «الفابية» ذات الأصول والتطور البريطانى المحض، مما جعل حزب العمال البريطانى منذ بدايته فى مطلع القرن العشرين مختلفاً من الناحية الفكرية عن نشأة وتطور الأحزاب الاشتراكية فى بقية بلدان أوروبا الغربية، مثل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا وغيرها. أما السبب الثانى لخصوصية النشأة والتطور الفكرى لحزب العمال البريطانى فهو حالة الارتباط العضوى التى تواجدت منذ زمن بعيد بين الحزب من جهة والنقابات العمالية البريطانية، ذات القوة والتأثير العميق فى الطبقة العاملة البريطانية تاريخياً، من جهة أخرى، وتعقد وتشابك هذه العلاقة بشكل كبير على مدار السنين وتحولاتها الكثيرة ما بين فترات سيطرة للنقابات على الحزب وقيادته وعملية صنع القرار به مقابل فترات أخرى توازنت فيها العلاقات بين الطرفين وفترات ثالثة نجحت فيها قيادة الحزب فى تحييد تأثير النقابات على عملية صنع القرار والسياسات داخل صفوفه. أما ثالث وجه للخصوصية التاريخية للنشأة والتطور الفكرى لحزب العمال البريطانى فهو مراحل الانتقال ما بين اليسار والوسط واليمين فى السيطرة على قيادة الحزب، ومن ثمّ تغيير وجهته مرات عديدة على مدار تاريخه الطويل، وارتباط ذلك أيضاً بقدرة الحزب على تحقيق الانتصار فى الانتخابات البرلمانية البريطانية ومن ثمّ فى تشكيل الحكومة وقيادة المملكة المتحدة وتوجيه سياساتها.

ويتعين أن نستدعى إلى الذاكرة فى هذه المرحلة محاولة سابقة ولا تقل أهمية عن محاولة «جيرمى كوربين» لإحياء التوجه العقائدى والفكرى اليسارى لحزب العمال البريطانى، وذلك فى مطلع العقد التاسع من القرن العشرين، وتحديداً فى عام 1980، عندما تم انتخاب «مايكل فوت» زعيماً لحزب العمال البريطانى. وجاء ذلك تاريخياً بعد تعرض حزب العمال للهزيمة تحت قيادة «جيمس كالاهان» فى انتخابات عام 1979 البرلمانية أمام حزب المحافظين فى أول انتخابات يقودها آنذاك تحت زعامة المرأة الحديدية «مارجريت تاتشر». فبعد الهزيمة الانتخابية تنحى كالاهان الذى تولى رئاسة الحكومة العمالية ما بين 1976 و1979 عن رئاسة الحزب ونجح «مايكل فوت» فى أن يفوز بزعامة الحزب، من خلال دعم منظم وممنهج من جانب التيار اليسارى داخل الحزب، حيث قام ذلك التيار بتعبئة وحشد كافة الموالين له من أعضاء الحزب من أجل دعم انتخاب «مايكل فوت» لرئاسة الحزب، وهو ما تحقق بالفعل.

ومثله مثل «جيرمى كوربين»، لم يحقق «مايكل فوت» أى قدر من النجاح فى محاولته لإحياء الهوية اليسارية للحزب، وبالرغم من بعض أوجه التشابه فى أسباب الإخفاق فى التجربتين، فإنه توجد أيضاً العديد من أوجه الخصوصية لكل حالة منهما. فقد كانت تجربة «مايكل فوت» أقصر زمنياً من تجربة «كوربين» فى تولى زعامة الحزب، حيث إن ولايته فى رئاسة حزب العمال البريطانى لم تصمد أمام الاختبار الذى تعرضت له زعامته من خلال هزيمة حزب العمال فى أول انتخابات لمجلس العموم البريطانى فى ظل زعامته للحزب، والتى جرت فى عام 1983، وكانت نتيجتها كارثية بكل المعايير لحزب العمال: فقد حقق حزب العمال أقل نسبة من أصوات المواطنين البريطانيين المقترعين فى تلك الانتخابات فى تاريخه منذ انتخابات عام 1918، كما أن حزب العمال حقق فى تلك الانتخابات أقل عدد من المقاعد للحزب فى مجلس العموم فى تاريخه منذ انتخابات عام 1945. واضطر «مايكل فوت» للإعلان عن استقالته من رئاسة حزب العمال فور انتهاء تلك الانتخابات وإعلان نتائجها المخيبة لآمال حزبه وأنصاره.

والتفتت تيارات عديدة داخل حزب العمال البريطانى خلف «نيل كينوك» ووفرت له الدعم اللازم الذى مكّنه من الفوز بزعامة الحزب خلفاً لـ«مايكل فوت»، خاصة وأنه تم تحميل «فوت» مسئولية الهزيمة الانتخابية الكارثية لحزب العمال آنذاك. كما كان من خصوصيات تجربة «مايكل فوت» ما تعرض له من اتهامات بأنه، سواء بشكل مدبر أو عن دون قصد أو نتيجة لما أشاعه عنه خصومه داخل الحزب وخارجه من ضعف شخصيته، تهاون تجاه سطوة النقابات العمالية، بعد أن كان هارولد ويلسون، زعيم الحزب قبل «جيمس كالاهان»، والذى تولى رئاسة الحكومة البريطانية مرتين: ما بين عامى 1964 و1970، ومرة أخرى ما بين عامى 1974 و1976، وأحد الرموز التاريخية فى ذاكرة أنصار حزب العمال البريطانى، قد نجح بدرجة ما فى تقليص تحكم النقابات العمالية

جيرمى كوربين وإحياء اليسار العمالى البريطانى

فى بريطانيا فى قرارات الحزب وسياساته وقلل من دور تلك النقابات داخل صفوف أعضاء الحزب كما سعى لتحييد تأثيراتها الفكرية والتنظيمية والسياسية على أنصار الحزب وأتباعه خلال فترة توليه زعامة الحزب.

أما إذا انتقلنا إلى «جيرمى كوربين» وتجربته لاستعادة الهوية والتوجه اليسارى لحزب العمال البريطانى، فقد كانت لها أوجه تشابه مع وأوجه اختلاف عن تجربة «مايكل فوت» كما أشرنا فيما سبق. فما بين تاريخى 1983، خروج «مايكل فوت» من قيادة حزب العمال، و2015 تاريخ انتخاب «جيرمى كوربين» لزعامة حزب العمال، «جرت فى النهر مياه كثيرة»، كما كان يقول قديماً فلاسفة الإغريق. فعلى سبيل المثال، كانت قوة نقابات العمال البريطانية بشكل عام، ومن ثمّ تأثيرها داخل حزب العمال على وجه الخصوص، قد تراجعت بفعل العديد من التغيرات الهيكلية التى طرأت على بنية الاقتصاد البريطانى، والتى أثرت بشكل عام، خاصة خلال سنوات حكم «المرأة الحديدية» زعيمة حزب المحافظين «مارجريت تاتشر» ما بين عامى 1979 و1990، بل وحتى خلال سنوات حكم رئيس الوزراء العمالى «تونى بلير» ما بين عامى 1997 و2007، على تشكيل الطبقة العاملة ذاتها وتكوينها وتركيبتها الاقتصادية والاجتماعية. وعلى صعيد آخر، فإن تولى «تونى بلير» زعامة حزب العمال فى عام 1994، وإن كان قد قاد الحزب إلى الفوز فى أكثر من انتخابات برلمانية متتالية لمجلس العموم البريطانى بدءًا من انتخابات 1997، والبقاء فى السلطة لمدة عقد كامل متواصل، إلا أن الحقيقة أن هذا تم من خلال التخلى عن أى طابع يسارى للحزب وعبر التضحية بالعلاقة العضوية والتاريخية التى ربطت بين الحزب والطبقة العاملة البريطانية بشكل عام وتشكيلاتها النقابية على وجه الخصوص.

وكلنا يتذكر كيف أن «تونى بلير» طرح آنذاك، بالشراكة والتعاون والتنسيق مع الرئيس الأمريكى الأسبق «بيل كلينتون» فى ذلك الوقت ما أسماه بلير بـ«الطريق الثالث»، وذلك فى مسعى مخطط له سلفاً كان الغرض الواضح، بل والمعلن، منه هو نقل حزب العمال البريطانى من موقع اليسار إلى موقع الوسط بشكل مؤسسى ونهائى، بدءًا بالأساس الفكرى والعقائدى ووصولاً إلى الصعيد السياسى والاجتماعى، وكأن المطلوب كان أن يتخلى حزب العمال عن تاريخه وهويته وتصبح مساحة اليسار فارغة، فى حين أن الوسط الفكرى والسياسة فى المشهد البريطانى تتواجد بها منذ عقد السبعينيات فى القرن العشرين أحزاب أخرى مثل الحزب الديمقراطى الاجتماعى والحزب الليبرالى ثم اندماجهما فى حزب واحد.

جيرمى كوربين

وهنا تتبدى أكثر أهمية المشروع الفكرى الذى جسده وصول «جيرمى كوربين» إلى قيادة حزب العمال البريطانى عام 2015، لاستعادة روح الحزب الأصلية، وتصحيح المسار بعد سنوات بلير ومن أتوا بعده وصاروا على نهجه. وكان «كوربين» هو الشخصية الأكثر تأهلاً للقيام بهذا الدور، نظراً لأن «جيرمى كوربين» كان هو التلميذ الأوفى والمقرب لـ «تونى بن»، المنظر الرئيسى والأب الروحى للتيار اليسارى داخل حزب العمال، بل إن الكثيرين وصفوه، وعن حق، بأنه «الابن الروحى لتونى بن»، والذى رافقه عبر مسيرة طويلة كان بها العديد، بل الكثير، من المحطات الصعبة والمعقدة والشائكة على مدار عقود.

ولكن من هو «جيرمى كوربين» ومن أى خلفية جاء؟

منذ باكورة انخراطه فى النضال السياسى، ذكر «كوربين» مراراً وتكراراً أنه أكثر اهتماماً بالأفكار من الأشخاص، كما بقى دوماً مهتماً بالقراءة، وظل دائماً يعتز بمصداقية انتمائه لليسار، ومعروفاً بالتزامه المبدئى من جهة وبحماسه الفكرى والسياسى من جهة أخرى. وبالرغم من أنه ليس ابناً من أبناء الطبقة العاملة، مثله فى ذلك مثل «تونى بن» و«مايكل فوت»، بل ومثل «كارل ماركس» ذاته و«فلاديمير اليتش اليانوف» المعروف بـ«لينين»، فإن انتماءه لليسار جاء من منطلق القناعة الفكرية والعقائدية والالتزام النضالى. فقد كان والده مهندساً ووالدته معلمة فى إحدى المدارس، والتقيا معاً فى إطار لجنة ذات توجهات يسارية كانت تطالب بإنهاء الحرب الأهلية فى إسبانيا فى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين. وفى طفولته، كان «كوربين» مهتماً بالعمل اليدوى فى المزارع، وأكسبه ذلك اهتماماً بالمسائل البيئية منذ مرحلة مبكرة من حياته، لدرجة أنه فى مرحلة ما دعا إلى «مسكن بحديقة لكل مواطن بريطانى»، ودفعه وعيه البيئى المتقدم إلى طرح تشريع فى مجلس العموم فى 1990 يدعو لحظر اصطياد وقتل الدببة. ونظراً لظروف مادية، ترك «كوربين» المدرسة فى سن الثامنة عشرة، حيث عمل صحفياً فى صحيفة محلية، ثم قرر الذهاب للقيام بعمل تطوعى لمدة عامين فى جامايكا، وهناك اكتسب، بحسب شهادته، عداءً شديداً «للهوة التى تفصل بين من يملكون الامتيازات ومن يعانون من الحرمان»، كما حدد هناك الأهداف التى سيقضى بقية حياته الفكرية والسياسية يناضل ضدها وهي: «التوجهات الإمبريالية للدول الكبرى، والانقسام الطبقى فى المجتمع والاستغلال الاقتصادي».

وعقب عودته من جامايكا، انضم «كوربين» إلى الحركة النقابية البريطانية، حيث صار منظماً وطنياً للاتحاد الوطنى للموظفين العموميين، ومنذ ذلك الوقت بدأ يرتدى قبعة شبيهة بقبعة «لينين» مما دعا البعض إلى اعتباره ينتمى إلى «يسار قديم مضت أيامه وولت». وفى مرحلة مبكرة من حياته، ظهر واضحاً توجهات «كوربين» اليسارية»، حيث انضم «جيرمى كوربين» وشقيقه «بيرس» إلى حزب محلى صغير باسم «الحزب الاشتراكى للعمال والشباب»، والواقع أنه وكافة إخوته كانوا ذوى توجهات يسارية، تأثراً بوالديهم. وعندما انضم «كوربين» إلى حزب العمال البريطانى لاحقاً، فإنه وقف بوضوح ضد التيار السائد فى الحزب. فقد عرفت عنه معارضته لتوجهات «هارولد ويلسون» زعيم الحزب الذى تولى رئاسة الحكومة مرتين، كما سبق وذكرنا من قبل، وأحد القادة التاريخيين للحزب، ولكنه كان أيضاً أحد رموز التيار اليمينى داخل حزب العمال.

وفى نفس التوقيت تقريباً انضم إلى «الحملة الوطنية لنزع السلاح»، وبسبب إدراك رفاقه لثقافته الواسعة، فسريعاً ما تم تصعيده إلى منصب نائب رئيس الحملة على الصعيد الوطنى. وعندما كان فى سن الخامسة والعشرين عام 1974، تولى منصب سكرتير حزب العمال فى منطقة «شمال إسلينجتون». وفى تلك المرحلة بدأت صلته، التى سوف تتعزز كثيراً فيما بعد، مع «تونى بن»، وظل «كوربين» منذ ذلك التاريخ ملاصقاً لـ «بن» حتى وفاة الأخير عام 2014. وعندما حدث الانفصال بين «كوربين» وزوجته الأولى «جين» فى عام 1979، فإنها أكدت أنه رجل مبادئ وأنه يتصف بالأمانة والنزاهة فى تصرفاته المالية وكان رجلاً مخلصاً لزوجته، ولا يدخن ولا يشرب الخمور، وكان كل ما عابته عليه هو أنه كرس كل حياته للعمل السياسى ولنصرة قضايا اليسار ولم يترك أى هامش من وقته لحياته الخاصة والعائلية، وحافظت «جين» على علاقة جيدة معه حتى الآن.

وفى السنوات الأولى من عقد الثمانينيات من القرن العشرين، وقف «كوربين» مع الزعيم اليسارى للحزب «مايكل فوت» ودعم «تونى بن» فى مسعاه، الذى لم يكلل بالنجاح، ليكون نائباً لرئيس الحزب، ووقف ضد عدد من رموز التيار الديمقراطى الاجتماعى داخل حزب العمال الذين رفضوا توجهات «فوت

اليسارية» وانشقوا عن حزب العمال ليؤسسوا الحزب الديمقراطي الاجتماعي، والذى اندمج فى مرحلة لاحقة مع الحزب الليبرالى. وتصدى «كوربين» لاحقاً لسعى «تونى بلير» لإزالة المادة الرابعة من دستور حزب العمال البريطانى، والتى كانت تدعو لالتزام الحزب بالعمل من أجل التوزيع العادل للثروة فى بريطانيا، بما فى ذلك من خلال الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والتوزيع وإدارة الصناعة والخدمات عبر مجالس شعبية. كذلك هاجم مساعى «بلير» لفصل الحزب تماماً عن نقابات العمال، معتبراً أن تلك النقابات هى التى أنشأت الحزب فى المقام الأول، ومتهماً بلير بالعمل على تغيير هوية الحزب ووجهته اليسارية، وطالت نفس الاتهامات «جوردون براون»، الذى خلف «بلير» فى زعامة حزب العمال ورئاسة الحكومة فى عام 2007 وحتى عادت السلطة لحزب المحافظين عام 2010.

وقد دعا «كوربين» فى الكثير من المناسبات إلى تخلى المملكة المتحدة بشكل أحادى عن السلاح النووى، واعتبر اقتناء السلاح النووى غير أخلاقى، ودفعه ذلك فى إحدى المراحل إلى اتهام وزارة الطاقة البريطانية بعدم تقديم التمويل اللازم للبحوث الخاصة بالموارد البديلة للطاقة بهدف جعل الطاقة النووية هى البديل الوحيد المتاح. كما دعا فى أكثر من مناسبة لانسحاب بريطانيا من عضوية حلف شمال الأطلسى، بل ودعا فى مرحلة ما لانضمام بريطانيا لحركة عدم الانحياز! ومنذ وقت مبكر، دعا «كوربين» لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى، ليس بدوافع انعزالية بل بهدف «النضال من أجل أوروبا أفضل». كما هاجم حزب «الجبهة الوطنية» الفرنسى واتهمه بالعنصرية والفاشية وبأنه يسعى لبناء شبكة أوروبية تجمع قوى اليمين المتطرف.

وعلى الصعيد الداخلى، انتقد «كوربين» بشكل متزايد اتجاه حكومات حزب المحافظين بدءًا من قيادة «مارجريت تاتشر» و«جون ماجور» لإدخال تخفيضات ضخمة على برنامج التأمين الصحى البريطانى. وهاجم فيما بعد توجهات لحكومات المحافظين للتعدى على حقوق أصحاب المعاشات، ولتخفيض الضرائب على أصحاب الدخول المرتفعة ولتقليص الإنفاق على مساكن الفقراء والطبقة الوسطى، وكذلك لتخفيض الإنفاق على التعليم والرعاية فى المدارس العامة، وهاجم بقوة وقوف حكومات المحافظين مع أصحاب العمل ضد العمال، ورفض تقييد تشريعات وسياسات الهجرة إلى المملكة المتحدة، كذلك وقف بقوة ضد أى اعتداء على حرية التعبير أو أى تقييد لحق التظاهر السلمى أو لحرية الصحافة والإعلام. وفى عام 1983، فاز «كوربين» بمقعد فى انتخابات مجلس العموم البريطانى، بالرغم من الهزيمة الكبيرة التى لقيها حزب العمال فى تلك الانتخابات، كما أصبح يكتب عاموداً بشكل أسبوعى فى صحيفة «نجمة الصباح» اليسارية.

وعلى مدار السنوات التالية لخروج «مايكل فوت» من زعامة حزب العمال البريطانى هاجم «كوربين» مراراً وتكراراً ما أسماه بالتوجهات الرخوة لحزب العمال، ورفض تحويل الحزب من حزب يسارى إلى حزب ليسار الوسط، كما ذكر أن الحزب لا يجب أن يسعى لإصلاح النظام الرأسمالى بل إلى الإطاحة به وبناء الاشتراكية. واستمر «كوربين» دوماً على دعمه للحركة النقابية البريطانية، ورفض أى توجهات عنصرية ضد أصحاب البشرة السوداء والمهاجرين الجدد، وفى وقت لاحق، وقف «كوربين» بقوة ضد الاتجاه لطرد مجموعة من الكوادر ذات التوجهات الفكرية التروتسكية من حزب العمال.

وما بين تظاهره فى عقد الستينيات من القرن الماضى ضد الحرب الأمريكية فى فيتنام ومارس 2003، حيث تظاهر «كوربين» ضد الغزو الأمريكى البريطانى للعراق، جرت أحداث كثيرة فى مواقف «كوربين» تجاه قضايا السياسة الخارجية. فقد تظاهر عدة مرات فى عقد الثمانينيات من القرن العشرين ضد نظام الفصل العنصرى (الأبارتيد) فى جنوب إفريقيا، كما انضم إلى الحملة المعادية لديكتاتور تشيلى الراحل «بينوشيه» خلال ثمانينيات القرن الماضى. وفى مطلع تسعينيات القرن العشرين انتقد «كوربين» التحالف الذى قادته الولايات المتحدة لإخراج العراق من الكويت بالقوة، ولكن قبل ذلك كان قد هاجم الغرب لتسليح نظام الرئيس العراقى الراحل «صدام حسين». وفى نفس التوقيت تقريباً، انضم، برفقة «تونى بن» إلى حملة التضامن مع الشعب الفلسطينى، وطالب بالاستماع إلى مناهضى بريطانيا فى أيرلندا الشمالية ومحاورتهم، وذلك قبل التوصل لاتفاق الستر هناك فى 10 إبريل 1998. وفى عام 1986، تظاهر «كوربين» ضد العدوان الأمريكى على ليبيا رداً على اتهام ليبيا بأنها وراء هجوم على ملهى ليلى فى برلين أسفر عن مصرع جنود أمريكيين.

وكل ما تقدم كان يؤهل «جيرمى كوربين» للقيام بدور تاريخى فى إحياء الهوية الفكرية اليسارية لحزب العمال البريطانى، ولكن لماذا إذاً لم تنجح المحاولة وشهدت فترة زعامته للحزب هزيمتين متتاليتين للحزب فى الانتخابات البرلمانية لعامى 2017 و2019؟

وكما ذكرت فى موقع سابق من هذا المقال، فإن بعض الأسباب تشابهت مع أسباب فشل «مايكل فوت» ما بين عامى 1980 و1983، بينما اختلفت أسباب أخرى. وقد ذكرت بعض تلك الأوجه فيما سبق عند الحديث عن مرحلة «مايكل فوت»، وأذكر بعضها الآخر الآن.

على الصعيد الخارجى، فكما كان التحالف الأنجلو ساكسونى قوياً عبر ضفتى الأطلسى فى مطلع ثمانينيات القرن العشرين بين رئيسة الوزراء المحافظة «مارجريت تاتشر» والرئيس الأمريكى الجمهورى آنذاك الراحل «رونالد ريجان» وكان عنصراً داعماً لحكم حزب المحافظين واستمراره فترة ممتدة زمنياً آنذاك، فإن نفس التحالف كان أيضاً متواجداً ومؤثراً بين الرئيس الأمريكى الجمهورى «دونالد ترامب» ورئيسى الوزراء البريطانيين المحافظين «تيريزا ماي» ثم «بوريس جونسون»، والتاريخ يحدثنا كثيراً عن الدور الأمريكى فى دعم حكومات فى أوروبا بشكل عام، وفى بريطانيا على وجه الخصوص، لتجنب وصول أحزاب يسارية التوجه والقيادة للحكم فى تلك البلدان، كما كان الحال مثلاً فى حالة إيطاليا فى عقد السبعينيات من القرن العشرين والسعى الأمريكى بكل السبل آنذاك لعدم وصول الحزب الشيوعى الإيطالى للحكم.

وعلى الصعيد الداخلى، وبينما لعبت رئيسة الوزراء المحافظة «مارجريت تاتشر» دوراً أساسياً فى إضعاف النقابات العمالية، الداعم الرئيسى لحزب العمال على مدار سنوات حكمها، وهو الأمر الذى أضعف فرص حزب العمال بقيادة «فوت» فى الفوز بانتخابات 1982، فإن المفارقة تكمن فى أن رئيس الوزراء العمالى «تونى بلير»، هو من استكمل ما قامت به «تاتشر» من إضعاف مؤسسى وممنهج، ومن خلال تشريعات وسياسات، للنقابات العمالية ودورها، وهو ما أدى إلى مزيد من التقليص لفعالية دعمها لحزب العمال على المدى الطويل، وكان أحد أسباب خسارة الحزب لانتخابات 2017 و2019 على التوالى.

وكما تعرض «مايكل فوت» إلى حملة مبرمجة من الاتهامات بمعاداة السامية، بسبب مواقفه الواضحة والمبدئية ضد العدوان الإسرائيلى على لبنان فى عام 1982، وقبل ذلك احتجاجه على إعلان إسرائيل ضم القدس الشرقية وتوحيد القدس وإعلانها عاصمة أبدية لإسرائيل، وكذلك احتجاجه على ضم إسرائيل للجولان السورى المحتل، وأثرت تلك الحملات سلباً على فرص فوز حزب العمال بانتخابات يونيو 1983، فإن «جيرمى كوربين» تعرض بدوره لحملة لم تقل ضراوة، إن لم تزد، من الاتهامات بالعداء للسامية بسبب تصريحات له ضد سياسات الحكومة الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطينى، ومارس رجال دين يهود بريطانيون ضغوطاً حتى يعتذر «كوربين» عن تصريحاته، إلا أن «كوربين» رفض ذلك تماماً، وقبل بشجاعة تحمل مسئولية قراره، بما فى ذلك المساهمة فى خسارة حزبه انتخابات 2019 البرلمانية.

أما رابع وآخر الاعتبارات التى نسوقها هنا فى سياق تفسير أوجه التشابه بين فشل «مايكل فوت» فى قيادة حزب العمال لتحقيق انتصار انتخابى برلمانى فى انتخابات 1983 وفشل «جيرمى كوربين» فى قيادة الحزب لتحقيق انتصار فى انتخابات 2017 و2019، فهو اصطفاف تيارات اليمين والوسط داخل حزب العمال للعب دور نحو الإسهام فى إسقاط القيادة اليسارية للحزب، بهدف أن تحل محلها إما قيادة من تيارات الوسط واليمين داخل الحزب، حال توافرها، أو على أقل تقدير أن تحل قيادة أخرى من التيار اليسارى داخل الحزب، ولكن تكون أقل يسارية من القيادة الموجودة.

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

حكايات إذا لم تسجل ستضيع..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة

ألحِقَتْ دفعة الملاحق الجديدة عام 1962 بالإدارات المختلفة بالوزارة، كان نصيبى الانضمام إلى إدارة أمريكا اللاتينية، التى يعمل بها من يكبروننى سناً، ودرجة، وخبرة، كانوا بالنسبة لى - أنا المستجد فى مهنة الدبلوماسية - كنزاً يتوجب الاهتداء والتعلم منهم.

كنت وزميلى الملحق هلال حمودة (السفير القنصل العام بإسطنبول فيما بعد) نستمع بشغف لحكايات وروايات المستشار مختار زكى (ترك الخارجية ليعين وكيلاً لوزارة السياحة) كانت ذكرياته مشوقة تحمل فى طياتها دروساً وعبراً حفرت فى أدمغتنا البكر.

ذكر المستشار مختار زكى أنه خدم ببعثتنا الدبلوماسية بلندن فى الثلاثينيات، أثناء الفترة التى جرت فيها المفاوضات المصرية البريطانية التى انتهت بتوقيع اتفاقية 1936. واقتضت المفاوضات تواجد رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا فى لندن، وعند زيارته لمقر البعثة المصرية، استرعى انتباهه وجود مائدة حجمها كبير، وغاية فى الطول (تتسع لعدد كبير من المدعوين) ويبدو أن طول المائدة كان غير عادى، بشكل لم يسبق أن رآه رئيس الوزراء ... فتفتق ذهنه عن إمكانية تقسيمها إلى مائدتين، وأعطى توجيهاً لرئيس البعثة ليستفيد بوجود مائدتين بدلاً من تلك الضخمة التى تشغل مساحة كبيرة فى غرفة الطعام.

سفير يسرى القويضى

ykouedi@yahoo.com

لم يتوان رئيس البعثة عن تنفيذ أوامر رئيس الوزراء.. فكلف معاونيه باستدعاء المختص الإنجليزى الذى يمكنه تنفيذ ذلك الاقتراح.

حضر شيخ وقور، مهيب قدم نفسه بأنه كبير نجارى ومصممى الأثاث. وعرضت عليه فكرة تقسيم المائدة الكبيرة إلى مائدتين، فانتفض الرجل مذعوراً ... وقال أهون عليّ بتر ذراعى عن أن أقوم بقطع قرص تلك المائدة، ألا تعرفون أن نوع هذا الخشب يأتى من شجر بالهند عمره مئات السنوات، قطع منها قرص هذه المائدة كقطعة واحدة، ونقلت بعناية خاصة بحكم حجمها الهائل، وقطعت كل المسافة من الهند لتصل لإنجلترا، حيث قام فنيون مهرة بتصميم وتنفيذ تلك المائدة الكبيرة الحجم التى تعد من القطع النادرة، التى لا يتكرر تواجد مثلها.. أبعد كل هذا الجهد والمشقة تهدرون تلك القيمة النادرة. انصرف النجار الخبير غاضباً، ومتعجباً كيف طرأت مثل تلك الأفكار الساذجة لأناس يفترض تقديرهم لندرة الأشياء وقيمتها.

اقتنع رئيس البعثة برأى النجار الخبير فأمر بتجاهل اقتراح رئيس الوزراء، وأبقى على المائدة على حالها، والتى أعتقد أنها ما زالت قابعة ببعثتنا فى لندن.

تعلمت درساً لن أنساه.. يجب عدم التسرع فى طرح أية اقتراحات قبل الإلمام بالجوانب المختلفة، وبعد اللجوء لآراء أصحاب المعرفة والخبرة فلديهم الكثير مما يعين فى اتخاذ القرار المناسب.

المصطلحات والتعريفات المرتبطة بمنظمات ووكالات الامم المتحدة:

مركز التجارة الدولية

International Trade Centre (ITC)

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

أولاً: تعريف المركز

مركز التجارة الدولية (ITC) هو وكالة التنمية الوحيدة التى تكرس نفسها تماماً لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم فى الاقتصادات النامية والانتقالية لتصبح أكثر قدرة على المنافسة والاتصال إلى الأسواق الدولية للتجارة والاستثمار، وزيادة الدخل وخلق فرص عمل، وخاصة بالنسبة للنساء والشباب، والمجتمعات الفقيرة.

مركز التجارة الدولية هو وكالة مرفقة لمنظمة التجارة العالمية والأمم المتحدة، وهى وكالة للتعاون التقنى لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) ومنظمة التجارة العالمية وهو يعكس وجهة النظر الرسمية الخاصة بمهامها.

تركز المساعدة التقنية لمركز التجارة الدولية على مسائل ثلاث التى تمثل أهم المتطلبات لبناء القدرات الوطنية:

1 – مساعدة الشركات فى فهم قواعد منظمة التجارة العالمية.

2 – تعزيز القدرة التنافسية للمشاريع.

3 – وضع إستراتيجيات جديدة لتشجيع التجارة.

ثانياً: أعمال المركز

يعمل مركز التجارة الدولية فى ستة مجالات أساسية، هذه المجالات تمثل مجموعة متماسكة من التدخلات المتوافقة مع برامج مناظرة التى يتم تكييفها وتخصيصها لتوفير حلول مركزية وتنمية القدرات المحلية وهي:

1 – تطوير المنتجات والأسواق.

2 – تحسين خدمات دعم التجارة.

3 – المعلومات التجارية.

4 – تنمية الموارد البشرية.

5 – إدارة المشتريات والإمدادات الدولية.

٦ – تقييم الاحتياجات وتصميم البرامج لتعزيز التجارة.

ثالثاً: أهداف المركز

جوهر نهج وسياسة المركز تتركز حول تعزيز وتنمية القطاعات، لتمكين الشركات المنافسة بالنجاح فى الأسواق المحلية والإقليمية والدولية بالمشاركة مع جميع أصحاب المصلحة كما تساعد تنمية الخبرات على سد الثغرات فى المعرفة.

ويلتزم المركز بتحسين ودمج تطوير سلاسل التجارة الدولية من خلال:

1 – تسهيل وتقديم المفاوضات التجارية ووضع السياسات.

2 – المساهمة على نطاق واسع فى المناقشات الجارية للتنمية مع قيادة الفكر، وأفضل الممارسات والبرمجة.

3 – مساعدة الشركات وتحسين فرص الحصول على الواردات من المدخلات الرئيسية.

رابعاً: مشاريع المركز

من أهم وأكبر مشاريع المركز فى الشرق الأوسط والعالم العربى هو مشروع تعزيز القدرات العربية لبرامج التجارة وهو يركز على توظيف المؤسسة من خلال تنمية الصادرات.

يغطى مكتب مركز التجارة الدولية 21 دولة عربية كلها أعضاء فى جامعة الدول العربية. مع مساحة إجمالية قدرها 13.6 مليون كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها مجتمعة 377 مليون نسمة، وتتميز المنطقة بالتنوع الثقافى والجغرافى وكذلك الاقتصادى.

يفيد المركز بالتعرف والتواصل مع الأطراف الفاعلة فى التنمية والقطاع الخاص لتكملة أنشطتنا ويمكن مركز التجارة الدولية من نجاح أعمال التصدير الصغيرة الناجحة فى البلدان النامية عن طريق توفير حلول لتنمية التجارة مع القطاع الخاص، ومؤسسات دعم التجارة وصانعى السياسات والشركاء فى التنمية.

يعمل المركز مع صناع السياسة والتجارة والمؤسسات الإعلامية والاستثمار المصدرين وأصحاب المصلحة فى القطاعين العام والخاص لتمكين نجاح التصدير من الشركات الصغيرة والمتوسطة فى البلدان النامية والاقتصادات التى تمر بمرحلة انتقالية.

خامساً: دور المركز فى المجتمع العربي

يدعم المركز الدول العربية الشريكة فى تعزيز بيئة الأعمال بهدف التنمية عن طريق تسهيل إدراج منظور القطاع الخاص فى عملية صنع السياسات. ويساعد المركز فى الحوار بين القطاعين العام والخاص لصياغة السياسات والإستراتيجيات التجارية على المستويات الوطنية والإقليمية.

لمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

http://www.intracen.org

تقدمها ناديه الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

كل عام والجميع بخير بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك.

مع بداية الإيقاف التام لنشاط الرابطة فى منتصف مارس الماضى، بدأت الزميلات فى تبادل الأفكار عما يمكن عمله والاستفادة من وجودنا فى حالة الإغلاق التام، فى شئ يفيد الجميع ويجمعنا بقدر الإمكان، وأيضاً نستفيد من خبرات بعضنا البعض سواء كانت خبرات حياتية أو مهنية.

وكانت فكرة لقاءات على (الفضاء الافتراضى) على برنامج زووم من الزميلة هبة ماميش والتى قامت بدور (المضيفة) لجميع اللقاءات منذ بدايتها حتى الآن، فهى من تحجز وترتب مواعيد دخول اللقاءات للزميلات وعدد المقابلات، ومن لديه صعوبة فى الدخول أو فى تشغيل البرنامج حتى يمكنه الالتحاق بالمجموعة، حقيقة الزميلة هبة هى الجندى المجهول دائماً وصاحبة الالتزام والتنفيذ الدقيق، والتحضير المسبق لكل لقاء مع الضيفة، وترتيب ما يلزم لإخراج اللقاء فى أبهى صورة.

شكراً للزميلة هبة ماميش حرم سعادة السفير/ عمرو رمضان.

فى لقائنا الأول اقترحت الزميلة هدى القونى عدة موضوعات للمناقشة كالتأمل وأهميته فى الوقت الراهن والموضوعات الفنية وقراءة كتاب ومناقشته واقترحت كتاب ريم بسيونى (المماليك).

اللقاء الثانى والثالث

أسرار المكياج الناجح وكيفية التغلب على مشاكل وعيوب البشرة للسيدة/ نجلاء الخوانكى حرم سعادة السفير الدكتور/ بدر عبد العاطى وهى حاصلة على شهادة فى فن المكياج من أكاديمية متخصصة فى ألمانيا.

وقد ألقت السيدة/ نجلاء الخوانكى محاضرتين عبر تطبيق زووم استغرقتا بالمناقشات والأسئلة حوالى 4 ساعات، عن كيفية العناية اليومية الصحيحة بالبشرة وتهيئتها قبل وضع المكياج فضلاً عن النصائح المتبعة للحصول على إطلالة مشرقة ومكياج متقن.

يعد تحضير البشرة قبل المكياج من الخطوات الأساسية للحصول على أفضل نتيجة حيث يهدف وضع المكياج إلى إبراز جماليات الوجه وإخفاء العيوب.

وذكرت السيدة/ نجلاء فى المحاضرة الأولى الخطوات السليمة لتهيئة البشرة كالتالى:

1 - تنظيف البشرة عن طريق استخدام المنظفات الملائمة لكل نوع.

2 - تقشير البشرة مرة أو مرتين على الأكثر أسبوعياً، للتخلص من الخلايا الميتة.

3 - استخدام تونر لضمان خلو البشرة من أية شوائب ضارة.

4 - وضع كريم مرطب مناسب لنوع البشرة.

5 - ترطيب المنطقة المحيطة بالعين.

6 - استخدام كمية مناسبة من كريم الشمس الواقى قبل التعرض للشمس بنصف ساعة وإعادة وضعه فى حالة التعرض للشمس لفترة طويلة.

7 - وضع كمية صغيرة من البرايمر قبل وضع كريم الأساس لتوحيد ملمس البشرة والحصول على مكياج ثابت خال من التشققات والبقع.

وتناولت المحاضرة أيضاً مصححات اللون وطرق استخدام الكونسيلر والكونتور.

فى المحاضرة الثانية:

تناولت السيدة/ نجلاء بعض النصائح والتقنيات لوضع مكياج سليم والأخطاء التى يجب تجنبها، كما أوضحت الروتين اليومى للعناية بالبشرة صباحاً ومساءً، وأنواع الكريمات والفيتامينات التى تحتوى عليها ومضادات الأكسدة والأحماض التى تحافظ على نضارة البشرة ومرونتها فضلاً عن دورها فى تجديد الخلايا وتأخر ظهور التجاعيد والخطوط الرفيعة، بالإضافة للإجابة عن أسئلة واستفسارات جميع المشاركات فى الندوتين.

اللقاء الرابع
(مقدمة لعلم اليوجا والتأمل)

قدمت الزميلة غادة شوقى حرم سعادة السفير/ أسامة شلتوت، وهى مدربة يوجا مؤهلة تمارس اليوجا منذ سنوات، وحاصلة على شهادة YTT200 تؤهلها للعمل كمدربة يوجا معتمدة فى سامية علوبة ولدى بعض وكالات الأمم المتحدة بالقاهرة. شاركت فى العديد من ورش العمل الخاصه باليوجا.

قدمت الزميلة غادة شوقى محاضرة استمرت 3 ساعات عن (التأمل) كأحد أهم أفرع اليوجا الثمانية، حيث إن اليوجا بدأت فى الأساس منذ 5000 سنه فى الهند كممارسة روحية تعتمد على وضعيات تأملية مماثلة لما نمارسه حالياً فى عصرنا الحديث، كما أوضح الحكيم بانا نجالى الأب الروحى لليوجا، أن التأمل هو أحد أهم أفرع اليوجا الثمانية أو بمعنى أدق هو الفرع السابع أو ما قبل الأخير من الفروع الثمانية التى تصل لمنتهاها (مرحلة التنوير)، ومن ثم فإن تعريف التأمل هو فن إسكات العقل بهدف الوصول إلى حالة من السلام والسكينة مع النفس وهى عملية ليست سهلة فى الواقع وخاصة فى ظل ما يحيط بنا من قلق وتوتر وإحباط وخاصة فى وقتنا الحالى من ظروف الكورونا حيث تزيد حالات الاكتئاب.

وبالتالى تكتسب عملية التأمل أهميتها فى هذا الشأن حيث إننا فى أمس الحاجة فى هذه المرحلة إلى الهدوء والسلام.

استعرضت الزميلة غادة فوائد التأمل العديدة وأهمها زيادة قدرة الجسم المناعية وأيضاً الخطوات اللازمة للوصول إلى حالة ناجحة من التأمل والسبع مفاهيم الخاطئة عن التأمل

والشرح التفصيلى لكل منها والذى يهدف للوصول إلى عملية تأملية ناجحة.

شكراً للرائعة نجلاء الخوانكى على المجهود الكبير لمدة أسبوعين متتاليين معنا نصائح ومعلومات وشرح وإجابات لأسئلة استفدنا وتعلمنا منها الكثير.

محاضرة علمية مركزة شـــديدة الامتياز من غادة شـــلتوت، ثلاث ســـاعات كاملة فى شرح مستفيض.

أشكرك يا غادة.

وإلى اللقاء فى نشاط الشهر القادم.

نادية الريس

السيدة / نجلاء الخوانكى
حرم سعادة السفير د. بدر عبد العاطى

السيدة / غاده شوقى
حرم سعادة السفير / أسامه شلتوت

السيدة / هبه ماميش
حرم سعادة السفير / عمرو رمضان

أحمد عرابى.. دعوة للإنصاف

فى يوم 10 يونيو 1882 صـــدرت مجلة The Illustrated London news وفى صدر صفحتها الأولى صورة كبيرة لأحمد عرابى وكتب تحتها «عرابى باشا دكتاتور مصر». ذلك فى الوقت الذى كانت بريطانيا تحشد القوة وتعد العدة لاحتلال مـــصر. وإن كان من الطبيعى أن تأخذ مجلة بريطانية هذا الموقف من رجل وقف ضد أطماع بريطانيا فى مصر وكان عدواً لها ولجيشـــها إلا أننا نجد صحيفة مصرية هـــى الأهرام قد لعنت عرابى بعد هزيمتـــه ورحبت بمقدم جنود بريطانيا الغزاة عند دخولهم القاهرة. ونجد أقطاب الحركة الوطنية فى مصر مثل مصطفى كامل يأخذ موقفاً معادياً من عرابى وحتى ثورة 1919 وقياداتها من الوفديين أخذوا نفس الموقف. حتى أمير الشـــعراء أحمد شوقى الذى كتب أرق وأعذب الأشعار لم يرق قلبه ويحنو على حطام الرجل الذى عاد إلى الوطن فى عام 1903 بعد سنين من المنفى وقد أثقله المرض وكف بصره فكتب يهجوه فى قصيدة جاء بها:

عاد لها عرابى صغار فى الذهاب وفى الإياب
أهذا كل شأنك يا عرابى عفا عنك الأباعد والأدانى

فمن يعفو عن الوطن المصاب.

حمّل كل هؤلاء عرابى ذنب المواجهة مع بريطانيا وهزيمـــة الجيش واحتلال مصر حتى كتب التاريـــخ والتربية الوطنية التى صدرت بعد ثورة 1952 فإنها تتحدث عن ثورة عرابى على أنها قامت لمساواة الضباط المصريـــين بالضباط الجراكســـة والأتراك الذين اســـتأثروا بمزايا الجيـــش والرتب والقيادات العليا دون ذكر أنها ثورة وطنية غرضها الإصلاح العام فى البلاد.

من المؤكد أن عرابى لم يكن على كفاءة عسكرية تؤهله لمواجهة الجيش البريطانى أقوى جيش فى العالم وقتها، ويمكن فى هذا الصدد المقارنة بين عبدالحكيم عامر الذى كانت كفاءته العســـكرية أقل من المستوى المطلوب فى حـــرب 67 لكنه تـــولى قيادة الجيش بسبب ثورة 52 كذلك أحمد عرابى تولى قيادة الجيش بســـبب الثورة العرابية. لكن الفرق أن فى عام 67 كانت هناك قيادة وطنية مـــن أبناء مصر تحكـــم فرفضت الهزيمة وتمســـكت بإزالة آثارها غير قيادة الخديـــوى التى ارتمـــت فى أحضان جيش الغزاة ووزعت الأوســـمة والنياشـــين على ضباطه وجنوده.

ولنا أن نتســـاءل لماذا لـــم يكن مؤهلاً لقيادة الجيش؟ والإجابة على ذلك أن القيادة العليا لم تهتم ببناء كادرات عسكرية مؤهلة فأوكلت الجيش إلى الأجانب فتولى رئاســـة أركان الجيش الأمريكى ستون باشا Char-les pomeroy Stone مـــن عـــام 1870 إلى عام 1883 وهـــو ضابط أمريكى طرد من الخدمة وســـجن بسبب ســـوء أدائه فى الحرب الأهلية ولم يكن لديه الدافع الوطنى لتنمية القدرة العســـكرية لمصر ومهما قيل عن عبدالحكيم عامر ومســـئولية القيادة السياسية عنه إلا أن القيادة الوطنية إن كانت مســـئولة عن عبدالحكيم عامر فإنها أيضا مسئولة عن تربية كادرات عسكرية أنجبت مجموعة من أعظم القادة العســـكريين فى العالم مثل محمد فوزى وعبدالمنعم رياض وأحمد إسماعيل والجمسى والشاذلى ومحمد على فهمى اســـتطاعوا أن يقيموا مصر من عثرتها.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

لكن ما هـــى قصة احتلال مصر وكيف حدث.

تبدأ القصة مع خلفاء محمد على عباس الذى هدم كل إنجـــازات محمد على فسرح الجيش وأغلـــق المصانع وهدم أعمدة مصر الحديثة التى أقامها محمد على، تلاه سعيد الذى بدأ مشـــوار الإسراف السفيه ومكن محاكـــم القناصل من أمـــور البلاد، ومنح ديلســـبس امتياز قناة السويس ورغم أن مصر تحملت الجزء الأكبر من التكلفة المالية والبشرية عن طريق الســـخرة التى حفرت القنـــاة بأيديها ومات خلالهـــا 100 ألف مصرى فإنه اكتفـــى بأن يكون لمصر 44٪ فقط من أسهم الشركة التى تقع على أرض مصر ولـــم يضع آلية لحـــل المنازعات مع الشركة حال نشوبها.

خلف سعيد على أريكة الحكم إسماعيل الذى انطلق فى نوبة من الإسراف السفيه ولما نشـــب خلاف مع شركة قناة السويس بعد إلغاء السخرة التى جاءت بسبب الضغوط البريطانية ثم الخلاف على الأراضى المتاخمة للقناة التى تحولت إلى أراض زراعية خصبة بعد حفر قناة الإســـماعيلية للمياه العذبة فلما طالبـــت بها الحكومة المصرية احتجت الشركة ولجأ الخديوى لإمبراطور فرنســـا نابليون الثالـــث الذى حكم لصالح الشركة فدفعت مصر مبالغ طائلة ثم كانت السفاهة الكبرى المتمثلة فى حفل افتتاح قناة السويس الذى ذكر نوبار باشـــا فى مذكراته أن بند الطعام الذى قدم وحده بلغ 400 ألف جنيه وبناء قصر الجزيرة لاســـتضافة أوجينى وشق شـــارع الهرم وبناء الأوبرا ومسرح الأزبكية فضلاً عن المغامرات العســـكرية الفاشـــلة، حملتان فى الحبش انتهتا نهاية كارثية وأخرى إلى زنزبار أيضاً فشلت فشلاً ذريعاً فضلاً عن الحملة إلى المكســـيك التى أرسلها سعيد واستمر فيها إسماعيل.

أدى هذا إلى تعثـــر ماليات البلد إلى حد اضطـــر الخديوى إلى بيـــع حصة مصر فى أسهم قناة الســـويس التى تبلغ 44٪ من المجموع فى عـــام 1875 أى أن مصر التى تحملت المـــال والدم والرجال من أجل حفر القناة لم تملك جزءاً منها إلا لمدة 7 سنوات، واختـــار الخديوى أن يبيع أســـهم القناة دون أن يبيع أراضيـــه الزراعية التى تبلغ مســـاحتها مليون فدان كانـــت تمثل ربع الأراضى الزراعية فى مـــصر فى هذا الحين. وفى هذه الظروف أرســـل الخديوى بطلبه من بريطانيا مستشاراً لإصلاح مالية مصر فأصرت فرنسا أن يكون لها أيضاً مستشار، ومن بدأوا مستشارين تحولوا فور وصولهم إلى مسيطرين على زمام البلاد آمرين ناهين وكان هذا أول الطريق إلى ضياع اســـتقلال البلاد.

فى ظل هذا الجو المهين للكرامة الوطنية بدأت تحركات القـــوى الوطنية ففى عام 1876 بـــدأت اجتماعات سريـــة لضباط الجيش وتكونت جمعية مصر الفتاة وكان المحـــرك الرئيسى لها محمد أمين القاضى فى محكمة أسيوط وعبدالله النديم الذى اجتذب لاحقاً معظم أعضائهـــا لينضموا إلى حركة عرابـــى. وفى نوفمبر 1879 صدر أول بيان باسم الحزب الوطنى بعد اجتماعه الأول فى حلوان، وفى فبرايـــر 1879 وقعت مظاهرة الضباط بقيادة القائـــم مقام أحمد عرابى واللواء على الروبى واللـــواء محمد النادى وشـــارك فيها عدد كبير من ضباط الجيش وتوجهـــت المظاهرة إلى مقـــر الحكومة فى لاظوغلى للمطالبة بحقوق الضباط الذين لم يتلقوا رواتبهم لأكثر من عام. ويقول نوبار باشا فى مذكراته أن إســـماعيل بدلاً من أن يشعر بالغبن الواقع على الضباط تصور أن المظاهرة رتبها نوبار للضغط عليه! ونتيجة لكل هذه التداعيات أصدر السلطان فى 28 يونيو 1879 فرماناً بإقالة الخديو إسماعيل وتنصيب ابنه توفيق خديوياً على مصر.

ومع تردى الأوضاع المالية للبلاد واتجاه الدولة الأوروبية خاصة بريطانيا وفرنســـا

إعلان إفلاس مصر والشعور الوطنى بالمهانة من هذا ورفضه، عقد اجتماع شعبى كبير للقوى الوطنية فى منزل الشيخ البكرى حضره مسلمون ومسيحيون ونخبة السياسيين وأهل الفكر والرأى والأعيان والتجار وقرر المجتمعون تكوين ثلاث لجان:

- لجنة سياسية برئاسة شريف باشا لصياغة الدستور وقانون للانتخابات يؤكد سيادة الأمة.
- لجنة اقتصادية برئاسة راغب باشا لوضع مشروع وطنى لسداد ديون مصر.
- لجنة عسكرية برئاسة شاهين باشا لإعداد خطة للدفاع عن البلاد وصد أى تدخل أجنبى.

استقبل الخديو إسماعيل وفد اللجنة يوم 7 إبريل ولذلك أطلقت بريطانيا على هذا التحرك انقلاب 7 إبريل وأذعن إسماعيل لمطالب اللجنة وعين شريف باشا رئيساً للوزراء.

وفى يوم 17 مايو قدم شاهين باشا مشروعه للدفاع وتضمن زيادة عدد الجيش إلى 60 ألفاً وإعادة فتح المدارس العسكرية التى أغلقت وإعادة الضباط الذين أقيلوا من الخدمة.

وفى يوم 15 يونيو تمت صياغة الدستور وقدم راغب باشا مشروعاً متكاملاً لسداد ديون مصر. إلا أن توفيق رفض التصديق على الدستور وقانون الانتخابات وقام بحل مجلس النواب وعين رياض باشا رئيساً للنظار، وعثمان رفقى ناظراً للجهادية الذى وضع قانوناً يمنع ترقية الضباط من تحت السلاح، وأقال عدداً من الضباط المصريين من الجيش فتقدم أحمد عرابى وعلى فهمى الديب وعبدالعال حلمى بمذكرة إلى الخديوى يتظلمون من هذه القرارات فأمر الخديوى باعتقالهم وإيداعهم السجن حتى يقدموا للمحاكمة إلا أن قوة من الجيش بقيادة البكباشى محمد عبيد اقتحمت السجن وحررتهم وأصدرت حركة الضباط منشوراً يدعو جميع تشكيلات الجيش للتجمع فى ميدان عابدين فى العاشرة من صباح 9 سبتمبر 1881 وقام الحزب الوطنى المؤلف من العسكريين والوطنيين من موظفين وتجار وأعيان بتقديم مطالب الأمة فى مذكرة تؤكد أن الشعب فوض الأمر إلى أمراء الجهادية من أجل صالح البلاد وأن الحزب الوطنى حزب سياسى لا دينى يضم مختلف العقائد والمذاهب ويمثل كل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها بتوقيع عرابى المصرى وتم تشكيل البرلمان فى ديسمبر 1881 بالشكل الذى قرره منشور نظارة الداخلية بأن يكون مشايخ الجهات وكلاء عن الشعب فى اختيار النواب.

وصدر الدستور فى 18 يناير 1882 ونصت اللائحة الأساسية (وهو الاسم الذى أطلق على الدستور) على حق النواب فى مراجعة القوانين والمصروفات. وفى 1 فبراير قدمت بريطانيا وفرنسا مذكرة مشتركة ترفض حق مجلس النواب فى مراجعة الماليات لأن ذلك يسلب اختصاص المراقبين البريطانى والفرنسى اللذين عينا لمراجعة ماليات مصر. وطلب شريف باشا من المجلس حذف هذه الفقرة إلا أنه رفض ذلك فاستقال شريف باشا. ورد المجلس على المذكرة بأنه لا حق لبريطانيا وفرنسا فى تقييد حق المجلس فى إدارته.

أقامت جمعية المقاصد الخيرية حفلاً كبيراً يوم 13 فبراير بمناسبة صدور الدستور حضره العديد من الأعيان والسياسيون وألقيت خلاله عدد من الخطب أهمها خطبة محمد عبده عن أهمية تعميم التعليم وخطبة عبدالله النديم عن إزالة الظلم عن الشعب ومصطفى ماهر باشا الذى طالب بإنشاء بنك مصرى لحماية المصريين من الفوائد الربوية التى تفرضها البنوك الأجنبية ونادى أيضاً برعاية الفنون. ويعتبر هذا الحفل وما ألقى فيه من خطب خارطة لبرامج الثورة العربية وتعتبر رداً على الادعاءات بأن الثورة كانت حركة عسكرية تطالب فقط بامتيازات للضباط المصريين.

عندما رفضت الحكومة والمجلس النيابى المذكرة البريطانية الفرنسية المشتركة كونت الدولتان قوة بحرية أبحرت إلى سواحل مصر لفرض إرادتها بالقوة وأرسلت إنذاراً إلى محافظ الإسكندرية لإزالة المدافع والتحصينات من الطوابى لأنها تهدد الأسطول المعتدى وانتهزت بريطانيا حادثة ما أطلقت عليه مذبحة الإسكندرية التى ادعت أن الأوروبيين تعرضوا لمذبحة عقب شجار وقع بين مصرى ومالطى وحقيقة الأمر أن عدد الضحايا المصريين فاق كثيراً الضحايا الأوروبيين (راجع فى ذلك الكتاب القيم الذى أصدرته مكتبة الإسكندرية عن شهادات شهود العيان للأحداث) وفى يوم 11 يوليو ادعى الأدميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى أن الأنوار الكاشفة لأحد بوارجه كشفت تسلق بعض الرجال تحت ستار الليل لجدران إحدى الطوابى لترميم بعض الحجارة الساقطة فاعتبر ذلك تحدياً للإنذار الذى أرسله فبدأ القصف المكثف الذى استمر حتى الثالث عشر من الشهر ودمر المدينة تماماً.

لن أتناول المعارك البرية اللاحقة فى كفر الدوار والقصاصين والتل الكبير لأن الأمر قضى مع بدء إطلاق النار ومن السذاجة التصور أن الجيش المصرى كان قادراً على هزيمة جيش الإمبراطورية البريطانية بضباطه المتمرسين فى الحرب فى الهند والصين وأفغانستان وحرب القرم، فى حين أن كادر الضباط المصرى صنعه ستون باشا الأمريكى المفصول من الخدمة لسوء أدائه والذى لا يهمه تراب مصر وكرامتها وكل ما يهمه هو مرتبه الذى يقبضه من الخديوى. ولعل هذا كان الستار الذى توارى خلفه من خانوا الثورة لقناعتهم بأن لا قبل لمصر لمواجهة بريطانيا وأن نتيجة ذلك ستكون حتماً الهزيمة واحتلال مصر ناسين أن ما فعله عرابى هو الوقوف وقفة عز مع الجيش المصرى لصد حرب ظالمة ونية مبيتة لاحتلال مصر. حرب ظالمة فرضت على مصر وعلى شعبها. كل الحسابات كانت تشير إلى الهزيمة ولكن هل استحالة النصر تجعلنا نستسلم استسلام الجبناء. لو كان العبد سبارتاكوس قد حسب احتمالات نجاحه لما ثار على روما، ولولا ثورته لظل العبيد عبيداً حتى اليوم، ولولا ثورة عرابى وثورة عبدالناصر لظلت المستعمرات محتلة إلى اليوم.

لكننا لا يمكن أيضاً أن نغفل عوامل الخسة والخيانة وما فعله الخديوى الذى أصدر مرسوماً بعزل عرابى أثناء استعداد الجيش للمعركة، وأيضاً السلطان العثمانى الذى أصدر فرماناً بعصيان عرابى وتكفيره عشية معركة كفر الدوار، الأمر الذى أثر تأثيراً كبيراً على الروح المعنوية للجنود.

إن عرابى لم يكن قائداً عسكرياً مميزاً، ولعله أيضاً لم يصنع من معدن الثوار، فقد استسلم للهزيمة بانكسار بعكس عبدالله النديم الذى رفض الهزيمة وظل هارباً يهاجم الإنجليز والخديوى والخونة سنين طويلة حتى مات، أو مثل البكباشى محمد عبيد الوحيد الذى استل سيفه فى مظاهرة عابدين متوعداً الخونة بالموت والذى رفض استرحام المحكمة لتخفيف حكم الإعدام الصادر عليه، وحرص الإنجليز والخديوى على إعدامه. ولكن عرابى كان وطنياً أحب مصر والمصريين وأراد رفع الظلم الواقع عليهم لكنه كان ضيق الأفق محدود الكفاءة بحكم الظروف التى أحاطت بالمصريين فى عصره، ولم يكن دكتاتوراً كما وصفته الصحف البريطانية لكنه كان يمثل القوى الوطنية والشعبية ولم يفرض رأيه لكنه عبّر عن رأيهم. حاول بشرف ولم يوفق، وينطبق عليه قول سيدنا على بن أبى طالب ليس من طلب الحق فأخفق كمن طلب الباطل فأفلح.

أوروبا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود (1+4)

أوروبا بين المسيحية والنظرة للإسلام (1)

الكتاب الذى نتناوله فى هذا المقال بالغ الأهمية للاعتبارات التالية:
الأول: إن المؤلف عالم فاضل وصوفى قيادى وبلغ أعلى المناصب الوظيفية الدينية حيث عمل شيخاً للأزهر الشريف. وهو فى نفس الوقت مثقف على مستوى دولى حيث تلقى تعليمه فى جامعة السوربون فى فرنسا ومن ثم فهو يجيد الفرنسية كما أنه من المشايخ الذين يتسمون بالانفتاح الفكرى والثقافى.

الثانى: إن عنوان الكتاب «أوروبا والإسلام» هو عنوان جذاب ومهم، وكان اختيار المؤلف للعنوان موفقاً فهو نظر للطرفين نظرة محايدة ومعتدلة حيث أبرز نقاط القوة والضعف لدى كلا الطرفين الجانب المسيحى الأوروبى والجانب الإسلامى.

الثالث: إننى من المعجبين والمحبين للمرحوم فضيلة الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود لتوجهه الصوفى قبل أن يكون شيخاً للأزهر الشريف، كما إننى قرأت العديد من كتبه ذات النزعة الصوفية. وهذا الكتاب يقدم تحليلاً علمياً لعلاقة أوروبا بالإسلام وأسباب ودواعى ذلك. كما لا أنسى طوال حياتى عندما التقيت بفضيلته على جبل عرفات فى يوم عرفات عندما كنت فى رحلة الحج يناير عام 1973م وسعدت كثيراً بأن نكون فى نفس الخيمة فى تلك اللحظة المباركة وسعيت لتحيته والسلام عليه ولكن الازدحام للسلام عليه وتحيته كان شديداً وأنا كنت شاباً فتراجعت وجلست أراقبه عن قرب.

والكتاب الذى نعرض له يقع فى 200 صفحة ويضم خمسة فصول فضلاً عن المقدمة والهوامش وعنوان الفصول الخمسة كالآتي:

الأول: الإسلام والمسيحية

الثانى: أوروبا والمسيحية، والثالث: الغرب والإسلام، والرابع مفكرون ومنصفون من الغرب، والخامس: نصائح للمستشرقين.

والكتاب اتسم بسلاسة الأسلوب ورقته ونعومته ولذلك لم أشعر بأى ملل من قراءته بل واصلت القراءة طوال اليوم والليلة حتى انتهيت منه كاملاً.

وتذكر الدكتور عبدالحليم محمود سفره إلى فرنسا فى أكتوبر 1932 حيث التقى إثر وصوله إلى باريس ببعض المصريين والهنود وأيضاً أميرة سرواك

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

الإنجليزية التى أسلمت وكتبت كتاباً عن سبب إسلامها، وكذلك السيد خالد شلدريك وهو أسلم وكرّس حياته لنشر الإسلام. وأشار الدكتور عبدالحليم إلى كتاب «إيقاظ الغرب للإسلام» للورد الإنجليزى «هيدلى» والذى أسلم وأصبح يحمل اسماً عربياً مسلماً.

وقد أبرز الدكتور عبدالحليم أن السيد المسيح وأمه العذراء مريم وكل الأنبياء الذين اختارهم الله وأوحى إليهم ينتمون للقارة الآسيوية بما فى ذلك النبى محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام. كما ذكر فى المقدمة أنه لاحظ أن العلاقة بين دول الشرق والغرب حيث حظيت بالكتابة عن جانبها السياسى والاقتصادى والفكرى، بينما لم يكتب عن الجانب الدينى فى علاقة الطرفين.

الفصل الأول: بعنوان الإسلام والمسيحية تناول ما يلى:

1 - إن السيدة «حنه» أم مريم دعت الله أن يهبها ولداً وأن تنذره لخدمة البيت المقدس ولكن ما حدث أن المولود كانت أنثى أسمتها «مريم» ابنة عمران وهو غير عمران أبو موسى ولذا فهى ليست أخت سيدنا موسى، وبالفعل نذرت «حنه» ابنتها مريم لخدمة البيت المقدس، وقد كفلها النبى زكريا وكان هناك تسابق على من يكفل مريم ووقع نصيبها فى الكفالة على زكريا عندما ألقى المتسابقون السبعة والعشرين (عدد المتسابقين) أقلامهم جاءت القرعة لصلحة قلم زكريا، الذى كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فسألها، فأجابت أنه من عند الله. وبعد أن كبرت مريم بدأت الملائكة تظهر لها وتتحدث إليها وتسدى لها النصيحة، وقالت لها ما جاء فى القرآن الكريم «يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» (سورة آل عمران آية 42) كما بشرتها الملائكة «يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم» (آل عمران آية 45).

ولكن اليهود عندما رأوا مريم وطفلها اتهموها بالزنا أما القرآن الكريم فقد أعلن براءتها وهو يعتبرها قديسة وصديقة، كما أنكر اليهود على عيسى نبوءته ورموه بالكذب بينما الإسلام أكد أنه عبد الله ورسوله وأنه مبارك ووجيه فى الدنيا والآخرة.

إن بعض مؤرخى الأديان الأوروبيين أنكروا وجود المسيح بدعوى أنه لم تثبت أدلة تاريخية على وجوده وعللوا وجود المسيحية بأنها من اختراع القديس بولس. وأبرز الدكتور/ عبدالحليم محمود أن المسيح عيسى هو جزء من إيمان المسلمين وهو معصوم ومبرأ من المعصية وأمه صديقة واصطفاها الله على نساء بنى إسرائيل.

الفصل الثانى: المعنون أوروبا والمسيحية: ذكر المؤلف عبدالحليم محمود ما يلى:

1 - «نشأت محاكم التفتيش المسيحية والتى كانت تحرق الناس بالنار وترميهم فى الزيت المغلى وتقطع أجسامهم. وذلك عندما كان يعم أوروبا الرياء والنفاق خوفاً على أموالهم وأرواحهم ووقع فى أذهان الناس أن العدالة خرافة من الخرافات وأسطورة من الأساطير. وقد تخطى نفوذ محاكم

د . عبد الحليم محمود

التفتيش أوروبا إلى أمريكا التى فتحها الأسبان وقتلوا معظم الهنود الحمر اتصالاً بموقف رجال الدين المسيحى الذين نظروا للهنود الحمر بأنهم ليسوا أوروبيين ولا مسيحيين، وهكذا ارتبط فى الأذهان الصلة بين المسيحية والتنكيل بالإنسانية ومن ذلك مأساة «جاليليو» وغيره من العلماء والمفكرين الذين كان يزج بهم فى السجون».

2 - فقدت الكنيسة سطوتها ونفوذها مع بدء النهضة الأوروبية فى القرن السابع عشر وقام مفكرون أمثال فولتير، وجان جاك روسو بحملة شعواء ضد رجال الدين بل وضد المسيحية نفسها وهكذا بدأ النقد العلمى للمسيحية فى القرن التاسع عشر ومن تلك الحملات والشخصيات البارزة فى أوروبا ما يلي:

1 - «رينان» الذى أصدر كتاباً يثبت فيه أن المسيح لم يكن إلهاً ولا ابن إله وإنما هو إنسان امتاز بالأخلاق السامية والروح الكريمة مما أدى إلى انهيار المسيحية ومفهوم أن المسيح ابن الإله أو الإله، ومع هذا فإن «رينان» لم يكن متطرفاً بل أثبت الوجود الحقيقى والتاريخى للمسيح، فهو آمن بأن وجود المسيح حقيقة تاريخية، ولكنه رفض مفهوم كونه إلهاً أو ابن إله، وكذلك رفض مفهوم التثليث بينما علماء ومفكرون آخرون رفضوا ذلك. ومن هؤلاء البروفيسور «بابيه» أستاذ علم الاجتماع فى جامعة السوربون الذى اشترك مع زميلين له فى الجامعة فى تأليف كتاب ينكر الوجود التاريخى والحقيقى للمسيح.

2 - أثبت البروفيسور «بابيه» أن السبب الرئيسى فى اعتناق «الإمبراطور قسطنطين» للمسيحية واتخاذها ديناً رسمياً للإمبراطورية حيث رأى أن التعصب فى روما يمكن أن يؤدى لفقدانها الإمبراطورية من خلال التفكك والانحلال. ورأى أن الدين الوحيد من الأديان الثلاثة آنذاك «اليهودية والمسيحية والإسلام» فإن أشدها تعصباً المسيحية ورجالها فاختارها الإمبراطور قسطنطين ديناً رسمياً للدولة.

وأحد زملاء البروفيسور «بابيه» كتب فى نفس الكتاب أن المسيح عليه السلام أسطورة لا حقيقة، أما الزميل الثالث لـ«بابيه» فقد كتب أشد من زميله الثانى. بينما اتجه عالمان من أعلام الباحثين الأوروبيين أحدهما البروفيسور «لويس» الذى تخصص فى كتب العهد القديم وأثبت بالمنهج العلمى أن هذه الكتب نالها التحريف. أما الآخر وهو الأستاذ «جنى بيير» أستاذ الأديان بجامعة السوربون فقد كتب كتاباً ضخماً عن العصر الذى نشأ فيه المسيح، وكتاباً آخر عن المسيح نفسه يقرب من 500 صفحة. وكتاباً ثالثاً عن تطور العقائد، وكتاباً رابعاً من جزئين عن المسيحية القديمة، ومسيحية العصور الوسطى، والمسيحية الحديثة. وقد أبرز فى كل تلك الكتب أن المسيحية الحالية لا صلة لها بالمسيح سوى الاسم فقط، كما أبرز أن القديس «بولس» هو الذى ترك تأثيراً كبيراً على المسيحية وكان القديس بولس يهودياً متعصباً لليهودية ويصارع خصومها فى عنف، كما كان قبل اعتناقه اليهودية وثنياً شديد التعصب للوثنية، وذات ليلة عندما كان مسافراً رأى المسيح والنور والإشراق فاهتدى للمسيحية، واستخدم حيويته الجارفة فى تدعيمها لإصلاح ما أفسده اليهود- حسب قوله وقد ذهب باحثون أوروبيون أن المسيحية تدين للقديس بولس أكثر مما تدين للسيد للمسيح نفسه. وأثبت البروفيسور «جنى بيير» أن المسيحية الحالية مدينة «للقديس بولس» مركزاً على أن المسيح أتى مبشراً بالرحمة والشفقة والتعاون والمحبة». أما مفهوم التثليث وفكرة الإلوهية التى تمشى على الأرض، أو النبوة للإله «فهذه عقائد معقدة ورفضها البروفيسور» جنى بيير باعتبارها بعيدة كل البعد عن رسالة المسيح. لذلك حرمت الكنيسة كتبه وطردته من ملكوت السموات. ورغم هذا كانت كتبه تدرس فى الجامعات وخاصة السوربون حيث كان الدكتور عبدالحليم محمود يدرس فى تلك الجامعة.

الفصل الثالث: الغرب والإسلام: شرح الدكتور عبدالحليم محمود أسباب عدم اعتناق أوروبا للإسلام. وأرجع ذلك لمجموعتين من الأسباب:

1 - المجموعة الأولى: ترجع للكنيسة وحرصها على التبشير بالمسيحية فى الدول الأخرى، واختيار دعاة يعرفون لغة الدول الأجنبية التى قاموا بالتبشير فيها، كما استخدموا الإغراءات مثل نشر التعليم، والرعاية الصحية فى المستشفيات للمرضى وهكذا جعلوها أداة من أدوات نشر المسيحية. كما حرصت الكنيسة على تحصين العقيدة المسيحية بفرض عقوبة الحرمان على مؤلف أى كتاب يمثل خطراً على المسيحية، وحرمت نشر وتوزيع مثل تلك الكتب أو قراءتها بعبارة أخرى استخدمت الترغيب والترهيب: بالمال من ناحية والحرمان من ناحية أخرى.

2 - أما المجموعة الثانية: فإن مرجعها المسلمين أنفسهم لعدم وعيهم بكيفية الدعوة، وعدم تمسكهم بالقيم والمبادئ الإسلامية، وعدم قيامهم بتقديم مزايا مثل ما تفعل الكنيسة من إنشاء المستشفيات والملاجئ والمدارس والمعاهد والوظائف وإغداق الأموال.

ويرى جمال الدين الأفغانى أن حالة المسلمين السيئة وتخاذلهم وشهواتهم أدت للفرقة بينهم وجعلتهم مستكينين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالمسلمون فى الوقت الحاضر معظمهم غير متمسك بالإسلام وقيمه الصحيحة وآدابه. فالنظافة التى دعا إليها الإسلام أهملها المسلمون، واتحاد المسلمين الذى دعا إليه الإسلام تجاهله المسلمون، وكذلك منهج التدريس فى المدارس الإسلامية خاصة فى مصر حيث يدرسون علوم العصور الوسطى وهى لا تتلاءم مع علوم العصر. وكذلك الأمر فى تفسير القرآن وعلومه وفى طرح قضايا تثير الخلافات والانقسامات بين المسلمين مثل «القضاء والقدر» رغم نهى الرسول عن ذلك، وأيضاً البحث عن حقيقة الإله ذاته رغم رفض النبى محمد النقاش فى ذات الله، ودعوته للبحث عن مخلوقات الله. وكانت المدارس الفكرية بعد عهد الخلفاء الراشدين أكثر إساءة للإسلام بالنقاش والجدل بلا جدوى، وفى قضايا غير خلافية تحولت لقضايا خلافية.

سفير
فخرى عثمان

الفنان إيهاب مناع
مصر .. الأسطورة الخالدة

أقام الفنان إيهاب مناع معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات التى تحتوى على المعارك العسكرية التى خاضتها مصر عبر تاريخها الوطنى المجيد منذ آلاف السنين منذ الحضارة المصرية الفرعونية القديمة، وذلك فى قاعة صلاح طاهر بدار الأوبرا، ومن كلمات الفنان التى حررها «أرى أن الكثير من تاريخنا لم يأخذ حقه من التوثيق والشهرة رغم أهميته وتأثيره». فقام بمحاولة متواضعة لإلقاء الضوء على صفحات من تاريخ مصر باستخدام قلم الحبر الأسود فقط، واستغرق ثمانى سنوات بداية من عام 2010 إعداداً لإقامة هذا المعرض، ويقول للعسكريين كتبتم وكتب أجيال قبلكم سجلاً هو الأروع فى تاريخ الأمم رغم كل الصعوبات والضباب الذى واجهته أمتنا. والمعرض يمثل قدراً ضئيلاً من نضالكم العظيم ولتكن بداية على الطريق لشعب عظيم وجيش هو أول جيش نظامى فى التاريخ.

وكان لصدى لوحات الفنان تأثيره البالغ لعمق الحس الوطنى لدى المواطن المصرى الفنان الذى يقيم فى مملكة البحرين واهتمامه ليقضى ثمانى سنوات ليعد لهذا المعرض كمحاولة شخصية لتسجيل الأمجاد التاريخى المصرية عبر التاريخ لشعب له بصمته فى صنع التاريخ.

لقد انبهرت لطاقة الفنان الإبداعية لدقة حركة اليد الممسكة بالقلم دون الوقوع فى أى خطأ يتعذر علاجه أو تصحيحه وإصراره على تحقيق الهدف المنشود، وأضيف بالإشارة إلى الجهد الذى بذله فى الرجوع إلى الكتب والمراجع التاريخية، واقترحت للفنان إصدار كتاب يتضمن جميع اللوحات مع ذكر بيان لكل معركة خاضها الشعب المصرى عبر التاريخ ليكون نبعاً للتوعية لشباب مصر، وأناشد وزارة الثقافة ليكون لها دورها فى هذا الشأن.

الفنانة
منى فتحى إسماعيل
مصر جميلة

أقامت الفنانة منى فتحى إسماعيل معرضاً لأعمالها الفنية من اللوحات الزيتية بقاعة المكتبة الموسيقية بساحة دار الأوبرا المصرية

ويعتبر هذا المعرض الشخصى الثانى لها وقد سبق لها الاشتراك فى حوالى200 معرض جماعى، وقد شاهدت غالبيتها فى عدة قاعات مختلفة سابقاً. والفنانة حاصلة على بكالوريوس الزراعة ولم تعمل فى مجال دراستها الجامعية ولكنها عملت فترة زمنية قصيرة فى إحدى شركات القطاع الخاص الكبرى، ولم تتلق أية دراسة أكاديمية فى مجال الفن التشكيلى ولكنها التحقت بدورات للفن التشكيلى فى كليتى الفنون الجميلة والفنون التطبيقية بالإضافة إلى تلقيها إضافات فى الإبداع الفنى ضمن البعض من الدارسين على يد بعض كبار الفنانين. ولقد شاهدت معرضها الشخصى الأخير ووضح لى الثمار الإيجابية لحماسها واستمرارها فى الحصول على المزيد من الخبرة والتدريب والممارسة فى مجال هوايتها الشخصية ومنذ عدة سنوات. كما وضح لى من إبداعها أن مذهب الواقعية هو اختيارها المفضل فى الأداء. وقد اتسم إبداعها بالدقة والالتزام بحقائق الواقع المصرى الأصيل الذى يعبر عن إيمانها بالأصالة وجذور الواقع المصرى، وهو الأمر الذى يؤكد عمق الإيمان والارتباط والحس الفنى الإبداعى والوطنية المصرية وحضارتها القديمة التى أنارت عقول البشرية وهو أمر له كل التقدير والاحترام.

الأخـــلاق

الخُلُق «بضم الخاء واللام» والأخلاق كلمة يتداولها الناس على ألسنتهم فيقولون «فلان على خلق» أو «فلان ذو خلق» أو «فلان خلوق» وهم يقصدون بذلك، غالباً، ما يتصف به الإنسان من صفات نبيلة تجعله محل تقدير واحترام .

وتعد قضية الأخلاق والقيم من القضايا المهمة التى شغلت الفكر الإنســـانى عامة، نظـــراً لأهميتها البالغـــة فى تنظيم ســـلوك الأفراد والجماعات داخـــل المجتمع. فكل مجتمع يســـعى إلى الاســـتقرار والاستمرار فى الوجود هو فى حاجة إلى نســـق أخلاقى قيمى يتضمن أهدافه ومعتقداتـــه ومثله العليا التى تنظم الحياة فى داخله، وتحدد العلاقات والســـلوكيات المرغوبة وغير المرغوبة بين أفراده. ويستدل على الأخلاق من:

- الصفات الطبيعية الفطرية عند الإنسان .
- الصفات المكتسبة من التربية والتعليم وخبرات الحياة .

ويرى «جيمس هنرى برستيد» فى كتابه «فجـــر الضمير» الصادر عـــام 1933م، والـــذى ترجمه أ. سليم حسن عام 1956م أن كلمة «أخلاق» ظهرت لأول مرة فى كلام أبنـــاء البشر فى عـــصر الأهرام فى مصر القديمة، وسرعان ما صارت متداولـــة فى موضوعـــات التعليق والتأمـــل، ففى الحكـــم الخاصة بالوزيـــر الحكيم «بتـــاح حتب» نراه يذكر ابنه بـــأن «الفضيلة فى الابن لهـــا قيمة عظيمة عند الوالد، وأن الأخلاق الحســـنة شئ جدير بالذكر».

وبذلك ينســـب أقدم استخدام

سفير أشرف عقل

لتلـــك الكلمة إلى القرن الســـابع والعشرين قبل الميلاد. وبعد انقضاء خمسة قرون على ذلك العهد نجدها فى تلـــك النصائح التى وجهها أحد الفراعنة إلى ابنه «مريكارع» حيث يقول إن الله، عز وجل، هو «الذى يعرف الأخلاق».

على أن كلمة «أخلاق» أو «خلق» فى حد ذاتها مأخوذة من فعل معناه «يشـــكل» أو «يكون» أو «يبنى».

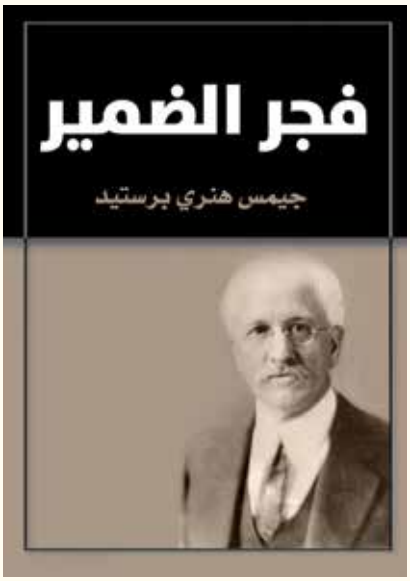

جيمس هنرى برستيد

وقد كانت تستعمل فى عصر مبكر للدلالة على العمـــل الذى يقوم به صانع الفخار أثناء تشكيله للأوانى الصلصالية فـــوق عجلته. وهى فى ذلك تشبه كلمة «أخلاق» فى الأصل اليونانى أيضاً .

كمـــا أن العوامل الجديدة التى تنطق بها هـــذه الكلمات الجديدة أخذت تعمل عملهـــا بمثابة قوى اجتماعية حتـــى أفضت إلى نظام جديد أبرزه أيضاً حكماء الأخلاق المصريـــون وصـــار يعـــبر عنه بكلمة «ماعـــت» التى يريدون بها «الحق» و«الاســـتقامة» و«العدل» و«الصدق» .

كما كان يراد بها عندهم أيضاً النظام الخلقى الـــذى كانت فيه تلك الصفات هى القوى المسيطرة، وهذه الألفاظ مضافاً إليها «الضمير والأخلاق» تعد آثـــاراً خالدة لذلك الانتقال الذى ظهـــر فوق كوكبنا الأرضى، وقد ظهـــرت لنا ظهوراً تاريخياً عن طريق الوثائق المصرية القديمة التى دونت فيما بين سنتى 3000 و2000 قبل الميلاد.

وباختصار، يرى «برستيد» أن فى هذا الانتقـــال التاريخى، الذى حدث لأول مرة فوق الكرة الأرضية، بل فى الكون على ما نعلم، نجد أن المصريين هم الكاشفون للأخلاق .